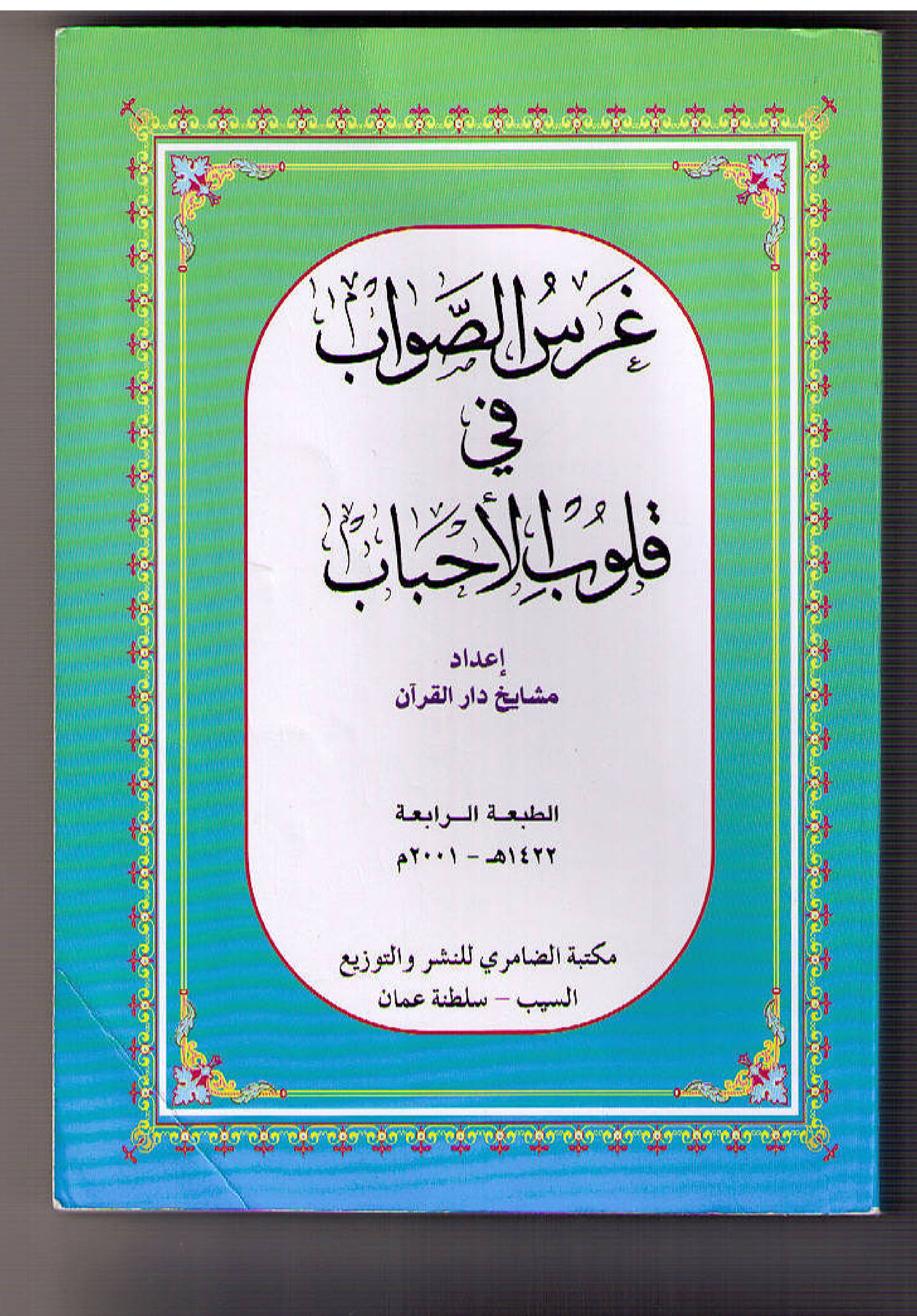

غرس الصواب
في
قلوب الأحباب
إعداد
مشايخ دار القرآن
الطبعة الرابعة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
مكتبة الضامري للنشر والتوزيع
السيب - سلطنة عمان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين،، وبعد:

فقد جعل الله سبحانه وتعالى لحياة الإنسان على الأرض غاية، ألزمه السعي إليها والكدح من أجلها، وهي رضوان الله سبحانه وتعالى، ولا يصل الانسان اليها إلا إذا اتبع السبيل الحق الذي جاء به أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم، ولما كانت الرسالة الإسلامية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام خاتمة الرسالات السماوية، أوجب الله سبحانه وتعالى على علماء هذه الأمة بعد نبيهم ﷺ بيان معالم الدين وإيضاح منارات الهدى للناس بأقوى حجة وأصدق لهجة وأحسن عبارة، فانبرى العلماء لأداء هذا الفرض، فألفوا في العلم رسائل وحققوا بالأدلة مسائل، وبسطوا الأحكام للأنام، وقربوا الدين للأفهام، ولم يبق عذر لمعتذر إلا أن يعمل بما أمر وينتهي عما زجر، وذلك لانتشار العلم بين القاصي والداني.

ومن هذه الكتب التي كتب لها سعة الإنتشار وبددت عن أذهان الناس الجهل، ورسخت في نفوسهم العلم، وشغفت قلوبهم حباً، فسرت بالإستقامة من جوانحهم إلى جوارحهم تهذيباً وتأديباً، من هذه الكتب كتاب «غرس الصواب في قلوب الأحباب» الذي طابق اسمه مسماه، فقد جاء بعبارة سهلة ومعلومة مهمة وآراء سديدة، فلم يسلك به صاحبه جزاه الله خيراً التشعب في الأقوال، ولاتتبع غرائب الاحكام، بل كأنه تمثل القارىء فأجابه عما يدور في خلده، وكشف عما يعم عقله وأزاح الريب من قلبه، بأسلوب الواعظ المشفق وفهم الفقيه المحقق، وقد أصدره المؤلف في رسائل صغيرة الحجم على هيئة أجزاء، ولكنها كبيرة المعنى، متنوعة المادة، فشملت الإعتقاد الصحيح، والفقه الصريح، والقصص الهادف، وسيرة النبي الكريم ﷺ وأئمة هذا الدين المهتدين، وغيرها مما يحتاج إليه عامة الناس وطلاب العلم الشريف، جاء بكل هذا التنوع حتى لايورث القارىء السآمة، وحتى يتخرج منه بأكبر فائده، فوفق مؤلفه إلى الصواب، ونسأل الله تعالى أن يوفقه إلى مايحب ويرضى.

ولإقبال الناس عليه، فقد طبع عدة طبعات متوالية، لاتكاد تنفد واحدة إلا وتليها الأخرى، وإسهاماً من مكتب الإفتاء في هذا الخير، رأينا إعادة طباعته في مجلد واحد، حتى يسهل الرجوع إليه ومادته مجتمعة، وينتفع منه طلاب العلم بهذه الطريقة كما انتفعوا منه مجزءاً، وتتميز هذه الطبعة بأنها مزيدة ومنقحة، وقد حاولنا قدر استطاعتنا ان نقلص الأخطاء المطبعية حتى يبرز هذا السفر بثوبه القشيب ومحتواه السليم.

والله الموفق لما يحب ويرضى، وهو من وراء القصد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

أول واجبات المسلم

اعلم هداك الله وإيانا لطاعته

انه أول مايجب على المسلم معرفته، أن يعرف ربه الذي خلقه ورزقه، وهو الله الذي خلق كل شيء وأنه ليس كمثله شيء. ولايشبه أحدا ولايشبهه أحد، وأنه يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة، فلو كان يُرى لأشبه خلقه سبحانه، وأنه لاشريك له ولا معين ولا وزير ولا مشير وهو الحي الدائم القدير العليم بكل شيء.

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

الآية ٥٩ من سورة الانعام

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

الآية ١١ من سورة فاطر

فهذا أول مايجب على المسلم أن يعرفه.

ثم عليه أن يعرف نبيه محمداً ﷺ وأنه المبعوث من عند الله يهدي الناس إلى الحق وأنه صادق فيما يقول واجب على المسلم اتباعه في القول والعمل، وأنه ولد في مكة وبعث بها نبيا رسولا، وأنه هاجر إلى المدينة المنورة وانتشر الدين الاسلامي منها، ومات في المدينة وفيها قبره إلى يوم القيامة.

ثم عليه:

١ – أن يعرف دينه ومايلزمه أن يعتقده

٢ – وما يلزمه أن يعمل به.

٣ – وما يلزمه أن يجتنبه.

الأول : الإعتقاد – يلزمه أن يعتقد أن ماجاء به النبي محمد ﷺ حق، وأن الموت حق، وأن البعث يوم القيامة حق، وأن الحساب حق، وأن الصراط حق، وأن الميزان حق، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن من دخل الجنة لايخرج منها أبدا، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ومن دخل النار لا يخرج منها أبدا، معذبا منكلا بها تلسعه هوامها وتحرقه نارها ويغرفه زمهريرها، يطلب الموت فلا يجده ويطلب الرجوع إلى الدنيا ليعمل صالحا فلا يستجاب له، ينقل من السعير إلى شدة برد الزمهرير (الزمهرير واد في جهنم أشد برودا من الثلج يقطع الاجسام من برده كما تقطع النار الاجسام من حرها)، أعد الله ذلك لمن عصاه، ولم يستجب لطاعته، وطاعة رسوله، أعاذنا الله وإياكم من ذلك.

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ
يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ
خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ
نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

الايتان ١٣ و١٤ من سورة النساء

وعليه أن يعتقد...

– أن من أطاع الله ورسوله وعمل بأوامرهما ومات على ذلك أدخله الله الجنة ووجبت محبته (وهي الولاية).

– وأن من عصى الله ورسوله وخالفهما ومات على ذلك أدخله الله النار ووجب بغضه (وهي البراءة)

وعليه أن يعتقد أن من مات على المعصية لايشفع له الرسول ﷺ.

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (١٨)

الآية ١٨ من سورة غافر

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾

الآية ٢٨ من سورة الانبياء

ولايمكن أن يكون العاصي مرتضى الا إذا استغفر وتاب، وعليه أن يعتقد أن صفات الله هي ذاته وليس من فرق بين الذات والصفات، ومعنى ذلك أن الله عالم، أي من صفاته العلم، وأن علمه غير مكتسب كعلم الخلق، فالمخلوق يولد جاهلا ثم يتعلم، وليس الله كذلك، وقس على ذلك جميع الصفات.

الثاني : العمل - يلزمه أن يعمل بما أمره الله به كالصلاة، والزكاة، والصوم، الحج، وستر العورة، وحسن الخلق، وبر الوالدين، وصلة الارحام، ومواساة الجار، وكف الأذى عنه، واحتمال الأذى منه، وحسن المعاملة، واداء الحقوق لله وللناس، وولاية المؤمنين، والبراءة من الكافرين، وعيادة المرضى، وتشييع جنائز المسلمين ، وحب الفقراء ومواساتهم، والنصح لله، ولرسوله، ولعامة المسلمين، والصلح بين المتخاصمين، والسعي في قضاء حوائج المسلمين، والتوبة من الذنوب، والوفاء بالعهد والصبر على الشدائد، والتفويض لامر الله والتوكل عليه، والطهارة من الانجاس للبدن والثياب والبقاع. والغسل من الجنابة، والرضا بما قسمه الله من مال ومن جاه.

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (٤٦)

الآية ٤٦ من سورة فصلت

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾

الآية ٧ من سورة الاسراء

الثالث : الاجتناب - يلزمه أن يجتنب مانهى الله ورسوله عنه، كالزنا، والربا، والنظر إلى العورات، وكشف عورته، ولايبول واقفا، وأكل الربا، والمعاملة بالربا، واللواط، وأكل الميته، وقتل النفس، وأكل لحم الخنزير، وشرب الدخان، والخمر، وأكل مال الناس بغير رضاهم ، وحلق اللحية، وأكل ماذبح لغير الله، وعقوق الوالدين، والكذب، والغيبة، والنميمة، وقول الباطل، كالفحش في القول، والفاظ

القبح، وذكر عورات النـاس، وذكر عيوبهم والسعي بالفتنـة بينهم، ومداخلاتهم، التعرض للقدح فيه كأن يذهب إلى الخيالة (السينما)، وأن يواقف امرأة أجنبية أو ينظر اليها أو يضـاحكها أو يغمز لها عينه أو حاجبه، وأن يغمـز كذلك على أخيه المسلم، وأن يسخـر من غيره ولايمنن على الله بعمله الطيب، فإن عمـل العبد وإن جل وكثـر لا يسـاوي نعمة واحـدة من نعـم الله الكثيرة التي لاتعـد ولاتحصى، وماعمل العبد ذلك العمل الطيب إلا بتوفيق الله له فأين الفضل للعبد؟

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾

الآيات ١٥ - ١٧ من سورة فاطر

الطهارة

ثم عليه أن تعلم الطهارة من البول والغائط وتسمى (الحدث الأكبر).
والطهارة من الحدث الأكبر .
ويتعلم كيف يفعل هذه الحاجات.

فإذا أراد أن يبـول: فليستتر عن أن يراه أحد، ولايرفع ثيـابه حتى يدنو من الارض، ولايبـول في المكان الصلب كـالاسمنت والحجـارة أو ما أشبـه ذلك لأن الشرر يـرجع إلى ثيـابـه، ثـم إذا بـال لايستعجل بـأن يقـوم قبل أن يستبرىء، والاستبراء بأن يمسح ظاهر ذكره من حلقه الدبر إلى طرفه ثلاث مرات وينفضه حتى إذا عرف أنه لم يبق شيء مسح ثقبه الذكـر بشيء جامد كالكلينكس مثلا ثم يغسله بالماء ويغسل ماحولـه، وكذلك الغائط إذا فرغ يستبرىء ثم يغتسل بالماء، ولايجزى الاستبراء عن الماء قطعاً، وإن لم يغتسل فلا صلاة له ولاحد للغسل الا الاطمئنان أنـه لم يبق نجس، والاستبراء سنـة لابد منهـا والغسل فريضـة يكفر تاركه.

الحـدث الأكـبـر : هو الغـسل من الجنابة ، والجنابة هو خـروج المني من الإنسان ذكراً كان أو أنثى أو إذا التقى الختانان ولو من وراء حائل كذا الحيض والنفاس .

وصفة الغسل : أن يذهب أولا فيبول ليخرج ماتبقى من المني في الذكر، ثم يغسل النجاسة من ذكره وما حوله، ويغسل من الركبة إلى السره، ثم يتوضأ وضوء الصلاة، ثم يغسل رأسه ويدخل أصابعه في شعره، ثم يغسل صدره وبطنه ويتعهد مالم يصله الماء إلا بإدخال الاصبع، ثم يغسل ظهره وإبطيه وجنبيه، ثم يغسل من الركبه إلى أطراف القدمين، وهذا الغسل يكفيه للصلاة إن لم يمس عورته، ويخرج من الذكر أيضا الودى والمذي، وهذان لايجب الغسل فيهما ، وإنما يجب غسلهما من البدن والثياب لانهما نجسان كالبول، وكذلك المني نجس يغسل من البدن والثياب حسبما ذكرنا، ويجب الغسل على الذكر والأنثى، والمحافظة على تجنب النجاسات من العبادات لان العبادات لاتتم إلا بالغسل من النجاسات.

الوضوء

ثم يتوضأ للصلاة عند حضورها.

وصفة الوضوء: أن يغسل يديه ويقول بسم الله، ويحضر النيه في قلبه إنه يتوضأ لفريضة الظهر او العصر او المغرب اوالعشاء أو الفجر، ويستمر على حضور النية حتى يفرغ من الوضوء، ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ إلى حلقه إلا في الصيام، ثم يستنشق يدخل الماء في أنفه ثم ينثره، ثم يغسل وجهه ثلاث مرات من أصول الشعر في جبهته إلى آخر ليحته، ومن الأذن الى الأذن، ويتعاهد مابين الأذن والعارض، ثم يغسل يده اليمنى ثلاث مرات أعلى من المرافق إلى أطراف الاصابع ويخلل بين أصابعه، ثم اليد اليسرى كذلك، ثم يمسح على رأسه مرة واحدة يبتديء من مقدم الرأس إلى مؤخره، ثم يمسح أذنيه باطنهما وظاهرهما يدخل إصبعه في صماخه، ثم يغسل رجله اليمنى ثلاث مرات من أعلى الكعبين إلى أطراف الاصابع ويخلل بين أصابع رجليه، ويتعهد المنخفض الذي تحت الكعبين وأخمص الرجل ثم يغسل الرجل اليسرى كذلك وقد تم وضوءه فيسأل الله

التوفيق على أداء فرضه ويسأل الله قبول عمله.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾

الآية ٦٩ من سورة العنكبوت

الصــــلاة

ثم يتوجه الى الصلاة.

فيستقبل القبلة ويحضر في قلبه النيه لاداء فريضة كذا ويقول:

أتقرب الى الله بأداء فريضة كذا، ثم الإقامة وهي (الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر) أربع مرات متواليات، (أشهد أن لا إله إلا الله) مرتين، (أشهد أن محمدا رسول الله) مرتين (حي على الصلاة) مرتين، (حي على الفلاح) مرتين، (قد قامت الصلاة) مرتين (الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله)، وهكذا الأذان الا أنه ليس فيه قد قامت الصلاة، ولايقول في اذان الفجر الصلاة خير من النوم، ويشترط في الإقامة أن تكون بسرعة لايتباطأ المقيم ويمدد، ثم يقرأ التوجيه:

(سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والارض حنيفا وما أنا من المشركين).

ثم يكبر تكبيرة الإحرام بلا فصل بين التوجيه والإحرام فيقول:

«الله أكبر»

في خشوع وحضور نية أنه يحرم لفريضة كذا فإن لم يحضر النية يقول العلماء أن صلاته فاسدة - ثم يستعيذ سراً ويقرأ الفاتحة وحدها في الظهر والعصر وثالثة المغرب والركعتين الأخرتين من العشاء الآخر ويقرأ الفاتحة وسورة أو ثلاث آيات على الأقل في الركعتين الأوليتين من المغرب والعشاء والفجر ثم يركع ويقول في الركوع:

«سبحان ربي العظيم»

ثلاث مرات ثم يقوم ويقول أثناء القيام:

سمع الله لمن حمده، فإذا استوى قائماً قال « ربنا ولك الحمد »

ثم يسجد ويقول في سجودة:

«سبحان ربي الأعلى»

ثلاث مرات، ثم يقعد حتى يطمئن في القعود ثم يسجد مرة أخرى مثل الأولى ثم يقوم ويقرأ ثم يركع ثم يقوم ثم يسجد ثم يقعد ثم يسجد ثم يقعد للتحيات الاولى يقول:

«التحيات المباركات لله والصلوات الطيبات السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»

ثم يقوم فيقرأ، ثم يركع ويقوم ويسجد كما سبق، ثم يقوم ويركع ويقوم ويسجد مثل مافعل أولا، ثم يقعد للتحيات الثانية ويقرأ مثل ماقرأ في الأولى ويزيد بعد ورسوله:

«صلى الله عليه وسلم أرسله بالهدى ودين الحق ليظهر على الدين كله ولو كره المشركون ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار».

وإن زاد في الدعاء فحسن إن كان منفردا وإن كان إماما فلا يطيل على الجماعة والأفضل أن يكون دعاءً أخرويا ومما أرشد عليه القرآن أو السنة وليحذر أن يجلس على عقبيه وينصب قدميه في التحيات أو يتفرخص أو يقعد على إليته وينصب ركبتيه فإن هذا مبطل للصلاة، ثم يسلم ويصفح يمينا يقول:

«السلام عليكم»

ثم شمالا ويقول:

«ورحمة الله»

وينوي المصلين إن كان إماما والملائكة إذا كان منفردا ولايقول بين السجدتين شيئا ويدعو بعد ذلك بما شاء الله من الدعاء ويستحب له أن يقرأ آية الكرسي بعد السلام وليحافظ على صلاته فيما بين تكبيرة الإحرام والتسليم فلا، يلتفت ولايعبث ولايضحك ولاينظر إلى السماء ولايتحمحم إلا لإصلاح القراءة ولايرفع

يـديـه إلى أذنيه ولايكفـت (فيضـع يـده اليمنى على اليسرى في القيـام) ولايحرك اصبعه في التحيـات ولا يقول آمين بعـد قراءة الفـاتحة فإن هذا مبطـل للصلاة، ولايشير على أحد بيد ولابعين ولا يتفكر بالإختيار في شيء من أمور الدنيا لأنه في مقام عظيم بين يدي مليك عظيم جبار السماوات والأرض فيجب التأدب بين يديه والصلاة عماد الدين فمن أصلح الصلاة يصلح له غيرها من العبادات.

لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟

أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورٗا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٤﴾ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكۡرُوهٗا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوۡحَىٰٓ إِلَيۡكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلۡحِكۡمَةِۗ وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا ﴿٣٩﴾

الآيات ٣١ - ٣٩ من سورة الاسراء

التعريف بالمذهب الاباضي

المذهب الاباضي : هـو مذهب النبي ﷺ الـذي نزل به جبريل عليـه السلام عن اللوح المحفوظ عن رب العزة جل ثناؤه.

والمنتسبـون الى هذا المذهب هـم على الحق الذي لامـرية فيـه وبـاقي المذاهب تفرعت عنه وسموا إباضيه نسبة إلى رجـل كريم غيور في الله عابد زاهد (عبدالله ابن أباض) تميمـي النسب وليس نسبتهم إليه لكونـه إماما لهم في دينهـم كأئمة المذاهب وإنما إمـام الإباضية هـو رسول الله ﷺ وصحـابته الكـرام رضوان الله عليهم هم حملـوا الشريعـة عنه وحملهـا إلى الإباضيـة الأمين الثقة العـالم الكبير العمانـي (جـابر بـن زيد) الـذي لم يقـدح في أمـانتـه وصدقـه أحد لامـوافق ولامخالف، وإنما نسبوا إلى عبـدالله بن أباض لكـونه ذابا عـن الدين مستقيما في السلوك وذلك عند افتراق المذاهب وابتلاء المسلمين بهذه التفـرقة التي ماأنزل الله بها من سلطان وقد كان المسلمون كالجسـد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى كما قـال نبيهم ﷺ حتى تفرقوا وأمر الله لابد واقع وقد اخبر الرسـول ﷺ عن هذه التفرقة فقـال : (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها هالكـة إلا واحدة وافترقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة كلها هـالكة إلا واحـدة وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقـة كلها هـالكة إلا واحدة) قيل فمن الـواحدة يارسول الله قـال (من كانت على ما أنـا عليه) أو كما قال رسول الله.

والإبـاضيـة لم يبـدلوا ولم يغيروا مـذ عـرفـوا الإسـلام متفقـون مع الأمـة الإسلاميـة في جميع الدين إلا في بعـض المعتقدات التي لايسع الخلاف فيهـا وقد ذكرنا أهمها في هذا الكتيب المختصر.

ومؤلفـوا الإباضيـة يأخـذون الحق من أي عالم سـواء كان على مـذهبهم او مخالفا لهم ويردون مالا يوافق الحق على أي عـالم سواء من أهل مذهبهم أو من غيرهم، وليس كل من كان إباضيا كان مـرتضى عندهم بل يحكمون على الفاسق إن مات على غير توبة بالنار سواء كان إباضيا أو غير إباضي وليس عند الله قريب إلا التقي وليس عنده بعيد إلا الفاجر.

﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾

الآية ١٠٩ من سورة طه

ويقول النبي ﷺ في خطابه لبعض أقاربه يقول «يافاطمة بنت محمد، وياصفية عمة محمد: إشتريا أنفسكما من الله، فإني لا أغني عنكما من الله شيئا، لايأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم»

ويقول: «من قصر به عمله لم يسرع به نسبه».

فمن شك في المذهب الإباضي فقد شك في الدين كله ومن قدح [١] في الاباضية فقد قدح في أصحاب رسول الله ﷺ والله عند لسان كل قائل فليقل ماشاء، ومن أشكل عليه شيء فليسأل عنه أهل العلم فالمسئول هو العلم.

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يفقهنا في ديننا فإنه من أراد به خيرا أعطاه ذلك ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم وصحابته أهل الفضل العميم.

---

١ – ذم وطعن

الجزء الثاني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ

صدق الله العظيم

الآية ٧ من سورة الحشر

صلاة السفر

قصر الصلاة الرباعية: الظهر والعصر والعشاء الآخر:

على المسافر : فرض. لارخصة كفطر رمضان، لقول النبي ﷺ ولفعله.

فأما قوله في ذلك: «فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ، فأقرت في السفر وزيد في الحضر أربعا».

وعنه قال: «على المقيم سبع عشرة ركعة، وعلى المسافر إحدى عشرة ركعة».

وأما فعله في قصر الصلاة، فقد روى ابن عباس أن النبي ﷺ «أقام بمكه عام الفتح خمسة عشر يوما يقصر الصلاة وهو لاينوي الإقامة بها».

واستمر العمل على هذا في زمان الخلفاء الراشدين.

وخرج النبي عليه الصلاة والسلام يوما بعد ماصلى الظهر في المدينة أربعا، وصلى العصر في ذي الحليفة [1] ركعتين،

ويجب القصر:

بعد أن يتجاوز المسافر فرسخين ويقدر باثني عشر كيلومترا في السيارة الآن.

وكان الأوائل يعتنون بقياس المسافة، فيركبون الحمار أو الناقة، ويجرون حبلا عرفوا كم طوله ويتركون علامة وهكذا حتى تكمل عدة القصر

ومن صلى في السفر الرباعيات أربعا كمن صلاها في الحضر ركعتين.

ويقول بعض الجهال: إن الزيادة أفضل من النقصان، وهذا جهل بالشرع.

وبعض يقول: إن الوطن العربي كله وطن، وهذا ليس من الدين في شيء وبعض يقول: إنه لايتعب، والقصر شرع لأجل التعب، كما كان السفر على الحمير والركاب، وهذا تنطع من قائله.

«وما يزيد على القرآن نقصان»

---

١ – وهي على بعد فرسخين من المدينة وسمي الآن آبار علي

والرسول ﷺ ما مات حتى نزل قوله تعالى:

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾

الآية ٣ من سورة المائدة

وهو الذي شرع لنا الصلاة من ربه، فما أمرنا به فعلناه، وليس لنا أن نزيد من عند انفسنا، والعقول منا لاتصل إلى هذه الغاية.

فلنقف عند حدنا الذي حده الشرع لنا إن أردنا النجاح في ديننا.

والمقيم في بلد للعمل: ولاينوي السكن بذلك البلد، بل إذا انتهى عمله رجع إلى وطنه، فهذا ليس له أن يصلي تماما.

لكن الأفضل له أن يفرد الصلاة.

يصلي الظهر في وقتها ركعتين والعصر ركعتين والعشاء ركعتين إلا إن صلى جماعة خلف الإمام المقيم فيصلي بصلاته.

والإفراد والجمع كلاهما سنة ولكن الإفراد للمقيم أفضل والجمع للجاد في السير أفضل.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يفعل.

ولا صلاة لمن لا وطن له، ولابد من إتخاذ الوطن، ومن شروط الوطن أن لاتخرج منه إلا لضرورة.

صلاة الإستدراك

وهي التي تسمى عند أهل عمان (الرقعة) وهي واجبة على من دخل المسجد والجماعة قائمة ليس له أن ينتظر حتى تفرغ الجماعة، وليس له أن يصلي وحده قبل فراغ الجماعة بل عليه أن يدخل في الصف فيصلي مع الجماعة.

وذلك إذا تساوى مع الصف:

: وجه «بسبحانك اللهم» و «وجهت وجهي» إلى آخرهما ويكبر تكبيرة الإحرام، فإذا كان الإمام يقرأ الحمد قرأ هو الحمد ، وإذا كان الإمام يقرأ السورة إستمع للسورة، ويقضي الحمد بعد ذلك ، فإذا كان الإمام في الركوع ركع ، وإذا وجده في السجود سجد ، وإذا وجده في التحيات الأولى قعد ، وإن وجده في التحيات الأخيرة إنتظر حتى يسلم، فيصلي بعدئذ وحده ونقيس على ذلك:

كأن دخل المسجد فوجد الجماعة، ووافق الإمام قائما للركعة الثانية مثلا: وجه، وكبر، واستعاذ، وقرأ الحمد، وركع مع الإمام، وتابعه حتى يسلم. فإذا سلم الإمام: يقوم المستدرك ولايسلم. فيقرأ الحمد: إن كانت صلاة نهار والحمد وسورة: إن كانت صلاة ليل

ويركع، ويسجد السجدتين ويقوم حتى يطمئن قائما، ولا يقرأ شيئا في قيامه وهنا المحل الذي دخل فيه مع الإمام فليقعد، ويسلم.

ويقاس على ذلك إذا دخل على الإمام في الركعة الثالثة أو الرابعة:

يجعل آخر صلاته، آخر صلاة الإمام ويقضي مافاته منها. أي من أولها وإذا دخل على الإمام في الركعة الأولى مثلا:

كأن أدركه وهو يركع الركعة الأولى، فإنه : يوجه، ويكبر تكبيرة الإحرام، ويركع مع الإمام ويتابعه حتى يسلم.

ثم: لايسلم هو ، بل يقوم:

فيستعيذ، ويقرأ الفاتحة في صلاة النهار والفاتحة وسورة في صلاة الليل ثم: يقعد، ويسلم.

وإن ادركه في أول الركعة الثانية، والثالثة، والرابعة:

فبعد التسليم: لابد له من القومة التي فاتته: يقوم ويقعد حسبما قلنا، لأن القومة من تمام الصلاة، فلينتبه له.

وإن لقي الصف ممتلئا ليس فيه وسع له: فليقف وراء الصف، ويوجه، فإذا أراد التكبير للإحرام جذب واحدا من الصف، وحين يقف بجنبه: يكبر تكبيرة الإحرام، ولايكبر قبل أن يقف صاحبه بجانبه، لأنه بعد التكبير لايجوز له أن يتحرك، ولايتأخر عن التكبيرة فور وقوف صاحبه بجنبه، لأنه سيعرضه لفساد صلاته، فلينتبه له.

صلاة الجماعة

صلاة الجماعة فرض على كل مسلم للآيات والأحاديث الواردة في ذلك، ومع ذلك فهي نور للمسلم.

والصلاة الواحدة في الجماعة تعدل سبعة وعشرين صلاة للفرد.

وكان بعض الصالحين يبكي إذا فاتته صلاة الجماعة.

وبعضهم فاتته صلاة الجماعة يوم الجمعة فعاقب نفسه بصلاة تلك الصلاة سبعا وعشرين مرة.

«الفرض منهن واحد، وست وعشرون نافلة ومع ذلك فقد رأوه في النوم أنه متأخر عن الركب»

وتارك الجماعة بغير عذر : رفيض عند المسلمين لاتقبل شهادته، ولايتولى.

ومن أضاع الجماعة بشغله أو لهوه: كأن تشغله تجارته أو سياقته سيارته، أو نظرة للاعبي الكرة، أو لهوه على التلفزيون، أو غير ذلك كأن يرى لنفسه منزلة لاتسمح له بالإختلاط مع سائر الناس.

فهؤلاء في خسران مبين: يأتون يوم القيامة يندمون ولاينفعهم الندم.

ونضرب مثلا في ذلك:

«جماعة سافروا في رفقة حملوا زادهم ومايحتاجون إليه، وواحد منهم لم يحمل زادا . أما كان يستحي إن ساهموه من أزوادهم، وإن لم يساهموه جاع».

صلاة السنن

صلاة السنن لابدمنها وهي أنواع:

«فمنها مؤكد، ومنها غير مؤكد»

السنن المؤكدة :

فالمؤكد مالازمه رسول الله ﷺ، ولم يتركه لافي حضر ولافي سفر، كسنة الصبح ركعتين قبل الفريضة، وكالوتر مابين العشاء الآخرة، والفجر، وكسنة المغرب في الحضر ركعتين بعد الصلاة، وصلاة العيدين: الفطر والأضحى.

وصلاة العيدين :

وهي ركعتين بثلاث عشرة تكبيرة

يكبر خمسة بعد تكبيرة الإحرام، ثم يقرأ الفاتحة والسورة، وفي الركعة الثانية: يقرأ الحمد: والسورة ثم يكبر خمسا ثم يركع: فإذا قام من الركوع كبر ثلاثا. فتلك ثلاث عشرة تكبيرة.

ثم يخطب الإمام بعد الصلاة بما يناسب المقام.

صلاة الجنازة:

وهي الصلاة على الميت بأربع تكبيرات بلا ركوع ولاسجود فيها وصفتها: يكبر تكبيرة الإحرام بعد التوجيه

ثم : يقرأ الحمد ثم: يكبر التكبيرة الثانية ثم: يقرأ الحمد ثم يكبر التكبيرة الثالثة ثم يدعو دعاء عاما للميت كقوله تعالى:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

الآيات ٩،٨،٧ من سورة غافر

ويزيد للمتولى بأن يدعو له بالجنة ورضوان الله.

ثم : يدعو لنفسه ولأبويه ثم : يكبر التكبيرة الرابعة ثم: يصلي على النبي ﷺ ثم: يسلم تسليمة خفيفة.

السنن غير المؤكدة:

١ – صلاة تحية المسجد ركعتين، إذا دخل المسجد يقرأ فيهما بفاتحة الكتاب وسورة. وإذا دخل والصلاة قائمة فليصل الفرض، وتسقط عنه ركعتا التحية، كذلك إذا صلى بنفسه تسقط عنه أيضا.

٢ – سنة الظهر ركعتين أو أربعا قبل الفرض وركعتين أو أربعا بعد الفرض.

٣ – سنة العصر أربعا قبل الفرض.

ولاتصح الصلاة بعد فرض العصر إلى صلاة المغرب، إلا من نام عن فريضة أو نسيها فانتبه أو تذكر في ذلك الوقت فإنه يصليها.

فهذا خارج عن النهي عن الصلاة بعد العصر

للحديث :

«من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها متى ذكرها فذلك وقتها»

ويخرج من ذلك أيضا:

الصلاة على الميت وصلاة الكسوف وصـلاة الطواف، إن لم يمكن تأخيرها إلى بعد المغرب.

٤ – سنة العشاء الآخرة وهي ركعتان.

٥ – سنة الضحى ركعتان أو أربع أوثمان.

٦ – وصلاة الكسوف والخسوف لكسوف الشمس وخسوف القمر.

وصفتهما : أن يصلي ركعتين:

الثانية منهما اقصر من الأولى:

والسجدة الثانية أقصر من الأولى:

وتدخل ركعة في ركعة ، فتصير الركعتان أربعا:

إذا قام من الركوع في الركعة الأولى يقرأ مرة أخرى أقصر من المرة الأولى.

ويركع مرة ثانية ويسجد.

وكذلك في الركعة الثانية.

هذا الذي يسـن في الخسوف والكسوف لا ما يفعله عـوام الناس من الأذان في الطـرقات، وضرب البهـائم والأطفال حتـى يصيحوا، وضرب الـدفوف وإرتفـاع الضجيج، يعتقدون في ذلـك أنهم ينبهون الملائكة: أن هـذه البلاد آهلة بـالسكان، وأنهم مسلمون لايخسف بهم.

«إعتقاد دُسّ إليهم من الأعداء نسأل الله السلامة»

٧ – ومن السنن غير المؤكدة:

صلاة الحاجة ركعتان.

وصلاة الإستخارة ركعتان.

وقيام رمضان وهو التراويح.

وقيـام الثلث الأخيرة من الليل ولـو ركعتين بفاتحة الكتـاب، وآية الكـرسي في الركعة الأولى.

وبفاتحة الكتاب، وقل هو الله أحد، ثلاث مرات في الركعة الثانية.

فهذه هي السنن المهمة التـي تؤثر عن النبي ﷺ والرشد كلـه في اتباع السنة، ولا خير فيمن رغب عنها وهو قادر عليها.

سـجود السـهو

سجود السهو من الواجبات التي تجبر به الصلوات .

«وما لايتم الواجب إلا به فهو واجب».

ومعنى تجبر به الصلاة:

إذا سها المصلي، فأبـدل القيام في محل القعود، أو العكس، أو ماشـابه ذلك، ثم تذكر فرجـع أو سلم من الركعة الثانية ولم يتحرك مـن مكانه، ولم يتكلم، بل لما تذكر قام فأتم صلاته.

وكمن يصلي خلف إمام فسها في صلاته كلهـا ولم يعرف كم صلى الإمام فإنه يسجد للسهو، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ:

أمـا إذا كان منفـردا فسها، ولم يعـرف كم صلى؟ حتى فـرغ. فإن هذا يعيـد صلاته.

أما إذا شك في الثالثة مثلا: هل هي الثانية أم الثالثة؟ فيجعلها الثانية.

ومن شك في الرابعة: هل هــي الثالثة أو الرابعة؟ فيجعلها الثـالثة وليسجد بعد ذلك للسهو . وهكذا.

وسجود السهو: يرغم الشيطان، يقول يـاويلتا أمرت بالسجود فعصيت، وأمر ابن أدم بالسـجود فأطاع.

والسجـود عقب الصـلاة بـلا سهـو جـائز. إن لم يعتقـد أن السـجـود لاحق بالفريضة.

وكان الـربيع – رحمه الله – يسجدهما بـلاسهو تنـزيلا لما قد يقع مـن غفلة وتقصير منزلة السهو.

ويقول ابن عباس « إن استطاع أحدكم أن لا يصلي صـلاة إلا سجد بعدها سجدتين فليفعل »

لكن بشرط أن لايعتقد أنه فرض.

ولذلك تركه علماؤنا المتأخرون خيفة أن يظن الجهال أنه فرض.

الإلتفـات في الصلاة

كثير من الجهـال يلتفتون في صـلاتهم، وهـذا مفسد للصـلاة قطعا، ولاقـائل بجواز الإلتفات في الصلاة، والمذهب لايجيز أدنى حركة فيها.

والصلاة تنتقض بالعبث، وإن قل: مالم يكن لإصلاحها.

فبعضـهم يمـر عليه أهل الطبول والـرقص والغناء وهـو يصلي ولم يسمعهم. وفيهم من هؤلاء كثير وكثير - رضى الله عنهم وأرضاهم.

ولا عبرة بالجاهل وعمله، فـلا يؤخذ الدين من الجهـال، ولا يحكم على العموم بالخصوص، ولاينبغي أن يتسارع إلى قوم صالحين فينسب إليهم غير الحقيقة.

«وأهجى الناس من يهجو قبيله»

والله عند لسان كل قائل فليقل ماشاء.

ومن مفسدات الصلاة أيضا:

رفع الـرأس إلى السماء، وكثير من الجهلة يستعملـون هذه الحركة عند رفع رؤوسهم من الركوع، وخفض الذقن الى الصدر، حتى يكون نظره إلى بطنه.

والهيئة الصحيحة في الصلاة:

أن يكون نظره إلى موضع سجوده، ولايتجاوزه إلى أبعد أو أقرب. ولا يغمض عينيـه مهما استطـاع ولايفتحهما فتحـا يجره إلى الأشتغـال بمـن حـولـه ولكن يجعلهما بين فتح وإغلاق، وفي القعـود لايقعد على عقبيه، فإن هـذا القعود منهي عنه في الصلاة من قبل الشارع.

ولاينقر السجـود ولايكفي أقل من ثلاث مرات أن يقـول سبحان ربي الأعلى. وبين السجدتين يتمكن من القعـود حتى يرجع كل عضـو في محله، ولايقل بشيء فإن القول مابين السجدتين مفسد للصلاة..

والله الموفق،،،

غسـل الميت

من السنن المؤكدة غسل الموتى.

وصفة الغسل:

أن يوضع الميت على خشبة، وتستر عورته، ويجعل من يغسله خرقة على كفه.

فيبدأ أولا :

بعورته فيغسلها من السرة إلى الركبة، ويدخل يده تحت الستر فيغسل عورته.

ثم يجلسه ويعصر بطنه ثلاث مرات، ويغسله إن خرج منه شيء وبعد مايطمئن أنه لاتوجد نجاسة:

يغسله بماء وسدر - ولعل من غسل في هذا الوقت بالصابون لايعنف - لأن الصابون أبلغ من السدر، وفي الغسل بالسدر سنة.

ثم يوضئه وضوء الصلاة ، ثم يغسله بماء صاف كالغسل من الجنابة ثم يغسله بماء فيه شيء من السدر ثم يغسله بماء فيه شيء من الطيب كالكافور ونحوه.

فيكون مجموع الغسلات ثلاث وهي سنة

ثم ينشف عنه الماء ويوضع في أكفانه.

صفة الكفن:

أن تؤخذ ثلاثة أثواب بيضاء طاهرة للرجل:

إزار وقميص وعمامة.

وللمرأة خمسة أثواب:

سروال وقميص وخمار ولفافتان

تفرش الثياب على الجنازة أولا، ثم يوضع الميت عليها، وقبل أن تلف عليه يحنط.

والتحنيط :

وضع القطن في منافذه، ويستحب أن يوضع على القطن طيب، فيوضع الحنوط

على عينية ومنخريه وأذنيه وفمه، ولفافة على الوجه كله، ويوضع منه على ترقوته، وإبطيه وصدره، وسرته، وفرجه، وتحت ركبتيه، وبين أصابع يديه ورجليه، ثم يلف الكفن عليه، ويربط ربطاً خفيفاً

ويستحب إذا وضع في قبره أن يرخى الرباط عن عينيه ليرى الملكين.

ومن السنة أن يجمر الجنازة بعود يدار حولها ثلاث مرات، ثم يحمل إلى قبره، ويوضع في مكان طاهر فيصلى عليه، ثم يدفن، ويخلى بينه وبين ربه الكريم الرحيم.

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

الآيتان ٧، ٨ من سورة الزلزلة

صلاة الإستسقاء

وتسن صلاة الإستسقاء عند الجدب وانقطاع الامطار

وهي ركعتان :

يقرأ في كل ركعة بالحمد وسورة ثم يقوم الإمام يخطب خطبة يسأل الله فيها بتضرع وخشوع أن يكشف عنهم البلاء، ويمطرهم رحمة بالعباد والبهائم والأطفال، ويقلب رداءه كما ورد في السنة ، وقلب الرداء تفاءل بانقلاب الزمان.

ومن السنن:

الاستحداد: وهو إزالة الفضلات من الجسد:

كتقليم الأظافر ونتف شعر الإبط وحلق شعر العانة وأخذ أسفل الشارب وجوانبه وكل هذه الأفعال سنة أمر المسلم بفعلها.

وهي من النظافة بمكان لايخفى، إذ تجتمع بها الأوساخ إن طالت وتكثفت، فالأظافر قبيح منظرها وهي خارجة من حدود اللحم.

والشارب إن طال تكون هيئة صاحبه منكرة مستقبحة لاتقل في القبح عن

حالق اللحية أو ناتفها أو العابث بها.

ولله در الشرع ماأكرمه، لم يأمرنا بشيء إلا كان فعله مستحسنا في عين رائيه، ولم ينهنا عن شيء إلا كان فعلـه مستقبحا، سمجا، ترى صاحبـه يرى نفسه أقل من غيره، إذا حضر عند أهل الفضل يبدو عليه انكسار وذل، وهكذا الشأن في كل صاحب معصية.

أنظر مثلا إلى من أخذ امرأة بحلال:

يشهر العرس، ويطعم الناس، وينام في المكـان الوطي، والفرش الهني، في فرح وسرور.

ومن أخذها بحرام:

يخفيها عن أعين الناس، ولايهمه إلا خلوة يجدها لها ولو في درس حمار، بذلة وانكسار فهذا فرق مابين الحلال والحرام والطاعة والمعصية.

فإن قلت: نرى كثيرا لا يستحيون من هـذه الأعمال، يفعلون وهم يضحكون ، بل ربما يفخرون.

قلت: هؤلاء الناس في شبه البهائم ، نزع الله الكرامة من قلوبهم، فلا عبرة بهم، وهم أفذاذ حقيرون ولو كثروا.

واللحية :

كرامـة من الله الكريم، أكرم بها أمـة محمد ﷺ على لسان نبيها، فكـانت فيها سنن ثلاث:

قولية، وفعلية، وتقريرية.

وعاش النبي ﷺ حتى مات ولم يمس لحيته ومضى الصحابة والتابعون ومن تبعهم من الصـالحين، بل وحتى الفاجرين.

قص اللحية :

فضـلا عن حلقها عند الصـالح حرام، وعند الفاجر عيب، حتى غزانا الإستعمار، وغرس فينا بذور الرذائل على اختلاف أنـواعها، وإن تخلى عن بلد استعمر قلوب أهلها.

وناهيـك بإغراء المرأة المسلمة بـأن تطلب التحرير، ومـاصارت إليـه الآن هذه

المسكينة تائهة بين الحرية المزعومة، وبين الحرية التي اختارها الشرع لها كالشاة يقودها الذابح إلى هلاكها فتجري وراءه، أو بها ترى المرعى والذئب ينتظرها فيه، ولاتدري.

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

الآية ١٥٦ من سورة البقرة

وعتبت على رجل عمانى حلق لحيته، فقال:

وجدت علماء وشباب يحلقون لحاهم،فقلت له:

لو كان كل عالم وكل ذي شيبة يستحق ان يقتدى به لكان إبليس أحق بالإقتداء، لأنه من أكبر العلماء، ومن أسن الموجودين.

(والله يهدي إلى سواء السبيل)

تحريم الخمر والدخان

عن سماحة الشيخ احمد الخليلي

مفتي عام السلطنة

سؤال : بعض المنتمين إلى الاسلام المتمردين عليه يقول:

«ليس في الإسلام نص صريح في تحريم الخمر والدخان» فما جوابه؟

تفضل فأبسط القول فيه:

الجواب: كبرت كلمة قالها هذا المفتري الأفاك وعظمت فرية على الله ورسوله ودينه فإن حرمة الخمر ثابته بالنصوص القاطعة التي لايماري فيها إلا المخذولون الذين أعماهم هوى نفوسهم، وقادهم إلى الردى، ومن أين لأحد أن يزعم ذلك والله تعالى يقول في سورة المائدة:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)

الآيتان ٩٠ و٩١ من سورة المائد

فتحريم الخمر في هاتين الآيتين واضح من عشرة وجوه:

أولها : قرن الخمر بالميسر، وهو أكل مال الغير بغير حق.

ثانيها : قرنها بالانصاب والأزلام وهي من طرق الشرك، وأعمال المشركين.

ثالثها : الحكم برجسيتها، والرجس لايكون حلالا.

رابعها : بيان أنها من عمل الشيطان ، وعمل الشيطان ليس من الحل في شيء.

خامسها: الأمر باجتنابها، والأمر للوجوب مالم تصرفه قرينة.

سادسا: تعليق الفلاح على اجتنابها.

سابعها : أنها من أسباب العداوة والبغضاء» ومأأدى إلى العداوة والبغضاء بين الناس فهو حرام.

ثامنها : بيان أنها صادة عن ذكر الله، وماصد عن ذكر الله فهو حرام.

تاسعها : بيان أنها صادة عن الصلاة، وهي (أي الصلاة) رأس العبادات ومجمع الذكر، ومنشأ الاستقامة على الخير.

عاشرها : التأكيد على وجوب الإنتهاء عنها، والإرتداع عن معاقرتها بأبلغ عبارة تدل على ذلك، وهي قوله عزوجل (فهل أنتم منتهون) (المائدة ٩١)

فليت شعري ما الذي بقى لمدع عدم وجود نص في الإسلام على حرمة الخمر؟

وفي الأحاديث الصحيحة دلائل متضافرة على حرمة الخمر. منها قوله عليه افضل الصلاة والسلام.

«كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»

وقوله: «ما أسكر كثيرة فقليله حرام»

وقوله: «حرام قليل ماأسكر كثيره»

وقوله : «ماأسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام»

وقوله : «لعن الله الخمر وشاربها... إلى آخر الحديث».

وهي أحاديث مستفيضة تلقتها الأمة بالقبول ، فلا مجال للشك فيها.

أما الدخان

فلم يكن الناس يستعملونه زمن الرسالة وإنما حدث بعدها بقرون، وهو داخل في ضمن القواعد العامة التي وضعها الإسلام لجزئيات الحلال والحرام.

فالإسلام يحرم جازما كل مايضر بالعقل أو البدن أو المال، أو العرض. ومضار التدخين من كل هذه الأبواب أوضح من أن تحتاج إلى بيان.

ويحسبه حرمة أنه يؤدي إلى السرطان الفتاك والعياذ بالله فهو سهم قاتل ومن الذي يستبيح أن يقتل نفسه، فضلا عن كونه خبيث الرائحة والأثر والله تعالى يقول:

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾

الآية ١٥٧ من سورة الاعراف

فهو حرام قطعا لهذه الدلائل.

ومن جادل فيه فهو مكابر لعقلة، ومنكر للبديهات والعياذ بالله والله تعالى أعلم.

وبتمام هذه الفتوى تختتم هذه الرسالة بالحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، محمد وآله وصحبه أجمعين، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

الجزء الثالث

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا

صدق الله العظيم

الآية ٣٦ من سورة النساء

الحقــوق

الحقوق نوعان :

١ – حق بين العبد وربه.

٢ – حق بين الإنسان والمجتمع.

١ – الحق الذي بين العبد وربه هو أن يعبد الله تعالى ويوحده ويطيعه ولا يشرك به شيئا.

٢ – الحق الذي بين الإنسان والمجتمع هي حقوق العباد فيما بينهم، ليعم الإحسان بين بني البشر في كل ظروف الحياة.

والحقوق

خاصة، وعامة، وفريضة ومندوب إليها.

الحقوق الخاصة

حقوق الرحم وتجب صلتها

إما بالسعي إليها والإحسان، وهي أعلى الصلة، أو الإحسان إليها بالمال من دون سعي ، أو السعي إليها من دون الإحسان بالمال. وإن لم يستطع السعي ولا الإحسان فبالسلام ، وهو أدناها .

ولاينوي القطيعة.

وقاطع الرحم ملعون كما جاء في الحديث.

وشق الله إسمها من إسمه (الرحيم) فمن وصلها وصله ، ومن قطعها قطعه.

حقوق الوالدين:

وهذا من الحقوق الخاصة على الولد أن يبر والديه، ويحسن إليهما غاية الإستطاعة ولو فاجرين.

ويطيعهما في غير معصية الله، لأنه

«لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق»

ويتواضع لهما، ويقضي حوائجهما عن رغبة واحتساب ولاينظر إليهما نظر اشمئزاز وتبرم واحتقار وإذا دعياه فلا يجيب وهو قاعد، بل يجيب وهو يجري إليهما.

و«من أصبح مرضيا لوالديه، أصبح له باب مفتوح إلى الجنة، ومن أسخطهما أصبح له باب مفتوح إلى النار».

ويلزمه:

أن يجدد التوبة بعد موتهما، ويصل أصدقاءهما ويبرهم إجلالا لهما.

والعم والأخ الكبير كالأب، والخال والخالة كالأم إذا فقد الأب والأم، ينبغي عليه أن يحترمهم، وكذلك شيوخ المسلمين.

حقوق الأولاد:

روي عن النبي ﷺ قال: «رحم الله والدا لم يحمل ولده على شاق يعصي بتركه». ويترحم لهما بعد موتهما بما أمر الله تعالى:

وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾

الآية ٢٤ من سورة الاسراء

وقد قيل في الولد أنه: سبع ريحانة، وسبع خادم، وسبع شريك، ثم هو عدو أو صديق.

ومن حقوقه: أن يختار له أما ذات حسب ودين حتى لايعير بها.

يقول الشاعر:

فأول إحساني إليك تخيري   لماجدة الأعراق باد عفافها

كما قال ﷺ:

«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس»

ثم بعد أن يولد:

على أبويه أن يختارا له أحسن الأسماء كأسماء الأنبياء والصالحين ثم : يعق عنه في السابعة من ولادته.

والعقيقة: أن يذبح عنه جدي أو كبش يفرق لحمه في الأقارب والجيران

ويلاحظه عن الأفعال الرديئة.

ويلقنه معرفة الله، ومعرفة رسوله، ومعرفة الصالحين. ويغرس في قلبه التنفير عن الرذائل وأصحابها ويعلمه القرآن ويحفظه إياه.

ويحفظه عن اللعب في المواضع المستهجنة حتى إذا بلغ سبع سنين علمه الصلاة، ويمرنه على أدائها.

وفي هذا الزمان:

توجد المدارس النظامية، لابأس بإرساله إلى المدرسة لكن شرط أن لايكله على المدرسة، بل يراقبه في نهاره وليله.

ويسأله عما تعلم !. وأين ذهب ! وكيف سار ! حتى يعرف أن خلفه مسئولية، فلا يتعود الغياب عن البيت، وليظهر له الهيبة من الصغر، فإن لم يفعل رأفة فقد أضاعه، فيصعب عليه زجره إن كبر، وسينشأ على غير أدب وفي الاثر «من أدب ولده صغيرا سر به كبيرا».

وقد سمعت بعض العقلاء يقول:

«إن كنت تحب ولدك مائة جزء من المحبة، فلا تظهر له إلا جزءا، واحدا، واكتم عنه التسعة والتسعين جزءا يصلحك ويصلح نفسه».

ويضربه على الصلاة، والتهاون بها بعد العشر سنين لكي يمتزج لحمه بالطاعة، فيصل حد التكليف، وقد عرف حلاوتها، لأن الولد الصغير كالأرض البيضاء أيما زرعت فيها نبت. فانظر ماذا تزرع.

وأشد ما أوصيك به أن لايحملك الحب على تركه ومايجب، فإن ذلك ليس من الحب وإن توقعته أنه الحب - واستعذ بالله من فتنته - والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾

الآية ١٤ من سورة التغابن

وقال محمد بن جعفر لابنه: «إن الله رضيني لك فحذرني فتنتك، ولم يرضك لي فأوصاك بي، يابني: خير الأولاد من لم يدعه البر إلى التفريط، ولم يدعه التقصير إلى العقوق».

ويعزل الذكر عن الأنثى في فراش النوم.

ويكثر من تقبيل البنت الصغيرة، فإن في تقبيلها أجرا ولعله لما يخاف من كرهها ، فترغم النفس على التقبيل، وكراهة البنت من بقايا الجاهلية، وعلى المؤمن أن يقبل كل ماأعطاه الله أياه، لأن الخير فيه ولاشك وسخط أعرابي على زوجه حين ولدت بنتا، فهجرها. فقالت:

مالأبي حمزة لايأتينا يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا ليس لنا من أمرنا ماشئنا

وإنما نأخذ ما أعطينا

وكنت إذا قيل لي ولدت لك بنت أسرعت إليها فقبلتها، ودعوت الله لها بالهداية خلافا للجاهلية الأولى، ولاأفضلها على الابن خلافا للجاهلية الحديثة.

حقوق الزوجين

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾

الآية ٢٢٨ من سورة البقرة

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾

الآية ٣٤ من سورة النساء

في هذه الآية الكريمة:

قسم النساء قسمين، بعد مافضل الرجل عليها لعقله وتدبيره، واستطاعته على كسب الأموال وإنفاقها.

ثم قال: (من النساء من يعترفن بذلك، ويطعن الرجال، ويحفظنهم ويحفظن أموالهم: وهن الصالحات القانتات الحافظات للغيب)

والقسم الثاني : المنكرات لذلك الخارجات عن طبيعتهن: وهن الناشزات اللاتي يعالجن بالهجر والضرب.

وكل من خرجت على طبيعتها فهي ناشزة - وإن رضى زوجها - إذ لاعبرة برضاء مثله، فهؤلاء الأزواج هم الذين وصفهم النبي ﷺ بقوله :«كل ديوث في النار».

قلت : ولم تفسد النساء إلا بعد مافسد الرجال، فلما انحط الرجال عن مراتبهم، انحطت النساء عن مراتبها.

ومن حقه الشرعي عليها:

أن تحفظه في نفسها، وماله، وتخفض له جناحها، وتسليه في وقت همه، ليطمئن إليها، ويستأنس بها.

فإذا لم تكن هذه الصفة لم يحصل السكون الذي خلقت له ، وتزوجها من أجله، قال الله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾

الآية ١٨٩ من سورة الاعراف

وله عليها حق عظيم قدمه الشارع على حق الأبوين، وقال :«لو أمرت أحدا بالسجود لأحد، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها».

وقال:

«لو لحسته من قرن لقدم قيحا، ما أدت حقه».

وإذا منعها عن شيء فعليها الإمتثال حتى إذا منعها مثلا أن تصوم نافلة، أو تصلي نافلة، فعليها الإمتثال فكيف إذا منعها عن شيء فيه معصية الله، فإذا

خالفته لعنتها الملائكة حتى ترجع، وإن لم تدارك نفسها بالتوبة ماتت إلى النار.

ومن حقها عليه :

أن يلين لها جانبه، ويعطف عليها.

قال رسول الله ﷺ:

«خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»

ويتحملها إن أساءت، اذ لايخلو بشر من نقص - حاشا صاحب الرسالة النبي الأمين - ولايبدي لها الكراهة، وإن كرهها. قال الله تعالى:

وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

الآية ١٩ من سورة النساء

ويقول النبي ﷺ:

«لايفرك مؤمن مؤمنه. إن كره منها خلقا، رضي منها آخر» ويفرك تعني يبغض.

وعليه لها أن لايقتر عليها في النفقة، ويقوم بكل مايجب عليه من حقوق.

يقول النبي ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»

وآخر ماأوصى به النبي ﷺ المرأة والمملوك.

ويعلمها أمور دينها إن كان أعرف منها بأمر الدين. لاسيما الغسل من الجنابة والحيض والنفاس والتحفظ عن النجاسة ، وغير ذلك مما يلزمها.

وقال الله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا

الآية ٦ من سورة التحريم

وقد أثنى الله على نبيه إسماعيل عليه السلام بقوله:

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾

الآية ٥٥ من سورة مريم

وعليهما جميعا:

أن لايفشيا سرا بينهما، ولايخبرا احدا بما جرى بينهما في المعاشرة، فإن من فعل ذلك يكون كمن عاشر زوجته في حضرة الناس.

توعية للناس

إن الاستمناء زنا»

وهو أن يعبث بذكره حتى ينزل.

وهو مع حرمته مضر جدا لفاعله، ويورثه أمراضا، وإرهاقا، وربما يصير لا يملك نفسه كلما تحرك ذكره أمنى، سواء كان مهيئا لذلك أو غير متهيء وقد يصيب كثير من الناس بذلك، فيكفيه هذا الأذى لو كان مباحا، فضلا عن كونه ممنوعا شرعا.

والنبي صلى الله عليه وسلم أوصى الشباب بالصوم فقال : يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء»

يعني إن الصوم يكسر الشهوة، وقد استعمل الصوم بعض الشباب فنجحوا.

فليأخذ الشباب حيطتهم في ذلك، وليستعينوا بالصبر على ميعة الشباب لا سيما في هذا الوقت الذي غلت فيه المهور، وكثر فيه الفجور، ولله الأمر من قبل ومن بعد ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم

حقوق الجار

قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«ما زال أخي جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه يورثه»

والجيران ثلاثة :

جار له حق واحد : وهو المشرك. له حق الجوار.

وجار له حقان : وهو المسلم. له حق الجوار وحق الإسلام.

وجار له ثلاثة حقوق : وهــو المسلم القريب. له حق الجوار، وحق الإسلام وحق القرابة.

وكل الثلاثة تلزم لهم حقوق :

أهمها عدم إيذائهم، وإحتمال أذاهــم، والنصح إن رأى منهم انحرافا، وتهنئتهم في الفرح، وتعزيتهم في الترح، ومساهمتهم من الأشياء الغريبة إن علموا بها، ولم يكن عنـدهم منهـا شيء، وعـدم التطلع إلى عـوراتهم ولا يفشى سرهم، وقضاء حوائجهم، وإعانـة محتاجهم، ويروى أنه يتعلق جار بجـاره غدا. يقول :«منعني معروفه».

حقوق الضيف

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»

ومن حقوق الضيف : تعهده، وإصلاح شأنه ولين الجانب له، وإكرامه بالطعام والشراب، وطيب المنام، ولا يفعل أمـامه شيئا يستوحش منــه ضيفه كضرب إبنه أو خــادمــه أو انهارهما، وليشيعـه إذا خـرج إلى بـــاب داره ويستقبلـه إذا أقبل بالبشاشة والترحيب.

ويقول قطب الأئمة- رحمه الله- : «ولا حق لضيف الشيطان» وهو الخارج في معصية، أو قـاطع الطريق، أو الطاعن في دين المسلمين، أو المحـارب، أو القائم على فراش حرام (هو الزانـي)، ومن هجره المسلمون. فهؤلاء كلهم لا حق لهم واجب.

وعلق الشيخ أبـو اسحاق اطفيش على قولـه : «والطاعن» بقولـه : والدال على

عورات المسلمين، لأنهما في الحكم سـواء في نظر الشريعـة، بل الأخير أشقـاهما، وأخبثهما، وأشد ضررا على الأمة والدين، لأنـه عبارة عن عين العدو، فكلما أحس بريـح في الأمة ماديـة أو أدبية دل عليهـا الرصيـد الظالم الذي يحارب كـل قوة ورقي في الشعب المغلوب على أمـره، والجبار المستبد الذي يبـذل جهده في الشعب على السذاجـة والغفلة، ليكـون مابقي في قبضتـه، خاضعـا لإرادته الخبيثـة، آلة شهواته الخسيسة.

فالخائن أو عين العدو أضر حتى على نفسه من كل شيء، لأنه يحارب ما يعود بالمنفعة والسعـادة على أمته التي يسعد بسعـادتها، ويشقى بشقاوتها، يهدم كل مجد يكفل الفوز له ولأبنائه وأحفاده، فهو عدو لنفسه، كما هو عدو لبني جلدته، يجب أن يحرم من كل حق كان له، إذ صـار منسلخا من كل فضيلة. إن المسلم يشك في إيمان هؤلاء.

وإلا فكيف يكون من فيه ذرة منه آله لهدم دينه، وخراب وطنه.

إن من خيانة الأمانة التي تحملها العبد لله، وخيانة الأمة، والإضرار بالمسلمين أن يكون شخـص في شعب ينتمي إليه متلبسـا بالسعايـة، ومتخذا لها حـرفة، فهي أقبح صفة يبدو بها المرء بين الناس.

ولقـد ظهـرت هـذه الموبقـة الكبرى في كثير مـن المسلمين، واستلـذوهـا، وهم يزعمون أنهم من الدين في شيء وهو بريء منهم.

وكفى للعبد خذلانـا خروجه من ربقة دينه، وحظيرة قومه، بخـدمة من يكيد لهما، فيكون في الآخرة من الخاسرين.

ولا أشرف للعبد من أن يكون حصنـا حريزا لأمته، وإخلاصـا متجسما لدينه ووطنه. فإنه خلق لهما.

ولا سـلامـة لهيئـة اجتماعية إلا بصـدق أفـرادهـا، وعمل كل مـا تقتضيـه مصلحتها، فإن المرء مسئول عنها يوم تجزى كل نفس بما تسعى.

انتهى كلام الشيخ أبي إسحاق ـ رحمة الله ـ

حق ابن السبيل

وهو المنقطع عن وطنه وماله.

وهو أخص من الضيف، فيلزم من وجده أو قصده أن يكرم نزله ، وأن يعينه على سبيله ومثل هذا يستحق أن يعطى من وقف، أو من مال مسجد أو من الزكاة، ولو كان غنيا في داره.

حق الصاحب بالجنب

وهو الصاحب في السفر، له حق الصحبة والمواساة في الزاد، وفي الخدمة وفيما يحتاج إليه، ويقدمه على نفسه، ويدفع عنه الأذى، ولا يسلمه لمن أراده بسوء

وأحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه.

ولا فضل لأحد إلا بالتقوى، والمرء كبير بأخيه ولا خير لصاحب لا يرى لك ما يرى لنفسه، وخير الصحب من يعين الذاكر، ويذكر الناسي.

– رواه قطب الائمة –

الحقوق العامة

الإحسان إلى اليتيم والمسكين والمحتاج عموما ، لما روى عنه صلى الله عليه وسلم:

«المسلمون كالبنيان يشد بعضه بعض ، وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». و «كاليدين تغسل إحداهما الأخرى» و «لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» وقضاء حاجة المسلم، والسعي في قضائها خير من إعتكاف شهرين، ويجب أن

تحب لأخيك ماتحبه لنفسك، ومؤذي المسلم ملعـون، والسالم من سلم الناس من لسانه ويده.

ومن الحقوق العامة أيضا:

السلام على من لقيت

«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم .. أفشوا السلام بينكم» رواه مسلم «دليل الفالحين ج ٣ص ٢٣٢

والاستئذان في البيوت ، وإن لم يؤذن فلا يدخل

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾

الآيتان ٢٧ و٢٨ من سورة النور

ومصافحة أخيك إذا لقيته والمعانقة للأبوين والأخ الكبير والتقبيل للأطفال.

ومن إجـلال الله إجـلال ذي الشيبة في الإسـلام ، وإجلال حـامل العلم، ومن السنة إطلاق الـوجه للناس، والبشاشـة عند استقبالهم إلا صاحب البـدعة ، فلا ينبغي أن يبش في وجهه ، وذلك كحالق اللحيـة مثلا ، أو لابس الذهب في عنقه أو يده ، فإن البشاشة في وجهه تزيـدد جرأة على البدعة، إلا إن رجوت غير ذلك ، والميزان نفسك ونيتك.

«والله يعلم السر وأخفى».

ومن السنن..

المداراه وفرق ما بينها والمداهنة:

أن المداراة بذل الدنيا للدين والمداهنة بذل الدين للدنيا.

ومن الحقوق العامة:

الصلح بين المسلمين ، وبذل الجهد في التوفيق بين المتخاصمين.

ومنها: تشميت العاطس: يقول له «يرحمك الله» إن قال «الحمد لله». أما إذا لم يقل فلا حق له ، ولا حق للمزكوم إن عطس.

ومنها : عيادة المريض ، ومن عاد مريضا خاض في رياض الجنة ، ومن قعد عنده كمن قعد في بساتين الجنه، ويخفف الجلوس عنده. ومنها تشييع جنازة المسلم، ومن شيع جنازة فله من الأجر قيراط والقيراط كجبل أحد..

وقيل عشر خصال يضعها الله فيمن أحب :

١- صدق الحديث.

٢- وإعطاء السائل.

٣- والمكافأة بخير.

٤- وصلة الرحم.

٥- وحفظ الأمانة.

٦- وإقراء الضيف.

٧- والعفو.

٨- واحترام الجار.

٩- واحترام الصاحب.

١٠- والحياء وهو رأسهن.

ومجلس العلم:

أفضل من كل مجلس.

روى «أن المجلس الصالح يكفر عن المرء من ألفي ألف مجلس سوء». «وما جلسوا للذكر إلا حفتهم الملائكة ، وغشيتهم الرحمة ، وذكرهم الله فيمن عنده».

ومجلس العلم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وصوم ألف يوم وصدقة ألف درهم ، وألف حجة ، وألف غزوة ، سوى ماوجب ، لأن الله يطاع بالعلم ، ويعبد بالعلم ، فخير الدارين مع العلم ، وشرهما مع الجهل وينبغي: أن يقول عند حضور مجلس الذكر:

أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله وأشهد أن الدين كما شرع ، وأن الإسلام كما وصف ، وأن الكتاب كما نـزل، وأن القول كما حدث ، وأن الله هو الحق المبين ، ذكر الله محمدا بخير ، وصلى عليه ، وحياه بالسلام.

رفع ذلك كله الإمام قطب الأئمة – رحمة الله –

أهل كبائر الذنوب

عن سماحة الشيخ أحمد الخليلي
– مفتي عام السلطنة –

س: هل لأهل كبائر الذنوب شفاعة في الآخرة إذا هم ماتوا على ذلك؟

ج : أريد أن أفيد السائل وغيره بأن القرآن الكريم ينص في آيات كثيرة على أن كل من عمل صالحا جوزي بما عمل، ومن عمل سيئا جوزي بما عمل ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى هذه الأمة من الإغترار بالأماني فقد قال عز من قائل

لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾

الاية ١٢٣ من سورة النساء

في ذكر أمانـي أهل الكتاب مع أمانـي هـذه الأمة إشارة إلى أن بعض أفراد هذه الأمة سوف يغترون كما اغتر أهـل الكتاب وسوف يتعلقون بـالأماني راجين الله سبحـانه وتعـالى أن يغفر لهم ذنـوبهم بمجرد إنتمائهـم إلى هذا الـدين الحنيف وتصديقهم بالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام.

وفي ذكر أمانـي أهل الكتاب مع أمانـي هذه الأمة تحذير لهذه الأمة من مسلك أهل الكتاب ليأخـذ كل واحد حذره وليعمل جهـده في طاعة الله سبحـانه وتعالى وقد جاءت آيات كثيرة يؤيد ما فيها ما جاءت به هذه الآية من أن كل أحد سوف يجازى بعمله من ذلك قوله سبحانه وتعالى :

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾

الآيتان ٨٩ و٩٠ عن سورة النمل

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾

الآية ٨٤ من سورة القصص

وهذه نصوص صريحة لا تقبل الجدل أن الله سبحانه وتعالى يجزي كل أحد بعمله خيرا كان أو شرا. وقد بين سبحانه وتعالى أنه يغفر ذنوب التائبين لاذنوب المصرين فقد قال عز من قائل :

﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾

الآية ٨٢ من سورة طه

وبيّن سبحانه وتعالى أنه يغفر سيئات الذين يجتنبون الكبائر أي يغفر صغائرهم دون كبائرهم ولا يغفر الصغير إلا مع اجتناب الكبائر وشريطة عدم الإصرار عليها بقوله سبحانه :

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

الآية ٣١ من سورة النساء

وإذا أدرك الإنسان ذلك فهم معنى قوله سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾

الآية ٤٨ من سورة النساء

فيغفر الشرك لمن يشاء إما بالتوبة والإقلاع عن الكبائر والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وإما باجتناب الكبائر مع صدور بعض الصغائر من غير قصد الإصرار عليها ومن غير الإستمرار على ارتكابها.

هذا هو المقصود بقوله تعالى :

﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾

الآية ٤٨ من سورة النساء

فقد بين سبحانه في آيات أخرى من يشاء لهم المغفرة وهم الذين يجتنبون الكبائر ولا يصرون على الصغائر وقد جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع إستغفار» وكما أنه سبحانه وتعالى حذر من أماني الغفران وبين أن كل أحد سوف يجزى بما كسب، حذر أيضا من أماني الشفاعة،، وقد وجه هذا التحذير إلى هذه الأمة، فقد قال مخاطبا المؤمنين :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾

الآية ٢٥٤ من سورة البقرة

وفي هذا أيضا تحذير لهذه الأمة ولغيرها من التعلق بأماني الشفاعات.

وأن الإنسان يشفع له النبيون يوم القيامة، وسوف يتخلص من العقاب،وقد بين سبحانه الذين يستحقون الشفاعة من النبيين وغيرهم في قوله :

﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾

الآية ٢٨ من سورة الانبياء

فالشفاعة تحق للرضي دون غيره، وإن كان الرضي يستحق دخول الجنة، فقد يتوب التائب من معصيته ويجعل الله سبحانه وتعالى للشفاعة نصيبا في قبول توبته.

أما المصرون على الكبائر فلا شفاعة لهم بهذه النصوص القاطعة.

الجـــزء الرابع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا
يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ
وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾
ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

الآيات ١٠٠ – ١٠٣ من سورة الانعام

عدم رؤية الباري جل وعلا

السؤال : سماحة الشيخ المفتي أحمد بن حمد الخليلي : ماهي الأدلة العقلية والنقلية على عدم رؤية الباري في الدنيا والآخرة ؟

الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين، أما بعد : فإنه من المعلوم أن الله سبحانه وتعالى مخالف لجميع المخلوقات في جميع صفاته، فلا تشبهه في شيء ولا يشبهها في شيء فلا يوصف الحق سبحانه بأنه ذات :

أي بأنه جوهر.

ولا بأنه عرض.

أو بأنه جسم.

ولا يوصف عز وجل بأنه حال في مكان.

أو حادث في زمان..

فالأمكنة لم يؤثر تعاقبها عليه شيئا، لأنه تعالى كان قبل خلق الزمان وقبل خلق المكان.

وهو الآن على ما عليه كان لا يدرك بعين ولا يطلب بأين.

فجميع صفات الخلق مستحيلة عليه عز وجل، بهذا يتبين أن ذاته سبحانه وتعالى غير قابلة لان ترى فهو عز وجل لا يمكن أبدا أن يشخص بعين ولا بأية حاسة من حواس الإنسان كما أنه لا يدرك بفكر وإنما قصارى إدراك الإنسان بالذات، اقراره بعجزه عن الإدراك كما روى عن الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال : «العجز عن الإدراك هو الإدراك».

والامة اختلفت في رؤيته تبارك وتعالى، والقول الحق الذي لا مرية فيه أنه سبحانه وتعالى لا يصح أن يوصف بأنه يرى في الدنيا ولا في الآخرة فذلك هو

الذي أخبر به عن نفسه، ولا يمكن أن يرد ما أخبر الله تبارك وتعالى به عن نفسه ولا عن غيره، بل يقول عز وجل : في وصف نفسه :

﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

الآية ١٠٣ من سورة الانعام

والذين يريدون أن يثبتوا الرؤية لله تعالى في الآخرة أو في الدنيا والآخرة تأولوا الإدراك هنا بمعنى الإحاطة وذلك ما لا يصح أبدا ذلك لأن الإدراك لا يفسر بالإحاطة، فنجد في كتب اللغة الدرك : «اللحاق» وذلك موجود في القاموس وشرحه وفي لسان العرب. وجاء أيضا في لسان العرب : أدركته بعيني : بمعنى رأيته هكذا جاء شرح ذلك في هذا الكتاب اللغوي الكبير المعتمد عند جميع العرب فكيف يقال : إن الإدراك هو بمعنى الإحاطة ؟

ويقال أيضا : أدركت حياة فلان ، ويمكن أن يصدر هذا القول ممن لم يحط بحياته من أولها إلى آخرها، فكيف يمكن أن يطلق لفظ الإدراك لحياة شخص مع أن المدرك لم يحط بحياته من أولها إلى آخرها.

ويقال : أدركه السهم، إذا وقع عليه ولحقه، ولا يقتضي ذلك الإحاطة، ثم إن العرب تسمي المطر : المطر المتدارك، والمقصود بالمتدارك : المتلاحق ولا يقصد من ذلك : أن كل ديمة تحيط بغيرها من الديم فإن ذلك متعذر، والله سبحانه وتعالى يقول، في أهل النار :

﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا﴾

الآية ٣٨ من سورة الاعراف

وليس المقصود بقوله (حتى إذا اداركوا) إلا بمعنى تلاحقوا.

ثم إن من ناحية أخرى، نجد أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها تنفي اللبس بتفسيرها هذه الآية الكريمة.

وقد أخرج الإمام الربيع والشيخان وغيرهما عنها رضي الله عنها أنها قالت : «ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية» وهذا الحديث رواه عنها «مسروق» من قال إن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال مسروق :

وكنت متكئا فجلست وقلت يا أماه : أمهليني ولا تعجليني : ألم يقل الله تعالى

وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ

الآية ١٣من سورة النجم

وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ

الآية ٢٣ من سورة التكوير

فقالت أنا أول هذه الامة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : ذلك جبريل لم أره في صورته التي خلقه الله عليها إلا مرتين. ثم قالت : أو لم تسمع أن الله يقول :

لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ

الآية ١٠٣ من سورة الانعام

فهل يخفى على أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها معنى الإدراك لو كان معناه الإحاطة ؟ وهي عربية اللسان وقد نشأت في مهد النبوة ورضعت من لبان الوحي، وعرفت معاني القرآن ومعاني كلام العرب.

هل يمكن أن يخفي عن ذكر هذه العالمة الخبيرة معنى الإدراك ويعرفه من جاء بعدها لو كان معناه الإحاطة.

فالآية الكريمة نافية للإدراك في كل شيء بحسبه، فإدراك اليد قبضتها وإدراك العين رؤيتها، وإدراك الأذن سماعها، وإدراك السلاح إصابته وهكذا يقال في مطلق الإدراك بأنه بمعنى اللحاق كما دلت على ذلك كتب اللغة العربية.

وهناك من زعم: بأن هذه الآية الكريمة يراد بها نفي الرؤية في الحياة الدنيا دون الأخرى.

والجواب عن ذلك : أن صفات الله تبارك وتعالى لاتتبدل فالله سبحانه وتعالى قد امتدح بكثير من الصفات ونفى عن ذاته العلية كثيراً من الأشياء التي لاتتفق مع علوها ومع جلالتها، من ذلك، قوله سبحانه وتعالى: في وصف السنة والنوم عنه:

لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ

الآية ٢٥٥ من سورة البقرة

وقوله في وصف الظلم عنه :

وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا

الآية ٤٩ من سورة الكهف

وقوله في وصف الصاحبة والولد.

وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

الآية ٣ من سورة الجن

وقوله في وصف الوالدية والمولودية

لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ

الآيتان ٣ و٤ من سورة الاخلاص

فهل يمكن أن يقال إن مانفاه سبحانه وتعالى عن نفسه إنما هو مقصور على هذه الحياة الدنيا دون الحياة الأخرى.

فيقال بالجواز أن يتصف الله تبارك وتعالى في الآخرة.

بأنه يلد.

وبأنه يولد.

وبأنه تكون له صاحبة.

وبأنه يظلم – تعالى الله عن ذلك –

وبأنه يكون له كفء إلى ما وراء ذلك مما نفاه سبحانه وتعالى عنه.

فهذا كله يدلنا دلالة جازمة على أنه سبحانه وتعالى أراد بقوله: (لاتدركه الأبصار) نفي الرؤية عن ذاته العلية في الدنيا وفي الآخرة.

وقد زعم بعض الذين يثبتون الرؤية: بأن الله سبحانه لايتمدح بشيء منفي وإنما يثبتون بأمر واقع وإذا نفيت الرؤية صارت أمراً منفياً لايمكن أن يتمدح الله تبارك وتعالى به، وقالوا إنما امتدح الله تبارك وتعالى نفسه بنفيه عنه إنما في هذا الإمتداح أو في هذا النفي معنى ثبوتي فقالوا إن المقصود من قوله سبحانه وتعالى: (لاتأخذه سنة ولا نوم) وصفة بالقيومية.

والمقصود من نفي الله سبحانه عن نفسه «الصاحبة والولد» إثبات الوحدانية له.

وهكذا يقال في نفي الظلم يراد به العدل، وفي نفي كل شيء من المنفيات في القرآن عن ذاته تعالى «يراد به معنى ثبوتي».

أما الرؤية فليس هنالك معنى ثبوتي يتمدح الله تبارك وتعالى بإثباته له، هكذا قال ابن القيم تبعا لشيخه ابن تيمية.

والجواب عن ذلك: بأن الله عز وجل نفى عن ذاته ما نفاه لأنه لايتفق مع علو شأنه ومع كبريائه وجلاله، فلو قلنا بالجواز بإثبات ما نفاه الله سبحانه عنه لارتكبنا أمرا خطيرا، ولرددنا كلام الله تعالى، ومثل هذه التأويلات التي ذكرها ابن القيم تقتضي الهروب من الواضح إلى المشكل، ومن الحقيقة إلى الخيال، ولوشئنا أن نرد عليه بالمثل لقلنا: إن في نفي الرؤية عن الله سبحانه معنى ثبوتي أيضا وهو اتصافه سبحانه وتعالى بالكبرياء، فإن نفي الرؤية الذي جاء في هذه الآية جاء في معرض وصف الله سبحانه وتعالى ذاته بالكبرياء وبالجلال، فكيف يقال إن نفي الرؤية عنه أمر سلبي لايتضمن شيئا ثبوتيا بخلاف مانفاه سبحانه وتعالى من بقية الأوصاف عن نفسه؟ وبجانب ذلك نرى الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ تقتضي نفي الرؤية. من هذه الأحاديث ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه: أنه سأل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ليلة أسرى بك؟ فأجابه عليه أفضل الصلاة والسلام «نور أنى أرى».

فهذا إنكار لأن يرى رسول الله ﷺ ذات الحق تبارك وتعالى، وكما قلنا إن صفاته الذوات لاتتغير كما أن ذاته لاتتغير، فلا يمكن أن تحدث رؤية في الدنيا ولا في الآخرة.

وهنالك روايات أخرى كثيرة تدل على نفي الرؤية عن ذاته العلية جل جلاله. وبجانب هذا هنالك الأدلة العقلية: ومنها أن الرؤية تستلزم أشياء متعذرة بالنسبة إلى ذات الحق تعالى منها: أن يكون المرئي في مكان، وأن يكون في هذا المكان، جهة مقابلة للرائي وأن يكون غير ملتصق بالعين الباصرة ولا باعداً عنها بعداً كثيراً وأن يكون جسماً غير لطيف جداً كالهواء، وأن لايكون دقيقاً جداً وذلك يختلف بحسب اختلاف قوة الباصرة إلى ما وراء ذلك مما يتنافى مع كبرياء الله سبحانه وتعالى وعزته وجلاله.

أما ما استدل به الذين ادعوا الرؤية من الأدلة العقلية والنقلية فهو مردود: من هذه الأدلة العقلية التي استدلوا بها أنهم قالوا: إن الله سبحانه وتعالى موجود

وكل موجـود يصـح أن يرى وهذا كـلام غير صـحيح، فالعقل موجـود وهل عقل الانسان يرى؟ والروح موجودة في الجسـم، وهل يصـح أن يراها؟ والكلام موجود فهل يرى الكـلام؟ وكذلك سائر الأشياء التي لاتبصر بـل الريح لاتبصر مع أنها مـوجودة، واسـتـدلوا بأدلـة نقلية من هـذه الأدلة النقليـة: قول الحق سـبحانه وتعالى:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ

الأيتان ٢٢ و٢٣من سورة القيامة

ونحن نقول لهم: بأن قوله عز وجل: أولا: (وجوه يومئذ ناضرة) من النضـارة بالضـاد وهي الحسن والبهاء (إلى ربها ناظرة): أي منتظرة لرحمته ودخول جنته بدليل أنه قـال سبحانه وتعالى بعد ذلك (ووجوه يومئـذ باسرة) أي كالحة وذلك الذي يقابـل قوله (ناضرة) بالضـاد، ثم قال: تظن أن يفعل بها فاقـرة أي تتوقع أمرا يقطع فقـار ظهورها وهـذا هو الذي يقابـل قوله سبحانـه وتعالى (إلى ربها ناظرة) فلـو قيل: بأن قوله عـز وجل: (إلى ربها ناظرة) يقصد بـه أنها تنظر إلى ذاته تعالى: لقيل في الوجوه الأخرى (ووجوه يوميذ باسرة عن رؤية ربها قاصرة) أو نحو هذا الكلام الذي يفيد المقابلة ما بين وصف هؤلاء ووصف هؤلاء، والذين قالوا بأن الله سبحانـه وتعالى يرى واستدلوا بهذه الآية الكريمـة بذلك. قالوا: إن النظر إذا كان بمعنى الإنتظار لايعدى بإلى وإنما يعدى بإلى إذا كان بمعنى الرؤية، وخصوصـاً إذا أسند إلى الـوجوه والجواب عن ذلك: بـأن كلام العرب يـرد ذلك فهذا حسان بن ثابت يقول:

وجوه يوم بدر ناظـرات إلى الرحمن يأتـي بالفلاح

وهل كـان شيوخ المؤمنين يـوم بـدر تنظر إلى ذات الله سبحـانـه وتعالى ويقـول الشاعر:

وإذا نظرت إليـك من ملك والبحر دونك زدتني نعما

ويقول الآخر :

كل الخلائق ينظرون سجاله نظر الحجيج إلى طلوع هلال

ولو كان النظر لايعدى بإلى إلا إذا كان بمعنى الرؤية، للزم أن يكون الله سبحانه وتعالى لايرى الفجار يوم القيامة لانه عز وجل يقول:

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

الآية ٧٧ من سورة آل عمران

فهل المقصود بقوله ولاينظر إليهم يوم القيامة لايراهم، فيكون الله سبحانه وتعالى يرى البعض من خلقة ولا يرى البعض الآخر؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً، وإنما المقصود بقوله ولاينظر إليهم يوم القيامة: «لايسبغ عليهم رحمته»، فنظر الله تعالى إلى عبده إسباغ الرحمة ونظر العبد إلى ربه انتظار هذه الرحمة، ثم إن الرؤية إنما تكون للأبصار ولاتكون للوجوه، فكيف تسند ماهنا إلى الوجوه، هل إسنادها إلى الوجوه حقيقة أو إسنادها إلى الوجوه مجازاً ولماذا خصت الوجوه دون سائر الأجساد بالإسناد مع أن النظر إلى الشيء المحبوب يتمتع به القلب قبل أن يتمتع به الوجه، وينعكس أثر هذا التمتع على الجسم كله فلماذا تخص الوجوه بذلك؟ هذا كله يدلنا على أن النظر: بمعني الإنتظار، وليس هو بمعنى الرؤية، واستدلوا أيضا بأحاديث عن رسول الله ﷺ: رويت في الصحيحين وغيرهما تقتضي أن الله سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة منها: أنه عليه أفضل الصلاة والسلام قال: سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وأريد أن أجيب عن الاستدلال بهذه الأحاديث بأنها قبل كل شيء أحاديث أحادية، والاحادي يوجب العمل ولايفيد العلم فلا تبنى عليه المعتقدات لأنها تنشأ عن الحجج اليقينية القطعية ولا تنشأ عن الحجج الظنية فضلا عن أن تكون هذه الأحاديث تعارض الحجج القطعية من القرآن ومن السنة المتواترة ومن إجماع السلف الصالح بجانب ذلك فإن هذه الروايات إذا حملت على الرؤية أفادت

تناقضا خطيراً رهيباً فالحديث الذي يحتجون به كثيرا «وإنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر» حديث أخرجه الشيخان من رواية أبي هريرة ورواية أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنهما، وأنقل ما هو أقرب لفظا إلى رواية أبي هريرة بحسب ما في صحيح مسلم: فقد جاء في هذه الرواية أن رسول الله ﷺ سئل: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في رؤية الشمس وقت الظهيرة ليس دونها حجاب؟ قالوا: لا، يارسول الله، قال: كذلك ترونه، يبعث الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يقال لهم لتتبع كل أمة ماكانت تعبد فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، فتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفونه بها فيقول لهم أنا ربكم، فيقولون له نعوذ بالله منك، لانبرح مكاننا حتى يأتينا ربنا، فيأتيهم في الصورة التي يعرفونه بها..الخ ماجاء في الرواية. فأنا أريد أن أسأل قبل كل شيء، أولئك الذين يقولون: بأنهم سيرون ربهم يوم القيامة مستدلين بهذا الحديث: هل رؤية الله عزوجل بكيفية أو بغير كيفية؟ لأننا نسمعهم يقولون بأنهم يرونه بلا كيف، مع أن الحديث قال: كذلك ترونه: يعني كما ترون القمر، وكما ترون الشمس ورؤية الشمس ورؤية القمر بكيفية فكيف يزعمون أنهم يرونه بغير كيف؟.

ثانيا: هل يعتقدون أن الله تبارك وتعالى يتبدل من صورة إلى صورة ومن حالة الى حالة؟ مع أن كل متغير حادث.

ثالثا : هل سبقت للناس رؤية في الدنيا، حتى يعرفوا صورة الله تعالى فإذا ماجاءهم في صورة غير تلك الصورة قالوا: نعوذ بالله منك، لانبرح مكاننا حتى يأتينا ربنا، هذه المناقشة أبديتها عند بعض الذين يزعمون أن الله تبارك وتعالى يرى يوم القيامة، وقد كانت الإجابة عن هذا البحث الأخير بأن الله سبحانة وتعالى أخبر عن صفات نفسه، والرسول ﷺ أخبر أمته، عن صفات الله تعالى ، فإذا مارأوا الله سبحانه وتعالى يوم القيامة بصفات غير هذه الصفات التي أخبروا بها وقع في نفوسهم ريب وقالوا: لانبرح مكاننا حتى يأتينا ربنا، فأجبتهم عن ذلك: بأنه لو كانت صفات الله تعالى تتغير من حالة إلى حالة ، ومن صفة إلى صفة.

أما كان ذلك دليلا على أنه حادث لأن كل متغير حادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

ومن ناحية ثانية، فهل يمكن أن يخبر الله تعالى عن نفسه بشيء هو ليس متصفا به؟ أو يخبر الرسول ﷺ عن ربه بشيء هو غير متصف به؟

وأجابوا عن ذلك: بأنه يمكن أن يحمل ذلك على قصد الإمتحان والإختبار.

ورددت عليهم: بأنه لو كان القصد الإمتحان والإختبار في الإخبار عن الذات العلية بخلاف ماهي عليه لجاز أن يكون كل ماأخبر الله سبحانه وتعالى عنه قصد به الإمتحان والإختبار وليس هو على حقيقته فلا تكون هنالك جنة ولاتكون نار ولايكون هناك جزاء على خير ولا على شر.

وأيضا: فإن الذين يزعمون بأنهم سيرون ربهم يوم القيامة قد قرأوا كتاب الله وقرأوا سنة رسول الله ﷺ، واطلعوا على ماأخبر الله تعالى به من صفات نفسه في الكتاب وعلى ماأخبر به الرسول ﷺ عن صفات ربه في الحديث، فهل يمكن لأحد من هؤلاء أن يصف الصورة التي يرجو أن يرى الله تعالى بها يوم القيامة مستلهما ذلك مما عرفه ودرسه من كتاب الله ومن سنة الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام؟

لاريب أنه لا أحد يستطيع أن يجيب عن ذلك ويقول: بأنه يشخص الصورة التي سوف يرى الله عليها يوم القيامة بحسب ماعرف من القرآن وبحسب ماعرف من السنة، ولاأحد يستطيع أن يتحدث عن الذات العلية على ماهي عليه لأن الله تبارك وتعالى وحده هو الذي يعلم الذات كما هي.

وهو يقول: في عباده

وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا

الآية ١١٠ من سورة طه

فهم لايحيطون بالذات العلية علما.

ومن ناحية أخرى فإن هذه الدعوى مردودة ذلك: لأن في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد في هذا الحديث «وسيأتيهم ربهم في غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة» وهذا أول موقف من مواقف يوم القيامة فما كان أول؟ هل هناك رؤية لله تعالى في موقف القبر، أو هناك رؤية لله سبحانة وتعالى قبل الموت حتى يقال بأنهم يرون الله سبحانه وتعالى بحسب ما رأوه أول مرة فإذا جاءهم في غير تلك

الصورة قالوا: نعوذ بالله منك، لانبرح مكاننا حتى يأتينا ربنا وأيضاً: في هذا مايرد على معتقدهم لأنهم يعتقدون أن رؤية الله تعالى هي نعمة يختص بها عباده المؤمنون يومئذ والحديث يقول: فتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم ربهم في غير الصورة التي يعرفونه بها فإذا رؤيته تبارك وتعالى مشتركة بين المؤمنين وبين المنافقين، وهم يقولون إنما الرؤية تكون في الدار الآخرة في الجنة وقد حملوا على ذلك قوله سبحانه وتعالى :(للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) فقالوا الحسنى هي دخول الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى، وقد جاءت أحاديث أيضاً تدل على ذلك، منها حديث صهيب: بأن الله سبحانه وتعالى يقول : لعباده المؤمنين يوم القيامة: ألا أزيدكم؟ فيقولون له: ألم تبيض وجوهنا وتدخلنا الجنة؟ فيكشف الحجاب، فالظاهر أن الحديث من هذه الرؤية إنما تكون بعد الإستقرار في الجنة بينما حديث أبي هريرة الذي يحتجون به كثيراً وحديث أبي سعيد يدلان على الرؤية في الموقف ويدلان على التناقض وليس هنالك من ملجأ أو منجى من هذا التناقض إلا الإعتراف بأن المقصود بالرؤية زيادة معرفة بصفات الله سبحانه وتعالى يوم القيامة أما ما عدا ذلك فغير ممكن أبداً، واستدلوا أيضاً بما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال إن رسول الله ﷺ رأى ربه ليلة أسري به، والجواب عن هذا: بأن ذلك لم يثبت عن ترجمان القرآن الكريم وعن حبر هذه الأمة ابن عباس رضي الله عنهما: بل ثبت عنه خلافه كما جاء في مسند الحافظ الحجة الربيع ابن حبيب، بل روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في رؤية الرسول ﷺ ليلة أسري به، فقال : رآه فؤاده مرتين والمقصود برؤية الفؤاد ازدياد معرفة بصفات الله سبحانه وتعالى ليس غير ذلك. وإذا صحت رواية مطلقة وكانت بإزائها رواية مقيدة وجب أن تحمل الرواية المقيدة على الرواية المطلقة، وهناك استدلالات لهم بكثير من الآيات التي لا تدل على الرؤية لا من بعيد ولا من قريب نحو قوله تعالى :

إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ

الآية ١٥ من سورة المطففين

مع أن استدلالهم بهذه الآية من باب الإستدلال بمفهوم المخالفة ومفهوم المخالفة: مما اختلف العلماء في حجته في الظنيات فضلاً عن القطعيات، وأيضاً فإن

المقصود بحجبهم عن الله تعالى: حجبهم عن رحمته، وكذلك استدلوا بسؤال موسى عليه السلام ربه في قوله تعالى:

قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ

الآية ١٤٣ من سورة الاعراف

وموسى عليه السلام لم يسأل هذه الرؤية لنفسه وإنما سألها لأجل تبكيت قومه ومثل ما يقال في سؤال موسى عليه السلام يقال في سؤال ابراهيم عليه السلام فإن ابراهيم ما كان جاهلاً لأن الله سبحانه وتعالى يختلف عن المخلوقات، ولكنه رأى النجم قال : هذا ربي وعندما رأى القمر قال : هذا ربي، وعندما رأى الشمس قال : هذا ربي هذا أكبر إنما قال ذلك تبكيتاً لقومه الذين كانوا يعبدون النجوم والذين كانوا يقدسون الطبائع فأراد أن يوقفهم على هذه الحقيقة أن كل شيء زائل ليس هو بذات الله سبحانه وتعالى: فالجواب واحد عن كلام موسى وكلام إبراهيم عليهما السلام وبهذا يتضح أن القول الحق الذي لا مرية فيه بأن ذات الله سبحانه لا ترى في الدنيا ولا في الآخرة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والإجابة عن لن في قوله سبحانه : لن تراني ؟

دليل على استحالة الرؤية وعلى تعذر الرؤية. هم قالوا إن لن : لا تكون للتأبيد، والجواب: إن النفي بلن يقتضي التأبيد تارة وعدم التأبيد تارة أخرى، وإنما ينظر في النفي بلن إلى حقيقة الأمر المنفي فإن كان مما يقتضي نفيه إلى التأبيد حملت لن على أنه للتأبيد، وإلا لم تحمل على التأبيد، ومما جاءت فيه لن، مقتضية للتأبيد قوله سبحانه وتعالى: ﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾ فإنه يستحيل أن يخلقوا ذباباً في أي وقت من الأوقات وليس هذا النفي مقصوراً على وقت دون وقت والله تعالى أعلم.

وإني أتحدى من قال بالرؤية فأناظره حتى أرده إلى الحق أو أرد إلى رأيه إن غلبني بالحجة وإن شاء باهلته.

والله ولي التوفيق ».

الجــزء الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ﴿١﴾ ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى

للمتقين ﴿٢﴾ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة

ومما رزقنهم ينفقون ﴿٣﴾ والذين يؤمنون بما أنزل

إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون ﴿٤﴾

أولئك على هدى من ربهم وأولئك

هم المفلحون ﴿٥﴾

الآيات ١ - ٥ من سورة البقرة

دعائم الدين الإسلامي

الإسلام هو الإنقياد والإذعان لأوامر الله وتشريعاته، إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره أنه من الله.

وهو مبني على خمسة أركان :

(الشهادة ، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج).

ويشتمل أيضاً على المعاملة، معاملة بين العبد وربه وهذا مندرج تحت قسم العبادات، ومعاملة بين العبد وأخيه وهذا من ضروريات الحياة.

فالله تعالى يريد من المسلمين أن تكون حياتهم كلها حسب ما جاء به الدين الإلهي من عبادات ونظم فردية وجماعية.

يقول الله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ

الآية ٢٠٨ من سورة البقرة

وقد أوضحت آيات كتاب الله وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سبيل المسلمين الواجب اتباعه في هذه الحياة الدنيا.

ودعائم الدين تقوم على خمسة أشياء لا مخرج عنها في شيء أبداً، وهي :

١ – **الواجب** : وهو كل ما أمر الله بفعله من :

(أ) معرفة الله وتوحيده.

(ب) الإيمان برسله جميعاً، ويخص من بينهم رسولنا محمد ﷺ

(ج) الإيمان بكتبه جميعاً، ويخص من بينها كتابنا الكريم وهو القرآن.

(د) الإيمان بملائكته جميعاً، ويخص من بينهم الملائكة الأربعة وهم : جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت.

(هـ)الإيمان باليوم الآخر، وهو اليوم الذي يبعث فيه الأموات من قبورهم،

فيحشرون إلى حيث أرادهم المولى جل وعلا.

فالطائع منهم وهو الذي مات على الوفاء فيدخله الله الجنة كما وعد.

والذي مات على الشرك أو على كبيرة لم يتب منها فيدخله النار والعياذ بالله كما توعد، وهو لايخلف وعده ولا وعيده سبحانه لا يبدل القول لديه، وما هو بظلام للعبيد.

كما يجب إتيان الصلاة والزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من الواجبات.

فهذه الأشياء يثاب الإنسان على فعلها، ويعاقب على تركها.

٢ ـ المحظور : يعني الممنوع :

وهو كل ما نهى الله عن فعله، سواء كان تخلياً عن الواجب، أو تحليا بالممنوع كالزنا مثلاً، وأكل أموال الناس بالباطل، وشرب الخمر على اختلاف أنواعه، وكالغيبة للمسلم والنميمة إلى غير ذلك مما نهى الشرع عنه.

وهذا النوع يثاب المسلم على تركه ويعاقب على فعله. (الا من تاب).

قال الله تعالى :

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾

الآية ٨٢ من سورة طه

٣ ـ المندوب إليه :

وهو كل ما ندب الشرع إلى فعله من أفعال الخير، ومكارم الأخلاق، ومعاونة المسلمين، وإزالة الأذى من طرقهم، والصدقة من غير الزكاة المفروضة إلى غير ذلك.

وهذا النوع يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، ولا غنى لأحد عن ثواب الله.

وفعل المندوب إليه يكمل القاصر من الفرائض، ومثلوه بالحضار على الزرع، قال رسول الله ﷺ (إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ـ والنوافل : هي المندوب اليه ـ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع

به وبصره الـذي يبصر به ويده التي يبطش بها، ورجلـه التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه) (رواه البخاري).

٤ ـ المكـــروه : وهو كل ما كره فعله في الشرع :

كالوضوء قياماً مثلاً، أو الوضوء عارياً، أو كالحديث في أثناء الوضوء إلى غير ذلك مما ذكر في كتب الفقه.

وهذا النـوع يثاب تـاركه ولا يعـاقب فاعلـه إن لم يقصد خلاف السنـة، فإن قصد ذلك فهو الهلاك والعياذ بالله.

٥ ـ المبـــاح : وهو فعل الأشياء المبـــاحة :

كأكل الطيب، وكركوب الفاره، وكلبس الفاخر، وكالخروج للنزهة، فهذه اشياء كلها مباحة في الأصل لمن فعلها، لكن النية تغيرها عن حالها.

فمن قصد بركـوب الفاره مثلا الفخر عاد بنيته هـذه إلى المحظور، ومن قصد بأكل الطيب مثلاً شكر الله على نعمته أو التقوى على طاعته عاد بنيته هذه الى أن يلتحق بمن فعل الواجب.

وتظهر جميع هـذه الانواع في حديث الربيـع عن عبيدة عن جابـر بن زيد عن أبي هريـرة قال : قال رسـول الله ﷺ : (الخيل لرجل أجـر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر).

والأجر والستر والوزر، كل ذلك يعود على صاحبه بالنية.

والنية دعامة الجميع وكل شيء خلا من نية فهو هباء لا يعتد به.

وانظر إلى كـرم الله لعبده مع استغنائه عنه، وبطـر العبد على ربه مع حـاجته إليه، إذا نوى العبد فعل حسنة كتبها الله له حسنة ولو لم يفعلها فإن فعلها كتبت لـه عشرا، وإن نوى فعـل سيئة لم يكتبهـا عليه إن لم يفعلهـا، وإن فعلهـا كتبت سيئة واحـدة، روي عن النبي صلى الله عليه وسلـم أنه قال (يـؤتى بالعبـد يوم القيامة ومعه الحسنـات أمثال الجبال، فينادي مناد من كـان له على فلان مظلمة فليجيء فليأخذ، فيجيء أنا س فيأخذون حسنـاته حتى لا يبقى له من الحسنات شيء، فيبقى الرجل حيرانـاً، فيقول له ربـه إن لك عندي كنزاً لم أطلع عليـه أحدا من ملائكتي ولا أحـدا من خلقي فيقول : يارب: ما هـو ؟ فيقول نيتك التي كنت نويتها من الخير كتبتها لك سبعين ضعفاً).

ومن حديث آخر (يؤتى بالعبد يوم القيامة فيعطى كتابه بيمينه فيقرأ فيه الحج والجهاد والزكاة والصدقة وغير ذلك نواه ولم يعمله فيقول العبد في نفسه ما عملت من هذا شيئاً وليس هذا كتابي فيقول الله تبارك وتعالى : اقرأ فإنه كتابك : عشت دهراً وأنت تقول : لو كان لي مال لحججت، ولو كان لي مال لجاهدت وغزوت وفعلت، وعرفت ذلك من نيتك أنك صادق فأعطيتك ثواب ذلك كله).

وينبغي إذا أراد عمل شيء من الطاعة أن يقول : أتقرب إلى الله بعمل كذا، فإنه يكتب له ثواب العمل وثواب نية التقرب.

ونفصل ما ورد في توحيد الله تعالى والإيمان بما وجب الإيمان به على حسب ما ورد في الآية الشريفة من قوله تعالى :

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ
وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟
وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

الآية ١٧٧ من سورة البقرة

وعلى حسب ما ورد في الحديث النبوي الشريف في حديث جبريل الطويل الذي جاء فيه (أخبرني عن الإيمان قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله تعالى).

فالإيمان بالله هو أس العقيدة التي تنتظم في ستة أمور:

١ ـ المعرفة بالله وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا ودلائل وجوده، ومظاهر عظمته في الكون والطبيعة.

٢ ـ الإستدلال بمخلوقاته العظيمة من سماوات وأرضين ورياح وبحار وأنهار وهواء وسحاب وشجر ومدر .. إلى غير ذلك من المخلوقات التي لابد لها من موجد حي قادر، مستول على جميع الأشياء غير محتاج إلى ظهير أو نصير، واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

الآية ١٦٤ من سورة البقرة

ويجب أن يعتقد من وحد الله :

أن توحيده نعمة عليه من الله سبحانه وتعالى، ولو شاء لكان هذا الموحد بهيمة أو صنفاً من أصناف الشرك أو الدهريين.

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾

الآية ١٦ من سورة الحجرات

وليس الإيمان مجرد قول لاإلـه إلا الله فقط، لأنها لا تنفع مع تضييع الواجبات:

يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

الآية ١٥٨ من سورة الانعام

وإنما المطلوب نطق باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، عقيدة تملأ

القلب، وتصدر عنها آثارها، والآثار الأعمال، كما تصدر عن الشمس أشعتها.

٣ ـ الإيمان بملائكة الله : وهو أن نؤمن أن لله عباداً مكرمين.

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

الآية ٦ من سورة التحريم

منزهين عن النقائص والمعاصي، طبعوا طبع من لا يعصي، طعامهم التسبيح والتحميد، كل مسخر لعمل من الأعمال لا يفتر عنه ولا يغفل ولا يهمل، ولا يوصفون بأكل ولا شرب ولا بول ولا بصاق إلى غير ذلك من القاذورات التي تصدر من البشر.

وأكبر فائدة لهذا الإيمان أن تتطهر عقيدة التوحيد من شوائب الشرك الذي كان سائداً عند العرب في جاهليتهم حيث اتخذوها آلهة من دون الله أو جعلوها ذرية لله.

والملائكة خلقهم الله من نور كما خلق آدم من طين.

وكما خلق الجان من مارج من نار.

روت الصديقة ابنة الصديق رضي الله عنهما : عن رسول الله ﷺ قال : (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) رواه مسلم.

واصطفى الله منهم ملكاً كريماً هو جبريل عليه السلام، وهو سفيره إلى أنبيائه، أما حقيقتهم وكيفية خلقهم. فلم نخبر عنها بشيء، وإنما أمرنا أن نؤمن بوجودهم ونرعى حق صحبتهم، ونوثق صلتنا بهم كما أرشد الرسول ﷺ في قوله (إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء وعند الجماع فاستحيوا منهم وأكرموهم).

٤ ـ الإيمان بكتب الله التي أنزلها على أنبيائه ورسله، فقد أنزل كتباً على ابراهيم وعلى شيث وعلى نوح ولكن لم تعرف أسماؤها، وما عرف إلا أربعة:

الزبور على داؤود.

والتوراة على موسى.

والإنجيل على عيسى.

والقرآن على محمد ﷺ، وهو ناسخ لكل ما سبقه من الكتب إلا التوحيد، فقد توحدت الدعوة إليه في جميع كتب الله، فلا يجوز العمل بما جاء في الكتب السابقة.

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

الآية ٨٥ من سورة آل عمران

بل يجب الإيمان بها فقط.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾

الآيات ٢ – ٤ سورة آل عمران

والقرآن الكريم تضمن كل ما في الكتب السابقة مما أوجبه الله على عباده.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾

الآية ١٣من سورة الشورى

وحفظ الله القرآن فلم يستطع أحد أعدائه أن يغير فيه ولا حرفاً واحداً، كما غيرت الكتب السابقة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾

الآيتان ٤١ ، ٤٢ من سورة فصلت

وأراد له الخلود إلى أن تقوم الساعة، ويسره للذكر والحفظ والفهم، وجاء سهلاً لايشق على الناس فهمه أو يصعب عليهم العمل به.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾

الآية ١٧ من سورة القمر

وان في القرآن خبر ما في الوجود كله، كما أخبر رسول الله ﷺ في قوله (ستكون من بعدي فتن كقطع الليل المظلم، قيل له : وما المخلص منها يا رسوالله، قال: كتاب الله فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد، وهو الذي لم تنته الجن أن سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآناً عجباً، من قال قوله صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن اعتصم به فقد هدي إلى صراط مستقيم أ.هـ.

٥ ـ الإيمان برسل الله ـ صلوات الله عليهم وسلامه ـ لقوله تعالى :

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾

الآية ٢٨٥ من سورة البقرة

فإذا آمن المسلم ببعض الرسل ولم يؤمن بالبعض الآخر فهو كافر لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٥١)﴾

الآيتان ١٥٠ ، ١٥١ من سورة النساء

والغرض من بعثة الرسل هو الدعوة إلى عبادة الله وإقامة دينه، قال تعالى :



الآية ٢٥ من سورة الانبياء

وقال تعالى :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾

الآية ٣٦ من سورة النحل

وهؤلاء الرسل منهم من قصص القرآن الكريم وسماهم فيجب الإيمان بهم تفصيلاً كل واحد بعينه كنوح مثلاً وإبراهيم وغيرهما، ومنهم من لم يذكره باسمه فيجب الإيمان بهم جملة، يقول الله تعالى :

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾

الآية ١٦٤ من سورة النساء

والجميع جاءوا بالهدى وإنقاذ البشرية من العمى، وقد انقرضت تعاليم هؤلاء الرسل ونسخت شرائعهم إلا التوحيد، فقد اتفق رسل الله جميعاً عليه، وبقي شرع نبينا محمد ﷺ ناسخاً للجميع.

ولا يجوز العمل بغير ما جاء به أبداً حتى تقوم الساعة.

من أجل ذلك لابد للبشر جميعاً أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وما جاء به، ولا تعلق لمن تعلق بأنها كلها شريعة سماوية.

فيجب الإيمان بمحمد أنه رسول صادق من عند الله تعالى

وأن هدايته كاملة ليس فيها نقص أو خطأ وأنه آخر نبي جاء إلى الأمة ﷺ، وآتاه الوسيلة والفضيلة.

ومن الرسل أولو العزم، ذكرهم الله تعالى في قوله :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾

الآية ٧ من سورة الاحزاب

والدليل على أن محمداً هو آخر الأنبياء ولا نبي بعده قوله تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

الآية ٤٠ من سورة الاحزاب

والأنبياء كل واحد أرسل إلى أناس مخصوصين.

أما محمد فقد أرسل رحمة للعالمين وكافة للناس، وإذا نزل عيسى عليه السلام فإنه ينزل على شرع محمد ليس له شريعة جديدة.

٦ ـ الإيمان باليوم الآخر : واليوم الآخر هو يوم القيامة، والإيمان به جزء من العقيدة التي لايتم الإيمان إلا بها، وليعلم الإنسان أنه لم يخلق عبثاً، بل خلق للعبادة.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾

الآيتان ٥٦ ، ٥٧من سورة الذريات

وبالعقل يعرف أن من أراد منك شيئاً لابد من مطالبته لك بانجازه.

قال تعالى :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾

الآية ١١٥ من سورة المؤمنون

وقال تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾

الآيات ٣٦ ـ ٤٠ من سورة القيامة

وقال سبحانه

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾

الآيتان ٧٨ ٧٩ من سورة يس

ورد الله على المشركين الدهريين على قولهم :

﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾

الآية ٢٤ من سورة الجاثية

كما رد على النصارى الذين يؤمنون باليوم الآخر إلا أنهم يعتقدون أن المسيح يفديهم من العذاب ويخلصهم من عقوبة الخطايا.

وعلى اليهود الذين يعتقدون أن في اليوم الآخر هدفاً أسمى لهم وقالوا :

﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾

الآية ١٨ من سورة المائد

والكل منهم كاذبون وقد رد القرآن عليهم رداً منكراً.

ويبدأ اليوم الآخر بتغيير في هذا الكون فتنشق السماء وتتناثر النجوم وتسير الجبال وتبدل الأرض غير الأرض والسموات ويدمر كل شيء في هذا الوجود.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٩٤﴾

الآية ٩٤ من سورة الأنعام

٧ ـ الإيمان بالقدر خيره وشره أنه من الله: لقوله تعالى :

﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝٢١﴾

الآية ٢١ من سورة الحجر

وقوله :

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

الآية ٤٩ من سورة القمر

وقوله :

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾

الآية ٢٢ من سورة الحديد

وقوله ﷺ في حديث رواه الربيع بن حبيب (يا عبدي إنك لن تؤمن ولن تبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله، قال : كيف لي أن أؤمن بالقدر خيره وشره؟ قال : تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإن مت على غير هذا دخلت النار).

ولما قدم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ إلى عمواس في غزوة غزاها، بلغه أن فيها الطاعون فلم يدخلها وكان أبو عبيدة ابن الجراح ـ رحمه الله ـ سبق اليها، فقال له : افراراً من قضاء الله يا أمير المؤمنين؟ قال : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قضاء الله إلى قدر الله).

وكان عمر قد استشار الصحابة في ذلك، فقال عبدالرحمن بن عوف:

أحفظ في ذلك حديثاً عن رسول الله ﷺ يقول : (إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه) فحمد الله عمر وأثنى عليه ثم انصرف.

وروى أبو عبيدة عن جابر بن زيد، قال : بلغني عن رسول الله ﷺ قال : (كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس).

ولما رجع علي بن أبي طالب من صفين سأله شيخ فقال : يا أمير المؤمنين أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام، أكان بقضاء وقدر؟ قال : والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما وطئنا موطئاً، ولا هبطنا وادياً ولا علونا تلعة إلا بقضاء وقدر، فقال الشيخ : أحتسب عنائي والله ما أرى لي من الأجر شيئاً، قال علي : بل أيها الشيخ

فقد عظم الله أجركم في مسيركم وأنتم سائرون وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، ولا إليها مضطرين، فقال الشيخ : كيف لم نكن مضطرين والقضاء والقدر ساقنا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا؟ فقال علي : ويلك أيها الشيخ لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حاتماً، لو كان ذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد والأمر والنهي ولم تكن لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان وجند الشيطان، وخصماء الرحمن، وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب وهم قدرية هذه الأمة، ومجوسها، إن الله أمر تخييراً ونهى تحذيراً، وكلف يسيراً، ولم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الرسل عبثاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً.

ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾

الآية ٢٧ من سورة ص

فنهض الشيخ مسروراً.

وليس معنى القدر أن يتكل الإنسان فيقول :

ان قدر لي ذلك أصابني، فهذا عجز، فالعبد خلق للعمل والله يفعل ما يشاء، وان أحسن ما يتقرب به العبد إلى الله أداء فرائضه التي افترضها عليه.

والأصل ما قدمناه لك.

ويلتحق به حسن الخلق وقد حث النبي ﷺ عليه فقال : (بعثت متمماً لمكارم الأخلاق) ، وقال (لو كان حسن الخلق رجلاً لدخل الجنة).

يروى عن علي بن أبي طالب قال : يا سبحان الله ما أزهد كثيراً من الناس في الخير، عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً، فلو كنا لا ننتظر ثواباً، ولا نخشى عقاباً، لكان ينبغي أن نطلب مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاة، فقام رجل فقال : فداك أبي وأمي يا أمير المؤمنين : أسمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم، وما هو خير منه: لما أوتينا بسبايا طي، قالت فتاة منهم: يا محمد : هلك الوالد ، وغاب الرافد، فإن رأيت أن تخلي عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإني بنت سيد قومي، كان أبي يفك العاني، ويشبع

الجائع، ويحمي الذمار، ويقري الضيف، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام ويفشي السلام، ولم يرد طالب حاجة قط : أنا ابنة حاتم طيء ، فقال رسول الله ﷺ (يا جارية هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك اسلاميا لترحمنا له، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق).

ومما أوصى به وحث عليه : حسن المعاملة في السلوك، والبيع والشراء، والترفع عن الخيانة والغش وسوء المعاملة ـ أيا كان السوء ـ وكيفما كان.

وان حسن المعاملة من العبادات التي تقرب إلى الخالق سبحانه وتعالى، ويحبها أن تكون من عباده رحمة بهم وحرصا عليهم، كما روي عن علي بن أبي طالب أنه قال : (إن الله سبحانه وتعالى وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته، وحياشة لهم إلى جنته).

وقال : (احذر أن يراك الله عند معصيته، ويفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين، واذا قويت فاقو على طاعة الله، وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله).

وقال : (ما خير بخير بعده النار، وما شر بشر بعده الجنة، وكل نعيم دون الجنة محقور، وكل بلاء دون النار عافية).

وقال المفسرون في تفسير قوله تعالى :

وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا

الآية ٨٣ من سورة البقرة

أي قولاً طيباً لا فضاضة فيه، والقول الحسن عام في كل معروف يصدر من الإنسان لأخيه الإنسان، أو حتى للبهائم لأنه روى (لو أحسنت كل الإحسان وأسأت إلى دجاجة لكنت مسيئاً).

ويروى أيضا (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز :

لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ

الآية ١١٤ من سورة النساء

فتطبيق هذه الآية وأمثالها تثمر صلاح المجتمع، وبقاء الجماعة متماسكة فيما يتصل بالحقوق من رحمة ورعاية وإيثار وتضحية.

وتكافل الجماعة باصلاح ذات البين مما عني به الإسلام من تشريعاته.

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾

الآية ١١٤ من سورة النساء

والإصلاح بين الناس من أفضل القربات.

ومن الذي لا تسمو نفسه إلى أن ينال كل عال في الدنيا والآخرة إلا العاجز؟

وروي عن عمر بن عبد العزيز - رحمة الله عليه - أنه قال (ما نلت درجة في الدنيا إلا سمت نفسي إلى ما هو أعلى منها حتى نلت الخلافة العظمى فزهدت فيها، وسمت نفسي الى الجنة).

وقد أشاد الرسول ﷺ بهذه الدرجة حتى قال (الاأخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة).

وأوصى القرآن باصلاح ذات البين في قوله عز من قائل:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

الآية ١٠ من سورة الحجرات

فينبغي الترابط بين الأسر، وأقوى رابطة تربط بينهم رابطة التوحيد، ثم رابطة المحبة، وصلة الأرحام، وصلة الجار، والإعتراف بحقوقه، وصلة الفقراء باعطائهم الزكوات من الأغنياء، وغير الزكوات كالصدقات من فضلات الأموال.

ويروى (جبلت النفوس على حب من أحسن اليها، وبغض من أساء اليها) وبهذا وأمثاله تكون الألفة والترابط ويتحقق قول الرسول ﷺ (المؤمنون بعضهم أولياء بعض، يسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وهم يد على من

سواهم) وقوله (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

فهذه الأشياء أساس العلاقة بين أفراد المجتمع، بل على المسلمين كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، حاكمهم ومحكومهم، وقد نفى الرسول ﷺ الإيمان عن الذي لا يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، فقال عليه الصلاة والسلام (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).

وقال (والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه).

٧ ــ وآتى المال على حبه : أي على حب المال : أتاه ذوي القربى، واليتامى والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب.

وهذا فيما يظهر أنه حث من الله في الصدقة من غير الزكاة لأنه قال في آخر الآية (وآتى الزكاة).

والقصد من انفاق المال فيما ذكر العلماء : الإنعتاق من ربقة الحرص، والإثرة.

وانعتاق الروح من حب المال بقبض الايدي عن الإنفاق، فيتحرر من عبودية المال، ومن الحرص.

والحرص يذل أعناق الرجال.

وإن أحرار النفوس من الشهوات هم أحرار الرؤوس في المجتمعات.

وفيه التكافل بين الكبار والصغار في الجماعة، والصلة بالمال هي التي تقوي الأواصر بين المسلمين لاسيما الأقارب، كما جاء في حديث الربيع في سنده الرفيع، ورواه البخاري أيضاً عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ (كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة نخلاً، وكان أحب أمواله اليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت :

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ

الآية ٩٢ من سورة آل عمران

قام أبو طلحة وقال : يا رسول الله، إن الله يقول: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون.

وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله ﷺ : بخ بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وفي رواية ذلك مال رائح، ذلك مال رائح إلى الجنة، وقد سمعت ما قلت وأنى أرى أن تجعلها في الأقربين، فقال أبو طلحة: افعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه). وهذا مثل أعلى في الجود بالمال.

وكما فعل من أتباع هؤلاء إمامنا محمد بن عبدالله الخليلي ـ رحمه الله ـ وكان من أثرياء أهل زمانه، ومات وهو لايجد من الدنيا ماله قيمة، كل هذا الثراء أنفقه في عز دولة المسلمين، فمات محبوباً عندهم محبوباً عند ربه، وما ضره أنه لم يترك شيئاً.

ويروى (من أحب اللحوق بالآخرة فليقدم ماله) ولابد لإنفاق المال من نية حسنة وإيمان بما عند الله عز وجل، ومن لم يفعل ذلك فقد خسر ماله ومآله.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أقوى الروابط بين المسلمين، وإن كره المأمور المنهي في ذلك الوقت واستثقلهما فانه سيحمد ذلك في العاقبة ويرى فائدته في نفسه ومجتمعه (عند الصبح يحمد القوم السرى).

ولابد من الصبر للآمر والمأمور والناهي والمنهي، ولذلك عقبه الله في وصية لقمان لابنه.

يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ

الآية ١٧ من سورة لقمان

ويقول الله سبحانه وتعالى :

وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾

سورة العصر

فترى أن الصبر لابد منه على أي حال :

وتصلح المجتمعات والأسر إذا تآمروا فيما بينهم بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، ولا يزالون بخير ما اجتمعوا على ذلك، أما اذا تُـرك من أراد أن يفعل منكراً ولم يقبض على يده، عم البلاء الكل: من فعل ومن سكت، وكانوا كـأصحاب السفينة الذين ذكرهم الحديث، الذي رواه البخاري«مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينـة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لـو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا؟ فإن تركهم الـذين في الاعلى وما أرادوا هلكوا جميعاً. وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجو جميعا».

وهكذا شأن قوم لم يتناهوا عن منكر، فسوف يعمهم الهلاك إن عاجلاً أو آجلاً.

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٧٩﴾

الآية ٧٩ من سورة المائدة

ومما يورث العداوات بين الأقارب وبين الجيران هو التنافس على الدنيا، وحب المـال حباً يخرجه إلى حد المعصية، وعدم المبالاة من أين اكتسبه، ولو على حساب مودة أهله وأصدقائه، وهذا هو الفقر بعينه كما قال أبو الطيب :

ومن ينفق الساعات في جمع مالـه مخافة فقر فالذي فعـل الفقـر

وقوله :

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما قاته وفضول العيش أشغال

ويقول الرسول الكريم ﷺ (من جمع مالاً من تهاوش أذهبه الله في نهابر)[١]

أسأل الله جلت قدرتـه ان يحمي هذا البلد العريق من كل فسـاد وفاسد، ومن كل دخيل عليها أراد بها السوء غيضاً وحقداً.

اللهم من أراد ذلك بها أو بأهلها فرد كيده إلى نحره، واجعل تدميره في تدبيره، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكما يجب الإيمان بالبعث يجب الإيمان بالموت أيضاً.

---

١ – التهاوش : المال المغتصب النهابر : في هلاك

والموت هو مفارقة الروح الجسد، وهو معروف لدى المسلم والكافر، والكل يعترف به، لأنه مشاهد كل يوم الناس يموتون، ومع ذلك فيجب الإيمان به لقوله تعالى :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ

الآية ١٨٥ من سورة آل عمران

والفناء ثابت في كل شيء حتى من غير ذوات الأرواح لقوله تعالى :

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ

الآية ٨٨ من سورة القصص

وصفة الموت أن يتراءى ملك الموت للروح فبمجرد ما تراه تخرج إليه كالمغناطيس، هكذا قيل والله أعلم.

وهنالك في القبر وهو أول باب إلى الآخرة: يعرف الميت مصيره، فالقبر روضة من رياض الجنة للمؤمن، أو حفرة من حفر النار للكافر، فيبقى في قبره إما منعماً إن كان مؤمناً، أو معذباً إن كان كافراً إلى يوم البعث، بل كل من المؤمن والكافر يعرف مصيره قبل خروج روحه حين يرى الملائكة حضرت لقبض روحه، فيقبض روح المؤمن ملائكة رفيقون شفيقون رؤيتهم تسهل على المؤمن شدة الموت لأنه سيعرف أنه لا يعذب بعد هذه اللحظة والله يقول :

لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾

الآية ٦٤ من سورة يونس

ويقبض روح الكافر ملائكة غلاظ شداد لايرحمون، ينتزعون روحه بالقوة والعنف فيزداد غمه وهمه، لأنه سيعرف أن ما بعد الموت أشد من الموت.

يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾

الآيتان ٢٢ – ٢٣ من سورة الفرقان

أترى أنـه قال في المؤمنين لهم البشرى وفي هؤلاء لابشرى مع إبطال مـا عملوا من بر، وقدموا من فعل خير، كل ذلك لم ينفعهم.

﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾

الآية ١٥٨من سورة الانعام

ويقول المفسرون حجراً محجوراً : أي عوناً معاذاً من الملائكة.

ولما حضرت عمرو بن العاص الـوفاة قال له ابنه عبدالله (كنت يا أبت تقول : ليت أني ألقى عاقلاً يصف لي الموت، فأنت الآن ذلك العاقل، فصفه لنا فقال: أرى كأن السماء انطبقـت على الأرض، وكأنـــي أتنسم من سم إبـرة، وكـأن روحي تجذب من جسدي مثل الصوف يجر بقوة في الشوك) أو ما في معنى الحديث إن لم يكن نصه ـ فانظر إذا كانت روح الموحد هكذا، فكيف بروح الكافر، نسـأل الله العافية.

والرسـول ﷺ لما احتضر وكان يشتد عليـه الألم يقول (إن للمـوت لسكرات) وطلب تخفيف الموت عن أمته ـ جزاه الله عنهم خيراً.

ولا يعلم أحد مصير الروح بعد الموت، فهـي كالسراج حيث يطفأ لا يدري أين يـذهب إلا مـا ورد في أرواح الشهـداء أنها في حـواصل طير خضر معلقـة تحت العرش وهذه خصوصية للشهداء، فعـاجز خامل من رغب عن الشهادة في وقتها وركن إلى الحياة.

وبعد الموت لابد من البعث وهو اليوم الآخر الذي سبق القول فيه.

أما الحيوانات فإنها تبعث أيضاً لكن بعـد أن يقضي الله فيها ما يشاء بأمرها بأن تكون تراباً.

﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

الآية ٤٠ من سـورة النباء

أي يتمنى الكافر أن يكون كالبهيمة فيصير ترابا لما يرى من شدة الهول والعذاب - أنى له ذلك - وقد أحكمته القبضة فلا يفلت منها، هيهات هيهات لا خلاص ولا مناص، فيقول :

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾

الآيتان ١٠٧ - ١٠٨ من سورة المؤمنون

نسأل الله عافيته

ولا يموت أحد قبل انقضاء أجله أبداً، ولا يتأخر لحظة إذا انقضى أجله.

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ٦١﴾

الآية ٦١ من سورة النحل

ولابد أن يستوفي رزقه الذي حدده الله له في الدنيا، فالرزق يطلب المخلوق كما يطلبه الأجل :

لو أن صخرة في البحر راسية صماء ململمة ملسا نواحيها

رزقاً لنفس براها الله لانفلقت حتى تؤدي إليها كل ما فيها

وأذكر في هذا قصة أنا كنا في طريقنا إلى مكة، وكنا في أثناء السير والسيارة كأنها الريح اذا بها تقف بنا فجأة، فلما وقفت نزلنا عنها وذهب بعض إلى قضاء حاجته، وكان هنالك واد فوجدت أنا في ذلك الوادي بطيخة قد أينعت فأخذتها ورجعت إلى السيارة فاقتسمناها وأكلناها وذهبت الى السيارة، ولا عائق يعوقها عن السير إلا هذا الرزق ..أ.هـ.

ومسكين الحجاج بن يوسف الثقفي حين اغتر بامارته يقول (إن الله كفانا الرزق وكلفنا العمل فليته كفانا العمل وكلفنا الرزق) يرى ما تحت يده من وفير بيت المال فظنه من حذقه وقوته، ولا غرو فقد سبقه قارون بذلك حين قال (إنما أوتيته على علم عندي) فرد الله عليه بقوله :

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾

الآية ٧٨ من سورة القصص

وقال المعتزلة أن المقتول ميت قبل انقضاء أجله وهو مذهب فاسد ظاهر الفساد.

ويجب الإيمان بالحساب وهو تمييز الأعمال خيرها وشرها، والحساب ليس كالحساب الذي يعرفه الناس إنما هو كما أراد الله.

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا

الآية ١١١ من سورة النحل

يفهم من الآية : أنه يوسع لهم في الكلام ولكن بدون جدوى، وأخرج الترمذي (لاتزول قدما عبد يوم القيامة حتي يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه؟ وعن علمه ما عمل به؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن جسمه فيما أبلاه؟).

وروي يخرج لإبن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين :

ديوان فيه العمل الصالح.

ديوان فيه ذنوبه.

وديوان فيه النعم من الله عليه.

فيقول الله تبارك وتعالى لأصغر نعمه في ديوان النعم : خذي ثمنك من عمله الصالح، فتستوعب عمله الصالح كله، ثم تنتهي وتقول: وعزتك ما استوفيت، وتبقى الذنوب والنعم وقد ذهب العمل الصالح، فاذا أراد الله أن يرحم عبداً قال : يا عبدي قد ضاعفت لك حسناتك وتجاوزت عن سيئاتك ووهبت لك نعمي أ.هـ.

وخص بالحساب المقصر في العمل التائب من ذنبه والفاسق من أهل الكبائر.

والحكمة في حساب هذين الصنفين : هي أن يعلم المؤمن المقصر نعمة الله عليه بغفران ذنوبه وستر عيوبه.

والحكمة في حساب الفاسق هي ازدياد حسرته وتضعيف تنكيله بالتأسف على إضاعة عملة، فإنه متي ما رأى العمل الموجب للغفران محبوطاً بعمل يصدر منه ازداد بذلك حسرة وندامة.

ومن الحكمة في هذا أيضاً إظهار إنصاف الله تعالى لخلقه، فإنه لا يظلم الناس شيئاً، ولكن الناس أنفسهم يظلمون، وما عدا هذين الصنفين فهم إما في الجنة بلا حساب وهم المؤمنون الموفون، وإما في النار بلا حساب وهم المشركون. (بهجة الأنوار).

ويجب الإيمان بالجنة والنار وهما مآل المخلوقين من الجن والإنس ثواباً وعقاباً دائمين أبداً لا انقطاع لهما وقد وصفهما الله وصفاً ما عليه مزيد في قوله في سورة الصافات لما ذكر عباده المخلصين قال :

أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

الآيات ٤١ – ٤٩ من سورة الصافات

الى أن قال :

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾

الآيات ٦٢ – ٦٨ من سورة الصافات

وفي سورة الواقعة يقول :

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٥) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا (٢٦) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٨) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (٣٩) وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (٤٠) وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠)

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦)

الآيات ١٠ – ٥٦من سورة الواقعة

ويجب الإيمان بالحوض، وهو حوض الرسول ﷺ في الموقف يرد منه المؤمنون، وفي الحديث (حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء، وماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لا يظمأ أبداً، ولا يسود وجهه أبداً) ويذاد عنه أقوام جاءوا ليشربوا منه فيراهم النبي ﷺ فينكر طردهم، ويقول : (أصحابي .. أصحابي فيقال له : إنهم بدلوا بعدك، فيقول : فسحقاً .. فسحقاً) ، فعلم من ذلك أنه لا يمكن من ورده إلا من وفى بدين الله ومات على الوفاء.

ويجب أيضاً الإيمان بالميزان، وهو عبارة عن العدل والإنصاف، لا كما قال بعض أنه عمود وكفتان، وأن الله ينصبه يوم القيامة فتوزن عليه أعمال العباد، ومن رجحت كفة حسناته على كفة سيئاته دخل الجنة، ومن رجحت كفة سيئاته على كفة حسناته دخل النار، فهذا لم يثبت عليه دليل وثقل الميزان عبارة عن معنى السعادة والشقاوة وهذا معروف عند العرب، يقول قائلهم :

لو يوضعوا آباي في ميزانهم رجحوا وشال أبوك بالميزان

ويقول الله تبارك وتعالى :

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ

الآية ٤٧من سورة الانبياء

فالقسط بدل من الوزن لا نعت له، وأعمال العباد أعراض، ومحال وزن الأعراض (بهجة الانوار).

ويجب الإيمان بالصراط أيضا لقوله تعالى :

أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٢)

الآية ٢٢ من سورة الملك

وهو الذى أرشد اليه العبد أن يقول :

﴿ اَهْدِنَا الصِّرَٰطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

الآية ٦ من الفاتحة

وهو عبارة عن الحق، وتمثيل لحالتي الطائع والعاصي وتمثيل لأحوال سالكيه ما بين موفق ومخذول، لا كما زعم بعض أن الصراط جسر ممدود على متن جهنم وهاتان المسألتان ليستا من المسائل القطعية التي لا يجوز الخلاف فيها، بل لكل تأويله، وليستا كمسألة رؤية الله وخروج العصاة من النار والشفاعة لمن مات على كبيرة، فهذه مسائل لايسع الخلاف فيها، بل الحق فيها مع واحد: وهو من قال : إن الله لا يرى، وان من دخل النار لا يخرج منها، وأن الرسول ﷺ لا يشفع الا للتقي، وقد سبق القول بأدلته في هذه المسائل عن شيخنا الخليلي - عافاه الله - .

ووجدت في بهجة الأنوار لشيخنا نور الدين - رحمه الله - يرفع حديثا طويلاً، يقول : (وفي الأثر أن رسول الله ﷺ قعد على المنبر، ثم قال : الصلاة جامعة - رحمكم الله - ثم قال : يا عباس عم رسول الله، ويا فاطمة بنت محمد، ويآل محمد جميعاً أنى والذي نفسي بيده عند ربي لمطاع مكين، فلا تغرن امرءا نفسه، يقول أنا عم رسول الله ﷺ، أو تقول بنت محمد ، أو من آل محمد، اشتروا أنفسكم من الله فإنكم إن لم تفعلوا هلكتم مع من عرفتم هلاكه، إنى على الحوض يوم القيامة فارط (أي متقدم)، فيرد علي أناس من أصحابي، ليحتلقن نقرة رأسه، ثم لآخذن بحجزته فاقول : (ارسلوه، إنه من أصحابي)، فيؤخذ بيدي فكاكاً، أرسل، أرسل، فإنه والله ما مشى من بعدك قدماً، ولكنه مشى القهقرى، ليدخل جهنم، فلا أستطيع شيئاً، فالحذر الحذر يا آل محمد، إنى والله لا أغني عنكم من الله شيئاً.

وليست الشفاعة التي خص بها رسول الله ﷺ هي شفاعة لدخول الجنة.

وإنما هي لانقاذ الخلائق من شدة الموقف وهي المعبر عنها بالشفاعة العظمى، وبالمقام المحمود، حين يتعذر عن القيام بها النبيون فيقوم سيدهم محمد ﷺ، فيقول : أنا لها، أنا لها ..

وما تقدم هو ما يجب الإيمان به

واعتقاده ، حيث أنها حقائق العقيدة، وركائز الإيمان ودعائمه .

وفقنا الله الى كل ما يحب ويرضى ..

الجـــزء السادس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

سورة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الصــوم

وهو الركن الرابع من أركان الإسلام

وهو من العبادات البدنية الخالصة والواجب منه على المكلف صيام شهر في كل عام، وهو شهر رمضان المبارك.

وللصوم خصوصية عما سواه من العبادات وذلك أن حقيقته من العبد يعلمها الله سبحانه، ولهذا قال : «الصوم لي وأنا أجازي به الجنة» مع أن كل العبادات لله، من حكمته أنه مذهب للأسقام وصفاء للعقل ونور للباطن ونشاط للجسم على العبادة وتعويد للنفس على الجوع لتتحمل مشاق الحياة وهو مجاهدة لآفات النفس وزكاة للجسم وعطف على الفقراء ورحمة للبؤساء، وتخصيصه بشهر رمضان لإحياء ذكرى نزول القرآن هدى للناس وبينات من الهدى، وما أجدر بأهل القرآن أن يحتفلوا بهذه الذكرى ويتقربوا إلى الله بالشكر لهذه النعمة الواقية.

والصوم في اللغة : الإمساك.

وفي الشرع : إمساك عما يصل الجوف من خارج، وجماع، وكبيرة، بنية من لفجر إلى الغروب لقوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ
عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ
لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم
مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ
يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ
لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ
رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ
وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ
فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ
أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا
هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ
عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ
فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾
أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ
لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ
أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ
وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ
ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ
إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ
تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

الآيات ١٨٣ - ١٨٧ من سورة البقرة

ويقول الرسول ﷺ (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً ومن قام ليلة القدر غفر له ما تقدم من ذنبه).

ومعنى إيماناً واحتساباً يعني : أنه مؤمن بوجوب هذا العمل الذي عمله.

ومعنى احتساباً : أنه ينوي هذا العمل لله، يرجو بذلك ثوابه منه لا لغرض آخر.

فإن خالط هذه النية نية أخرى لم تكن احتساباً لقوله تعالى في حديث قدسي (من عمل عملا أشرك فيه غيري فهو له، وأنا أغنى الشركاء) هذا شرط.

وشرط آخر لغفران الذنب:

أن لايكون الصائم القائم مصرا على كبيرة في حق الله أو مظلمة في حق العباد، فقد يوجد من يصوم ويقوم، إلا أنه مصر على كبيرة أو مظلمة فهذا لاينطبق عليه الحديث، ولايجري الحديث على إطلاقه فانه مناف للعقيدة – فليتنبه له.

وفي حديث آخر يدل على وجوب الصوم، مارواه سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان، فقال (ياأيها الناس قد أظلكم شهر عظيم، شهر مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة، وقيام ليله تطوعا، ومن تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة، ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبة وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء، قلنا يارسول الله ليس كلنا يجد مايفطر به الصائم، فقال رسول الله ﷺ: يعطي الله هذا الثواب من فطر صائما على مذقة لبن أو تمرة أوشربة من ماء، ومن أشبع صائما سقاه الله من حوضي شربة لايظمأ حتى يدخل الجنة، وهو شهر أوله رحمه، وأوسطه مغفرة، وآخره عتق من النار ومن خفف عن مملوكه فيه، غفر الله له وأعتقه من النار).

وإنما أوردنا الحديث بطوله نظرا للفائدة ، وعسى أن يقدر الله من يعمل به نيكون لنا نصيب من الأجر لأن الدال على الخير كفاعلة.

فضـــائل الصـــوم

عن رسول الله ﷺ قال : (إن الله يبـاهي ملائكته بالشاب العـابد فيقول : أيها الشاب التارك شهوته من أجلي المبذل شبابه لي، أنت عندي كبعض ملائكتي).

كفى فخراً لك أيها الصائم أن تلتحق بصف الملائكة.

وإنما خص الشباب بالذكر دون الشيخ، لأن الشيخ أقرب إلى الطاعة، ومن بلغ الأربعين ولم يقلع عن معاصيه فذلك أقرب إلى سخط الله ولذا ترى الحث للشباب أكثر منه للشيخ، لأنه مقبل والشيخ مدبر، ويقول الله سبحانه وتعالى

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

الآية ١٠ من سورة الزمر

أي الصابرون على طاعة الله أو عن معصيته أو على بلائه، ويقـول النبي ﷺ (الصبر نصف الإيمان) ويقول : (لكل شيء باب وباب العبادة الصوم).

وفي حديـث قدسي : كل حسنـة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيـام فإنه لي وأنـا أجزي به، إنما يذر شهـوته وطعامه وشرابـه لأجلي، الصوم لي وأنا أجزي به".

وقـال رسول الله ﷺ (اذا دخـل رمضان فتحـت أبواب الجنـة وغلقت أبـواب جهنم وسلسلت الشياطين).

ويقول : (للصـائم فرحتان فرحة عند فطـره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عنـد الله من ريح المسك، والصيام جنـة ـ وقـاية ـ فإذا كـان يوم صوم أحدكم، فـلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتلـه فليقل إنـي امرؤ صائم).

وجاء الوعيد على مضيع الصوم في عدة آيـات وفي عدة أحاديث منها قوله ﷺ

(من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه).

أترى إن الله لايطلب من عبده الجوع والعطش فقط بل يريد منه أن يمنع جوارحه مشتهياتها.

أقســـام الصـــوم :

الصوم ينقسم إلى أربعة أقسام :

صوم واجب ، وصوم حرام، وصوم مندوب اليه، وصوم مكروه.

فالصوم الواجب هو :

صيام شهر رمضان، وصيام النذر، وصيام الكفارات : كفارة القتل وكفارة الظهار والإيلاء وكفارة الحنث، وصوم التمتع لمن لم يجد الهدي، وتفصيل ذلك في كتب الفقه لمن رزقه الله موهبة الجد.

والصـــوم الحـــرام :

صيام يوم العيدين وصيام الحائض والنفساء، وصيام يوم الشك وهو الثلاثون من شعبان لايصام فيزاد في رمضان ما ليس منه، لما روي عن عكرمة وعمار - رضي الله عنهما - قالا (من صام اليوم الذي يشك فيه فقد عصى أبا القاسم) بل يستحب له أن يمسك الى ضحوة النهار لعل خبر الهلال يأتي من مكان، فان صح خبر الهلال واصل صومه - لكن لابد له من البدل - لأنه لم يصبح صائماً قطعاً، ومن شرط الصوم أن يقطع الصائم بالنية من الليل.

ومن المندوب الى صيامه :

صيام يوم عاشوراء على أن يضاف إليه يوم قبله أو بعده وذلك مخالفة لليهود والنصارى لأنهم يعظمون هذا اليوم، ويستحب صيام يوم عرفة لقول رسول الله ﷺ «صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبله، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية»، ويستحب ايضا صيام الأيام البيض وهي الثالث

عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر سوى اليوم الثالث عشر من ذي الحجة لأنه من أيام التشريق قال رسول الله ﷺ: «من صام من كل شهر ثلاثة أيام فكأنما صام الدهر كله» ويستحب صيام ستة أيام من شوال لقوله ﷺ «من صام رمضان ثم أتبعه بستة أيام من شوال فكأنما صام الدهر كله»

وندب الإعتكاف في آخر رمضان، وهو أن يدخل المعتكف المسجد الذي تقام فيه الجماعة قبل غروب الشمس من ليلة واحد وعشرين احتساباً لله أن حبس نفسه في ذلك المسجد للعبادة ولا يخرج إلا لصلاة العيد هكذا جرت السنة.

ومن نوى أقل من ذلك فله نيته، ويعمل على حسبها، ولا يخرج في الأيام التي يعتكف فيها إلا لضرورة قضاء الحاجة مثلاً، وللأكل إن لم يتيسر له الأكل داخل المسجد، وما بنى عليه نيته عند دخوله الإعتكاف فله نيته لا أن يستحدثها، ولا يشتغل بعمل دنيوي.

وإن اعتكف في غير رمضان فيشترط في الإعتكاف الصوم، والإعتكاف في رمضان لاسيما العشر الأواخر تعرض لنفحات الله عسى أن يوافق ليلة القدر، وقد اعتكف رسول الله ﷺ في أول شهر رمضان، وفي وسطه، وفي آخره، وكان آخر عمله ﷺ، وكانوا أصحابه يأخذون بالأحدث فالأحدث من أعماله، وكان أكثر ما يصوم الرسول ﷺ في شعبان لكن ينبغي أن يفطر صائمه يومين من آخره لا يوصله برمضان لنهي النبي ﷺ عن وصل رمضان بغيره.

والصوم المكروه :

هو صوم أيام التشريق وهي الثلاثة الأيام التي تعقب عيد الأضحى لأنها أيام ضيافة الله لعباده فلا ينبغي العزوف عن ضيافته وسميت بأيام التشريق لأن الناس يشرقون لحم العيد في الشمس تلك الأيام.

ومن المكروه صوم يوم أو يومين قبل رمضان يتصل به، وصوم يوم الجمعة منفرداً إلا أن يتقدمه يوم أو يتأخر عنه يوم.

وعللوا ذلك :

أن يوم الجمعة يوم عيد ولا ينبغي صيام يوم العيد.

قال شيخنا نور الدين – رحمه الله – ويفرق بين العيد والجمعة، بأن الإجماع منعقد على تحريم صوم يوم العيد ولو تقدمه يوم أو تأخر عنه يوم بخلاف يوم الجمعه فالإجماع منعقد على جواز صومه إن تقدمه يوم أو تأخر عنه يوم إلا لمن خصه بالصيام أ.هـ

ومن المكروه :

صيام الدهر لقوله ﷺ (لاصام من صام الأبد) وقوله لعبدالله بن عمر (صم صيام داؤود : كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر اذا لاقى) وذلك لما كرر عليه طلبه بأن يصوم الدهر، فنصحه عن ذلك وقال (صم وافطر وقم ونم، فإن لعينيك عليك حقاً وإن لنفسك وأهلك عليك حقاً) وفي رواية حظاً، وصوم المسافر إذا ضعف بحيث يعجز عن أداء ما وجب عليه كما فعل رسول الله ﷺ في بعض غزواته لما رأى التعب ظاهراً في أصحابه من أثر الصيام أمرهم بالفطر رحمة بهم.

والفطر في حق المسافر أي مسافر رخصة، تفضل الله بها رحمة منه بعباده.

والصوم على اطلاقه خير وفيه فضل، إلا ما كان في الأيام المنهي عنها لقوله ﷺ (لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم) وقوله (من صام يوماً ابتغاء وجه الله أبعده الله من جهنم كبعد غراب طائر وهو فرخ حتى مات هرماً) ـ روى الحديثين أبو هريرة ـ .

ويروى (الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقام وقصر نهاره فصام).

صفة الصوم

فرض صوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة فنسخ ما كان قبله من صوم، ولا يصح الصوم إلا بنية يبيتها الصائم من الليل.

فمن أصبح وعزم على الصيام في الصباح فلا صوم له.

ومن أصبح وهو جنب من الليل لم يغتسل قبل الفجر فلا صوم له، لقوله ﷺ (من أصبح جنباً أصبح مفطراً).

وحديث : (كان رسول الله ﷺ يصبح جنباً من جماع غير احتلام).

هذه سنة فعلية والحديث الأول سنة قولية .

والسنة القولية مقدمة على السنة الفعلية، لاحتمال أن تكون السنة الفعلية من خصوصياته ﷺ .

ومما ينبغي التنبه له أنه إذا التقى الختانان بين الرجل والمرأة فان هذا يعد جنابة، فيجب الإغتسال منه، سواء أنزل أو لم ينزل ، فلا يتهاون من فعل ذلك اعتقاداً منه أنه لم ينزل فلم يجب عليه الغسل، فالسنة وردت تأمر بالغسل، لقوله ﷺ (اذا التقى الختانان وجب الغسل أنزل أو لم ينزل).

ومن أجنب وهو نائم ولم ينتبه إلا في النهار فهذا يصح صومه إن بادر في الحال بالإغتسال قبل أن يباشر عملاً خارجاً عن عمل الغسل، فان لم يباشر الغسل فوراً خيف عليه فساد صومه.

والصوم الصحيح :

هو الصوم الذي يقع على الصفة المطلوبة شرعاً.

والصفة المطلوبة :

هو التأدب والإلتزام بأوامر الشرع الشريف. وهو كف النفس عن الشهوات الظاهرة والباطنة، وكف اللسان عن أذى غيره كغيبة ونميمة وشتم ورفث بغير حق، وكف بصره عن النظر إلى ما لايجوز له وأن يبيت نية الصيام من الليل قبل الفجر، ولا يعمل بقول من يقول : إن الفجر هو الفجر الذي يدخل البيوت، فهذا القول باطل وذلك الوقت من النهار ثم يصطحب النية عنده إلى أن تغرب الشمس غروباً صحيحاً ولا يشك فيه كأن يحجب الشمس جبل أو غيم أو مكان مظلم.

وفي هذا الإصطحاب كله يمتنع عن الاكل والشرب والجماع وفعل المعاصي، مشتغلاً بذكر الله مؤديا ما عليه من المفترضات، لا يدخل بطنه أدنى شيء، مغذياً كان أو غير مغذ، محتسباً ذلك لله عز وجل لا لغرض آخر، مؤمن بأن هذا فرض افترضه الله عليه، وهو قائم بتأديته لا يسأل لاي شيء افترض عليه الصوم، فهو عابد يمتثل أمر مولاه بكل طيب وقبول كره أو رضى، فإن رضى فله الثواب ولن يخسر ما عمل، وإن كره خسر ما عمل وعوقب على كرهه

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾

الآية ٣٦ من سورة الاحزاب

والله سبحانه غنـي عن تكليف العباد وعن أعمالهم وانما كلفهم لمصالح يعلمها هو تخصهم

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾

الآيات ٥٦ - ٥٨ من سورة الذاريات

ولا يريـد الله سبحانه وتعـالى بالأمر لعباده أن يصـوموا ليجوعـوا ويعطشوا فقط، بل يريد منهم أن يتأدبوا ويتفرغوا لذكره اذا جاعوا وعطشوا ويعلموا أنهم ما جـاعوا وعطشوا إلا لـوجه الله سبحـانه وتعالى وابتغـاء مرضاتـه فمن ابتغى مرضـاة الله فليبتغها في كل شيء فعلاً كـان أو تركاً، وكما قيل إذا جـاعت النفس شبعت جميع الأعضاء، وإذا شبعت جاعت كلهـا، وينشأ عن هذا صفاء القلب من الكدر، واذا ذاق الصـائم ألم الجوع تذكر المسـاكين الجائعين دائماً فعطف عليهم بقـدر ما يستطيع، وكـان بعض العـارفين يقـول عند كل أكلـة يأكلهـا : اللهم لا تؤاخذنـي بحق الجائعين.

وفي الصوم اقتداء بالملائكة عليهم السلام فإنهم لا يأكلون ولا يشربون.

وينبغي للصائم أن لا يفتر لسانه من ذكـر الله وقراءة القرآن والمؤمن إذا أكثر من ذكر الله في الرخاء، كان له عوناً في الشدة.

كما يحكى عن نبي الله يونس ـ عليه السلام ـ لما ابتلعه الحوت حكى الله عنه قوله

فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾

الآية ٨٧ من سورة الانبياء

والظلمـــــات :

ظلمة بطن الحوت وظلمة البحـــــر.

وظلمـــــة الليـــــل .

فسمعت صوته الملائكة عليهم السلام ولكثرة مـا ألفت صوته عرفته، فقالت :

يارب نسمع صوتاً معروفاً في مكان مجهول فقال لهم ربهم سبحانه وتعالى : ذلك صوت عبدي يونس، فطلبوا له منه العفو والنجاة فأنجاه الله

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾

الآية ٨٨ من سورة الانبياء

ويقال أنه خرج بلا جلد فآذاه الذباب، فأنبت له الله شجرة اليقطين، لأن فيها سراً لايقربها الذباب.

وفي حديث قدسي (من دعاني في الرخاء أجبته في الشدة).

وكل الطاعات تنفع المؤمن في الشدة.

كما يحكى عن أصحاب الرقيم الذين ذكرهم الله في سورة الكهف أنهم ثلاثة، دخلول غارا في جبل فأنحطت عليهم صخرة سدت عليهم الباب فلم يستطيعوا الخروج وخافوا الهلاك فلجأوا إلى أعمالهم الصالحة، فقالوا لبعضهم: كل واحد منكم يذكر عملاً صالحاً يتقرب به إلى الله عسى الله أن يفرج عنا فقال أحدهم : (نعم كانت لي ابنة عم راودتها عن نفسها بالحرام، وبعد مزاولة ووعود كثيرة تمكنت منها ولما قعدت منها مقعد الرجل من المرأة عففت عنها لله ـ اللهم إن كنت تعلم أني تركت الفاحشة لاجلك ففرج عنا) فانفرجت الصخرة بقدر ما رأوا الضوء.

فقال الثاني : (نعم كان لي أبوان همان ـ أي هرمان وكنت أغبق لهما اللبن يعني أسقيهما اللبن اذا جاء الليل فجئت ليلة متأخراً، وجئت باللبن لأسقيهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وخشيت أن ينتبها فلم يجداني، فبقيت قاعداً على رأسيهما واللبن في يدي حتى أصبحنا ـ اللهم إن كنت تعلم أن هذا العمل لوجهك الكريم ففرج عنا). فانفرجت الصخرة بحيث لايستطيعون الخروج بعد من الفرجة.

قال الثالث : (نعم كان لي أجراء يعملون، فسخط أحدهم أجرته، وذهب فنميتها له حتى صارت مالاً كثيراً وجاءني بعد زمان طويل، وقد أدركته الحاجة يلتمس مني تلك الأجرة التي سخطها فأعطيته ذلك المال الكثير، وقلت له: هذا تنمية مالك فخذه فما صدق بذلك حتى أكدته له ـ اللهم إن كنت تعلم إن هذا العمل لوجهك الكريم ففرج عنا) فانفرجت الصخرة وخرجوا.

فهذا سر الطاعة :

ويؤكد ذلك من كتاب الله، قوله تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ وقوله

الآية ٢ من سورة الطلاق

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾

الآية ٤ من سورة الطلاق

ويسن في رمضان قيام الليل من صلاة تراويح وصلاة سحر، وقد ورد في قيام الليل وفضله أحاديث كثيرة يعضدها القرآن الكريم بقوله

﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ۝١٨﴾

الآيات ١٧ - ١٨من سورة الذاريات

يقول البيضاوي : كأنهم باتوا يسلفون الجرائم، وقوله تعالى :

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾

الآيتان ١٦ - ١٧ من سورة السجدة

وكان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقيل : أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، قال (أفلا أكون عبداً شكوراً).

وحث صلوات الله وسلامه عليه على قيام الليل فقال (عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ومقربة إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء من الجسد).

وقال (أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الاخير فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن).

وكان يقول إذا قام في الليل من نومه (اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض ومن فيهن، أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت وعليك توكلت، وفيك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وأخرت وما أسررت وأعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على

كل شيء قدير، لا إله إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله).

ثم يمسح على عينيه، وينظر إلى السماء ويتلو العشر الآيات الأخيرة من سورة آل عمران.

فيفوز من اقتدى برسول الله في حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله، والرشد كله في اتباع محمد ﷺ.

زكـاة الفطـر

وتسمى فطرة الأبدان، وزكاة الأبدان وهي سنة مرغب فيها لقوله ﷺ (زكاة الفطر على الغني والفقير من المسلمين أما الغني فيزكيه الله، وأما الفقير فيرد الله عليه أكثر مما أعطى).

وكان فقراء الصحابة - رضي الله عنهم - يأخذونها ويأدونها عن أنفسهم.

وكان الإمام الخليلي - رضوان الله عليه - يأمر المتعلمين أن يأخذوها اذا أعطوا ويؤدونها عن أنفسهم فكان الواحد منهم يأخذها من أخيه ويعطيها لآخر، وربما أعطي مرة أخرى فتبقى هي له.

وأدركت الإمام سالم بن راشد - رضوان الله عليه - ذات سنة زكاةُ الفطر وليس عنده ما يخرج به الزكاة فارسل منسوله لتباع في السوق، ويشترى بثمنها طعام الفطرة وقعد يتضور من البرد، وما أشبه ذلك بالنبي ﷺ حين أعطى ثوبه السائل وقعد في البيت ليس عنده غيره.

وتلزم زكاة الفطر المسلم عنه وعمن يلزمه عوله، كولد صغير، وزوجة، وعبد، يخرج عن كل واحد صاعاً من الطعام الذي يأكله في رمضان.

ووقت الإخراج : ما بين صلاة الصبح وصلاة العيد لقوله ﷺ (اغنوهم هذا اليوم عن السؤال).

وندب اكثار الصدقة تطوعاً لاسيما في رمضان وفي القرابة والجيران أفضل.

وكان رسول الله ﷺ إذا دخل شهر رمضان يكون أجود من الريح المرسلة، والصدقة للولي في الدين أفضل من غيره.

مما يستحب أن يقال قبل كل دعاء

سبحان الله والحمد لله والملك لله والعظمة لله والكبرياء لله ولا إله إلا الله والله أكبر عدد خلقه وزنة عرشه ومداد كلماته ورضا نفسه وكما ينبغي له وكما هو له أهل لا ينقطع ولا ينفذ من أزل الأزل إلى أبد الأبد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

دعاء أول

اللهم إنا لك نعبد ولك نركع ونسجد وإياك ندعو ونحمد آمنا بك نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك كان محذوراً اللهم يا فارق الفرقان ومنزل القرآن خالق الإنسان عالم السر والإعلان بارك اللهم لنا وللمسلمين في صوم شهر رمضان وأعنا فيه وفي غيره على الصلاة والصيام والقيام وعلى تلاوة القرآن واقطع عنا حزب الشيطان وزحزحنا عن النيران وأمنن علينا بالتوبة والغفران والقبول والرضوان وحبب اللهم إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان وأسكنا اللهم الجنان وزوجنا فيها من الحور العين الحسان وآتنا من كل فاكهة زوجين في دار السلام بمنك وفضلك وجودك وكرمك وإحسانك ولطفك يا ذا الجلال والإكرام.

دعاء ثاني

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما يبلغنا رحمتك، ومن اليقين بك ما يهون علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا واجعل ذلك الوارث منا وأنصرنا على من ظلمنا وعادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكثر همنا ولا مبلغ علمنا، اللهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب الصالحات ورحمة المساكين فإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا غير مفتونين.

الجــزء السابع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ

إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

الآيات ١ - ٥ من سورة البقرة

الزكـــاة

الزكاة ركن من أركان الإسلام الخمســة التي هي : الشهادة ، الصلاة، الزكاة، الصوم والحج.

قيل : فرضت الزكاة في السنة الثانـية من الهجرة، بعد زكاة الفطر.

وقيل : بفرضيتها بمكة اجمالاً وبالمدينة تفصيلاً.

وهي في اللغة : النمو والزيادة.

وفي الشرع :

ما يخرج من مال أو بدن على وجه مخصوص لطائفة مخصوصين.

وفضل الزكاة عظيم.

قال الشيخ نور الدين ـ رحمه الله.

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾

الآية ١٠٣ من سورة التوبة

فلو لم يـرد في فضل إخراج الزكـاة إلا هذه الآية لكـانت كافية شـافية، فإنها جمعت بين خصلتين عظيمتين لمخرجي الزكاة.

احداهما :

إنها تطهرهم من الآثام.

والثانـية :

استحقاق الدعاء بالصلاة على اخراجها.

وذلك قوله تعالى :

﴿وصل عليهم﴾.

قال ابن عباس :

معناه : ادع لهم.

قال الشافعي :

والسنة لـلإمام إذا أخذ الصـدقة أن يـدعو للمتصدق ويقـول : آجرك الله فيما

أعطيت، وبارك لك فيما أبقيت أ.هـ.

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: (حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة، واستدفعوا أنواع البلايا بالدعاء).

وقال رسول الله ﷺ (ما نقص مال من صدقة، وما تواضع عبد إلا رفعه الله بها عزاً).

وقال ﷺ (من أدى الزكاة وأقرى الضيف وأدى الأمانة فقد وقى شح نفسه).

وقال ﷺ (عليكم بالصدقة فإن فيها ست خصال، ثلاث في الدنيا، وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا فتزيد في الرزق وتكثر المال، وتعمر الديار، وأما التي في الآخرة فتستر العورة وتصير ظلاً فوق الرؤوس وتكون ستراً من النار).

وذكر عن بعض الحكماء:

أن في الصدقة عدة خصال محمودة:

منها في الدنيا ومنها في الآخرة.

فأما اللواتي في الدنيا:

فأولها:

حفظ المال لقوله عليه الصلاة والسلام (حصنوا أموالكم بالزكاة).

والثانية:

تطهير البدن لقوله تعالى

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾

الآية ١٠٣ من سورة التوبة

والثالثة:

اشغال السرور على المساكين من المؤمنين.

والرابعة:

بركة في المال وسعة في الرزق لقوله تعالى

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾

الآية ٣٩ من سورة سبأ

والخامسة :

دفع البلايا والأمراض لقوله عليه السلام (داووا مرضاكم بالصدقة).

أما اللواتي في الآخرة :

فتكون لصاحبها ظلاً من شدة الحر، وتخفيفاً للحساب، وتثقيلاً للميزان، وترفع له الدرجات في الجنة.

وكما أن فضلها عظيم فالوعيد على تركها شديد جسيم، وقد قرنها الله سبحانه وتعالى بالصلاة في عدة مواضع من القرآن الكريم، وأغلظ الوعيد على تاركها فلا ينبغي تركها ولا التهاون في أدائها، لأن بالتهاون يصير الترك، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه.

يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الآيات ٣٤ - ٣٥ من سورة التوبة

ويقول تعالى :

﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾

الآيتان ٦ - ٧من سورة فصلت

فجعل الويل لهم على ترك الزكاة كما جعل الويل لهم على الشرك.

وقال رسول الله ﷺ (يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع يفر منه صاحبه وهو يطلبه حتى يلقمه أصابعه).

والشجاع : الثعبان، والأقرع : هو الذي لاشعر على رأسه لكثرة سمومه وطول عمره.

وعنه عليه الصلاة والسلام (ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل الله له يوم القيامة في عنقه شجاعاً، ثم قرأ علينا مصداقه من كتاب الله :

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾

الآية ١٨٠ من سورة آل عمران

وقال رسول الله ﷺ (ما من صاحب ذهب ولا فضة لايؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها من نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله.

قيل يا رسول الله: فالابل؟ قال : ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقر أوفر ماكانت لا يفقد منها فصيلاً واحداً تطأه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه آخراها رد عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله.

قوله بقاع قرقر :

القاع : الأرض المستوية.

القرقر : بقافين الأملس .

قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم، قال (ولاصاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح له بقاع قرقر لا يفقد منها شيئاً ليس فيها عقصاء ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها، كلما مر عليه آخرها رد عليه أولها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله.

قيل يا رسول الله فالخيل قال (الخيل ثلاثة هي لرجل وزر، وهي لرجل ستر، وهي لرجل أجر.

فأما التي هي له وزر : فرجل ربطها رياء أو فخراً ونواء على أهل الإسلام فهي له وزر.

وأما التي هي له ستر : فرجل ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ولا رقابها فهي له ستر.

وأما التي هي له أجر : فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة، فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة أو من شيء الا كتب له عدد ما أكلت حسنات وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات، ولا تقطع طولها(١) فاستنت شرفاً أو شرفين إلا كتب له عدد آثارها وأرواثها حسنات، ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها الا كتب الله عدد ما شربت حسنات).

قيـــل : يا رسول الله فالحمر : قال : (ما أنزل الله في الحمر من شيء الا هذه الآية الفاذة الجامعة

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

الآيتان ٧ – ٨ من سورة الزلزلة

قلت : وتقوم السيارات في هذا الزمان مقام الخيل فيلتحق بها المعاني الثلاثة، والله لا يخفى عليه شيء.

فهذه نبذة من الوعيد على تارك الزكاة، فإذا تاب إلى الله، ورجع إليه، لزمه ان يؤدي ما عليه من زكاة ضيعها على القول الصحيح عند شيخنا نور الدين ـ رحمه الله ـ إذ يقول : والرخص مبنية على التيسير والتبشير، ورحمة الله واسعة، وعفو الله عظيم أ.هـ

شروط وجوب الزكاة والأموال : الذهب والفضة والتجارة، والانعام من إبل وبقر وغنم، يشترط فيها النصاب والحول.

الأصناف التي تجب فيها الزكاة

تجب الزكاة على المسلم في عدة أنواع من ماله كالذهب والفضة سواء كانا عملة أو حلياً أو سبائك مدخرة أو ديناً لك على غيرك.

١ ـ وتجب في التجارة :

أي نوع كان في التجارة، ولو كانت في التراب.

٢ – ولابد من اتخاذ شهر لأداء الزكاة فيه والأفضل أن يكون شهر رمضان، لأن الأعمال فيه تضاعف، ولك أن تختار شهراً غيره.

---

١ – طولها : حبلها

صفة الزكـــاة :

اذا عين مثلاً رمضان لزكاته ، يقوم في آخر شعبان بحساب ما في يده من مال ادخره، أو أتجر فيه، سواء حال عليه الحول أو لم يحل، فكل مال دخل عليه شهر الزكاة وجبت فيه الزكاة اذا بلغ النصاب.

والنصاب عشرون مثقالاً ذهباً، أو مائتا مثقال فضة، فـاذا بلغ ذلك وجب فيه اخراج ربع العشر لأحد الأصناف الثمانـية التي ذكرها الله عز وجل في آية الزكاة في سورة التوبة

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

الآية ٦٠ من سورة التوبة

وزكاة الريالات العملة الموجودة المتداولة في أيدي الناس زكاتها تجب من ثمن العشرين مثقالاً ذهباً او مـائتي مثقال فضة ينظر كم ثمنها من الـريالات فتخرج منها الزكاة.

الصنف الثالث والرابع :

ليس لأفراد الناس وإنما للأئمة .

واذا دخل عليه بعد خروجه شهره من الأموال ولو كثيرة ليس عليه فيها زكاة اذا خرجت عنه قبل الشهر المعين.

وليس عليه زكاة في العروض أيا كانت، إلا إذا قصد بها التجارة.

ويحمل الذهب على الفضـة فيكون منها النصاب اذا لم يكن في أحدها نصاب، كأن يكون عند المسلم عشرة مثاقيل ذهباً لا تبلغ فيها النصاب وعنده مائة مثقال فضة لا تبلغ فيها النصاب فيحمل الـذهب على الفضة وبذلك يتم النصاب وتخرج منه الزكاة ربع العشر.

وفي التجارة يحسب المـال الذي وضع فيها من جميع الانواع يحمل بعضه على بعض، فإذا عرفت كم حوت هذه التجارة، أخرجت الزكاة ربع العشر.

وفي الحلي مثل ذلك : تزنه كل سنة وتخرج زكاته بعد اسقاط المز ربع العشر.

وكذلك يجب تعيين شهر لزكاة الأنعام، كالإبل والبقر والغنم والضأن. يحمل الذكر على الأنثى والصغير على الكبير، والمعز على الضان، لانها من جنس واحد. والبقر على الجاموس لانها جنس واحد.

وتخرج الزكاة من كل أربعين شاة شاة، ومن الخمس الناقات السوائم.

والسوائم : التي لا تستعمل للخدمة، فهذه التي فيها زكاة لحديث انس. (كان رسول الله ﷺ يأخذ الصدقة من الإبل والبقر والغنم إذا كانت سائمة ترعى من الكلأ المباح طول عامها).

- وزكاة الإبل والبقر في الخمس شاة.

- وفي العشر شاتان.

- وفي الخمسة عشر ثلاث شياه.

- وفي العشرين أربع شياه.

- وفي الخمس والعشرين ناقة بنت مخاض (وهي بنت سنة).

ومن أراد التفصيل ففي كتب الفقه، وتختلف أسماء الإبل عن أسماء البقر.

ولا زكاة في ذوات الحافر : كالخيل والحمير والبغال، ولا في العبيد، لحديث (عفى عن أمتي زكاة الخيل والبغال والحمير).

ولحديث (ليس على المسلم صدقة في عبده ولا فرسه).

وأما الثمار والحبوب فهذه زكاتها غير مرتبطة بالحول إنما تجب بالحصاد لقوله تعالى

وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ

الآية ١٤١ من سورة الانعام

فتجب الزكاة في ثمار النخيل من مائة وستين منأ، والمن : أربعة كيلوات حسب الوزن الحالي المتداول، فاذا بلغت هذا الوزن وجب فيه العشر سواء كان تمراً أو بسراً مجففاً أو حشفاً.

وما أكل رطباً فليس فيه زكاة الا ما بلغ الشمس وما طني وأخذ في مقابله نقد، فان في النقد الزكاة العشر، إن كانت النخيل تسقى بالافلاج أو لا تسقى

أصلاً، وأما إن كانت تسقى بالزجر أو ما يحتاج سقيه إلى عناء مثل الزجر.

ففي هذا نصف العشر فقط، وكذلك الزبيب حكمه حكم التمر.

وزكاة الحبوب هي : البر والشعير والعدس والذرة والسمسم والدخن والسهوي والعدس والماش واللوبيا والباقل والحمص والارز وكل ما كان من الحبوب المأكولة.

قال شيخنا نور الدين السالمي : (ولا زكاة عندنا فيما عدا ذلك اتفاقا).

فهذه كلها يجب فيها العشر اذا بلغت النصاب، وهو ثلاثمائة صاع، واظن الكيلوين في هذا المقام يقومان مقام الصاع حسب ما بلغ علمي، فليسأل أهل العلم من يلي ذلك.

وضابط ما فيه الزكاة كل مدخر مقتات فيه زكاة فيخرج من المدخر البطيخ والفندال وغيرهما مما يشبههما ولا يحتمل الادخار، ويخرج بالمقتات ما لا عمدة عليه في الأكل ويستغني الناس عنه إن لم يجدوه كالفاكهة بأنواعها لأنها تؤكل تنعماً وكالزيتون والنارجيل فانها تؤكل تادماً.

وانظر إلى كرم الله سبحانه وتعالى عليك ، أعطاك الكثير، ورضي منك بالقليل اختباراً منه لطاعتك، ومع ذلك فالنفع عائد إليك والله غني عنه

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ

الآية ١٥ من سورة فاطر

مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

الآية ٢٤٥ من سورة البقرة

مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾

الآية ٢٦١ من سورة البقرة

وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ
وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ
فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

الآية ٢٦٥من سورة البقرة

إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ
فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

الآية ٢٧١ من سورة البقرة

وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ
وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ

الآية ٢٧٢ من سورة البقرة

ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم
بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

الآية ٢٧٤من سورة البقرة

وزكاة الفطر أو ما يسمى فطرة الأبدان :
(راجع غرس الصواب الجزء السادس).

الصـــدقة

« تصدقوا ولو بشق تمرة تكنون به وجوهكم عن النار»

وروي : «تصدقوا ولو بضلف محرق».

وروي : «تصدقوا ولو بتمـرة، فإنها تسد من الجائع، وتطفيء الخطيئة كما يطفيء المـاء».

وروي : « ما مـن عبد يتصـدق بصدقة مـن كسب طيب ـ ولا يقبـل الله عز وجل إلا طيباً إلا كـان على الله عز وجل يأخذها فيربيهـا كما يربي أحدكم فصيلة وفي رواية مهره، حتى تبلغ الثمرة مثل أحد».

وقال لأبي الـدرداء : «إذا طبخت مرقـة، فاكثر مـاءها، ثم أنظـر أهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف».

وقال أيضاً : «مـا أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عـز وجل له الخلافة على تركته».

وقـــال : «الرجل في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضي بين الناس».

وقـــال : «الصدقة تسد تسعين بابا من الشر».

وقـــال : «ما المعطي من سعة بأفضل أجراً من الذي يقبل من حاجة».

وقـــال : «أفضل الصـدقـة ان تتصدق وأنـت صـحيح شحيح تأمل البقـاء، وتخشى الفاقه، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت : لفلان كذا، ولفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان».

وقـــال : «تصدقوا».

فقيـل : عندي دينار. قال : لنفسك.

قيـــل : وآخر قال : أنفقه على زوجتك.

قيـــل : وآخر قال : أنت أبصر به.

وقـــال : «ردوا مذلة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام».

وقـــال : «لاتقطعـــوا المسألة[١] حتى نفرغ، ثم ردوا بوقـــار ولين، أو ببذل

---

(١) كلام السائلة أو السائل

يسير، أو برد جميل، فإنه قد يأتيكم ملك ينظر كيف صنعكم فيما خولكم الله».

وقال : «ولو صدق السائل، ما أفلح من رده».

وقال عيسى عليه السلام :

«من رد سائلاً خايباً ، لم تغش الملائكة بيته الذي هو فيه سبعة أيام، وقيل يوماً».

وكان نبينا ﷺ يضع طهوره بالليل بيده ويخمره، ويناول المسكين.

وتأتي الملائكة ليلاً، ويسألون كابن آدم، فاذا صعدوا.

قالت الملائكة :

كيف وجدتم ؟

فيقولون : فلان سخي،

فيقولون : اللهم اغفر له، اللهم ارزقه، اللهم بارك فيه وقنعه .

ويقولون: فلان شحيح، مناع، خشن القول،

فيقولون : اللهم افعل فيه كذا.

وقال : ليس المسكين من ترده التمرة أو التمرتان واللقمة واللقمتان، انما المسكين المتعفف، اقرأوا إن شئتم:

لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا

الآية ٢٧٣ من سورة البقرة

وقال : ما من مسلم يكسو مسلماً، إلا كان في حفظ الله تعالى ما دامت منه رقعة.

وقال : «الصدقة تقي مصارع السوء، وترفع ميتة السوء».

وقال : «نفقة الرجل على أهله صدقة».

وقال : «من أطعم مسلماً تمرة أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقاه جرعة سقاه الله من الرحيق المختوم».

وقال : «انما المسكين الذي لايجد غني يغنيه ولا يفطن فيتصدق عليه، ولا

وقـــال : «من أنفق زوجين نودي في الجنـــة : يا عبد الله : هـذا خير، ويدعى المتصدق من بـاب الصدقة، والمصلي من باب الصـلاة، والصايم من باب الـريان، ويدعى الواحد منها جميعاً».

ورجا ﷺ أن يدعى أبو بكر رضي الله عنه منها جميعاً.

ومن تصدق خفية كان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله.

ولما نزل ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ الآية ٢٢٥ من سورة البقرة

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ ..الخ.
الآية ١١ من سورة الحديد

قال أبو الدحداح :

فداك أبي وأمي يا رسول الله، يستقرضنا الله وهو غنـي.

قـــال : نعم ، يريد أن يدخلكم الجنة.

قـــال : فإن أقرضت ربي، يضمن لي الجنة.

قـــال : نعم : من تصـدق بصدقة فلـه مثلها أي عـوضها في الجنـة من ذلك الجنس.

قـــال : وزوجتي أم الدحداح معي.

قـــال : نعم .

قـــال : وصبيتي الدحداحة معي .

قـــال : نعم .

فقـال : إن لي حديقتين: احـداهما بـالسافلـة أي من نخيـل المدينة، والأخـرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، جعلتهما قرضاً لله تعالى.

قـــال : اجعل احداهما لله عز وجل ، والأخرى معيشة لك ولعيالك.

فقـال : فاشهد يا رسول الله : أنـــي جعلت خيرهما لله تعالى، وهو حائط فيه ستمائة نخلة.

قـــال : إذن يجزيـك الله به الجنة. ثم قال : كم مـن عذق رداح، ودار فياح في

الجنة لأبي الدحداح.

قال الضحاك :

من تصدق بدرهم لله تعالى، فله سبعمائة درهم في الدنيا، وألف ألف درهم يوم القيامة.

قال أبو هريرة :

كنا نحسب ورسول الله ﷺ بين أظهرنا : نفقة الرجل على نفسه ورفقاه وظهره في الجهاد ألفي ألف.

وعن عروة بن الزبير :

إن عائشة ـ رضي الله عنها ـ تصدقت بخمسين ألفاً، وإن درعها لمرقع.

وعن مجاهد : قوله تعالى :

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾

الآية ٨من سورة الدهر

أي : وهم يشتهونه.

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان يقول : اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون على أولي الحاجة منا.

وقال : بعض الصدقة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك.

وقال : بعض الصدقة تفك لحيي سبعين شيطاناً وضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفاً

وعن ابن مسعود : أن رجلاً عبد الله تعالى سبعين سنة فأصاب فاحشة، فأحبط عمله، ومر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله عز وجل ذنبه، ورد عليه عمل السبعين سنة.

وقال لقمان لابنه : إذا أخطأت خطيئة فأعط صدقة.

وقال بعض : لا أعرف حبة تزن جبال الدنيا، إلا الحبة من الصدقة.

وقالوا : كتمان الصدقة من كنوز الجنة، والنفقة على العيال صدقة.

وكان ابن عمر : يتصدق بالشكر، لقوله تعالى :

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾

الآية ٩٢ من سورة آل عمران

..الخ وبعض تصدق ببير له لأجل الآية.

ويحشر الناس أجوع ما كانــوا، فمن أطعم لله، أشبعه الله، ومن سقى لله سقاه، ولو شاء لأغنى الناس ولكن أغنى وأفقر ابتلاء.

وعن الشعبي : من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه.

وقال الجسين لرجل مر به ومعه جــارية: أترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين، فقــال: لا، قال : فــاذهب، فــان الله عــز وجــل رضــى في الحــور العين بــالفلس واللقمــة.

الجـزء الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ
إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ
مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

الآيتان ٩٦ - ٩٧ من سورة آل عمران

الحـــج

في الحج : تتخلى النفس عن خيلائها، تخشع لله خالقهـا، طمعاً في ثوابه، وأملاً في مرضاته، وتفانـياً في طاعته، تعتصر ندماً، وتتهالك توبه، وتبكي وجلاً.

... ثم إنه العبادة الـوحيدة التي تؤدى مناسكها في ذلة وانكسـار وعزوف تام عن كل ما يرتبط بزينة ومباهج الحيـاة، فلباسـها الإزار وزادها التلبية والصدقة، ومنـاسكها طـواف وسعي وتقبيل حجر ووقـوف بعرفـه وذبح ورمي جمار، خضوعاً ونزولاً لأمر الله ...

وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

الآيتان ٢٧ - ٢٨من سورة الحج

الحج : هو الركن الخامس من أركان الإسلام وهو أشق الأعمال، فإذا أردت الخروج الى الحج والعَمـرة، أو إلى العمرة فقط، لتحظى بـالتقرب إلى الله تعـالى ، وبـالتعرض إلى نفحـاته، لتطـوف بالكعبـة المشرفة، وتسعى بين الصفـا والمروة، وتحظى بلثم تلـك الأماكن المقدسـة التي مشى عليهـا رسول الله ﷺ، والـرعيل الأول من أصحابه الكرام والتابعين لهم بإحسان، وبهما تبدل الحال من ظلام إلى ضيـاء، ومـن جهل إلى علم، ومـن شرك إلى تـوحيـد. فإذا أردت ذلـك بعـون الله وتوفيقه، فافعل ما يأتـي : صحـح نـيتك في أن يكون خروجك لله، ولا تشرك معه غيره من المقاصد الأخـرى، تعتمر وتحج، أو تعتمر فقط، أو تحج فقط، وعلى كل الأحوال فيلزمك ذلك، ويلزمك أن تتخلص من التبعات التي عليك للناس، فإن لم يمكنك فـاكتبها في مـالك كتابـة شرعية لاتخاف عليها الإبطـال إذا أصابـك حال، والعبد في قبضة خالقه

لابد من خـروجك إما على الطائرة أو على السيارة وعلى كـلا الحالين فالعمرة

من ذي الحليفة أفضل، وهي المسماة الآن (أبيار علي).

والعمرة من ذي الحليفة فيها اقتداء بالنبي ﷺ، ثم أنها أبعد المواقيت وكلما طال الإحرام طال الثواب.

فإذا كنت في السيارة مثلاً، فاذهب رأساً إلى المدينة المنورة، وإذا كنت في الطائرة ونزلت على جدة فسافر إلى المدينة كذلك دون أن تعرج إلى مكة، فإذا وصلت المدينة بمشيئة الله فأكثر من الصلاة والسلام على رسول الله، وادخل المسجد النبوي الشريف بعد أن تحط رحلك في المكان الذي تستقر فيه.

فإذا دخلت المسجد : فصل ركعتين تحية له، وإن أمكنك أن تصلي الركعتين وجميع الصلوات في أصل المسجد الذي بناه رسول الله ، فتحرى ذلك، فإنه أطيب للنفس ولا حرج في المسجد كله، لأن الرسول يقول (إن ما اتصل بمسجده فحكمه حكمه، ولو إلى صنعاء).

وبعدما تصلي الركعتين، فتقدم بأدب وتواضع إلى حيث القبر الشريف، فقف مقابله، وقل : السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك رسول الله حقاً، وأنك بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة وجاهدت في الله حق جهاده، فجزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، وآتاك الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وأرجو يا رسول الله أن أكون من أهل شفاعتك يوم القيامة، ثم تتحرك على يمينك قليلاً، وتسلم على الصديق، فتقول : السلام عليك يا صاحب رسول الله في الغار، ويا خليفته على المسلمين. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، أشهد أنك خلفت رسول الله، وقمت بواجبك، ونصحت للأمة، فجزاك الله خيراً، ثم تتحرك عن يمينك قليلاً وتسلم على الفاروق، وتقول : السلام عليك يا أبا حفص، السلام عليك يا أمير المؤمنين، أشهد أنك أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر، واجتهدت لأمة محمد نصحاً وإخلاصاً، فجزاك الله خيراً، ثم تنصرف، واحذر أن تلمس بيدك شيئاً أو تعبث بشيء، فتسيء على نفسك، وعلى مذهبك.

فان المذهب الإباضي ناصع لا يدنس بشيء، وهو قمة في الأدب، وعدم الإعتبار لغير الله ورسوله، وتقعد في المدينة المنورة ما بدا لك، ولايشترط أيام معلومة في القعود، وأكثر من الصلاة في مسجد الرسول ﷺ، فإن الصلاة الواحدة فيه ألف صلاة، فلا تضيع الفرصة، وزر مسجد قباء، وصل فيه، فإنه هو الذي أنزل الله

فيه قوله في القرآن الكريم

﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾

الآية ١٠٨ من سورة التوبة

يقول أهل العلم: إن النبي ﷺ سأل أهل مسجد قباء، لم أثنى الله عليكم؟ فقالوا كنا نتبع الحجارة الماء إذا أتينا البول أو الغائط.

ويستحب ان تزور قبور الشهداء في أحد، وتسلم عليهم وتدعو لهم بالمغفرة.

فتتذكر بذلك المعركة التي وقعت هنالك بين الرسول والمشركين من قريش وغيرهم، فهزمهم الله الهزيمة المنكرة، بعدما ابتلى المسلمون في أول الأمر، وصارت الدائرة عليهم ثم ردت الكرة لهم، ولتعلم أن هذا الدين ما جاءنا وما خلص إلينا بالهوينا، وإنما خلص إلينا بجهد كبير وجهاد مرير فقام المسلمون الآن يعبثون به وينقضون ما أبرمه أولئك المخلصون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

فإذا عزمت التوجه إلى مكة المكرمة لابد لك من ثلاث حالات: إما أن تكون متمتعاً بالعمرة إلى الحج وإما أن تكون مفرداً بالحج وإما أن تكون قارناً بين الحج والعمرة.

وهذه الأحوال الثلاثةلا تقع إلا في أشهر الحج، وهي من أول يوم من شوال إلى الثامن من ذي الحجة، وعلى كل الأحوال تفعل ما يلي: تغسل مثل غسلك من الجنابة، وتتوضأ ثم تلبس ثوبين غير مخيطين، تتزر بأحدهما وترتدي الآخر، ولا تربطهما ولا تشكمهما بإبرة، واجتنب الطيب أن يمسهما، ثم تصلي ركعتي الإحرام، تقرأ في الأولى: قل يا أيها الكافرون، وفي الثانية: قل هو الله أحد بعد الحمد، ثم تعقد النية بعد التسليم من الركعتين فتقول: لبيك اللهم لبيك، لبيك لاشريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، فإن كنت متمتعاً زدت (بعمرة تمامها وبلاغها عليك ياالله)، وإن كنت مفرداً قلت (بحجة تمامها وبلاغها عليك يا الله)، وإن كنت قارناً بين الحج والعمرة فقل (بحجة وعمرة تمامهما وبلاغهما عليك يا الله)، تقول ذلك ثلاث مرات، وتقول بعد ذلك (اللهم إني أسألك رضاك والجنة، وأعوذ بك من سخطك والنار لا إله إلا أنت وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله) تفعل هذا كله إذا وصلت (ذا الحليفه) وإن فعلت ذلك في المدينة فلا بأس.

أما الاغتسال : فمن الأسهل وأرفق بك، أن تغتسل في البيت الذي كنت فيه في المدينة، وتلبس ثوب الإحرام.

أما الإحرام : فإنه أفضل أن يكون من ذي الحليفة إن كنت من حجاج البر، وإن كنت من حجاج الجو فلا تستعجل بالإحرام حتى تتأكد من الحجز[1] لأنك إن أحرمت ولم تسافر بقيت في عناء، ولا يحل حل الإحرام إلا بعد الفراغ من أداء الشعيرة، فإذا تأكدت من الحجز فصل في المطار الركعتين وأحرم بعدهما وتوكل على الله، واحذر أيها المحرم في حال إحرامك أن تقص شعرة أو ظفراً، أو تباشر عملاً يؤدي إلى جرحك، أو تلمس طيباً ، أو تتذكر جماعاً فإن هذا كله يؤثر على إحرامك فيلزمك بسببه دم، والدم ذبح شاة أو كبش في الحرم، ولا تغفل التلبية بين الحين والآخر من دون الحاح، والتلبية من أكثر شعائر الحج شعاراً فلا تقطعها حتى تشاهد البيت الحرام، فإذا وصلت مكة المكرمة فانزل أولاً في المكان الذي تحب الإقامة فيه، (وللعمانيين في مكة المكرمة بيت أوقفه بعض الصالحين لفقراء الأباضية ينزلون فيه فلا يحل لغير الإباضي أن ينزل فيه ولا يحل للغني من الإباضية أن ينزل فيه كذلك، لأن في نزول هذين الصنفين تبديلاً للوصية فينبغي التنبه لذلك، لأن من قصد الله في عمله لا يخالفه في شيء).

وبعدما تحط رحلك : تتوضأ، و تقصد المسجد الحرام، فإذا رأيت الكعبة، تقطع التلبية وتقول (اللهم إن هذا بيتك، وأنا عبدك، فأنلني فيه مناي واغفر ذنبي، ووفقني للعمل بطاعتك، وصلى الله على سيدنا محمد وآله) ثم أقصد الحجر الأسود، فإذا وصلته فقبله إن أمكنك من دون أن تؤذي أو تؤذى، وإلا فالمسه بيدك، وإن لم تستطع فأشر اليه بيدك وقبلها، فالنبي ﷺ أشار اليه بمحجن كان في يده، ثم ابتدىء الطواف من قبل أن ترى الباب فتطوف سبعة أشواط، والشوط من الحجر الأسود إلى الحجر الأسود. تضبط الأشواط، فإن لم تضبطها لزمتك الإعادة، ولا يتم الطواف إلا بالتحقيق، وتقول في جميع الأشواط : (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله).

فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا لا يزيدون على ذلك.

وان دعوت بدعاء تعرفه فلا بأس، ولكن المحظور عليك أن تقبض الكتيب الذي

---

(١) الحصول على تذكرة الطائرة مع التأكيد.

فيه دعاء الشوط الأول ودعاء الشوط الثانـي، الى آخر السبعة، فتسمع سواد هذا الحاج يقبض ذلك الكتاب ويقـرأ ما فيه بلحن مفرط لا يعرف مـا يقرأ، بل يعتقد أنه لا يتم الطواف إلا بقراءة ذلك السواد، في ذلك البياض.

والقاعـدة الشرعية إنك إذا دعوت بما لا تعرف لا يستجـاب لك. نسأل الله أن يتولى برحمته من قصد وجهه وأخلص العمل له.

ويستحب بتأكيد أن نقـول بين الركن اليمانـي والحجر الاسـود (ربنا آتنا في الدنـيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار).

كما يستحب أن نقـول عند الميـزاب : (اللهم إنـي أسألك الـراحة عنـد الموت، والعفو عند الحساب، والفوز بالجنة، والنجاة من النار).

فإذا مررت على الركن اليمانـي فـامسحه بيدك ولا تقبله إنما التقبيل في السنة للحجـر الأسود فقـط فإذا كملت السبعـة أشواط: فـاحمد الله على التـوفيق، فإن استطعت أن تقف عنـد الباب وتلصق بطنك بـالجدار وتقبض بيـدك تحت الباب، وتدعو الله بما يتيسر لك من الدعاء فذلك مندوب اليه.

وأفضل الدعـاء أن تسأل الله العافية في الدنـيا والآخرة فإنه دعـاء عام، فمن عافاه الله في دنياه وآخرته ماذا يطلب بعد ذلك؟؟

ثم صل ركعتين خلـف مقام ابـراهيم، وهما ركعتـا الطـواف فريضـة وإن لم تستطع أن تصلي خلف المقام لما هناك من الزحام، فـالمسجد كله موضع للصلاة، تقـرأ في الركعتين بعـد فاتحة الكتـاب: قل يـا أيها الكافـرون، وقل هو الله أحـد، وتـدعو الله بما يتيسر لـك، ثم تشرب من مـاء زمـزم، حتى تتضلع، وتـرش على رأسك، فإنه بركـة، واتباع للسنة، ثم بعد ذلك كلـه: تذهب إلى السعي بين الصفا والمروة تبتدي بالصفا، وتقول عند صعودك إليه: أبدأ بما بدأ الله به

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾

الآية ١٥٨ من سورة البقرة

بحث العلماء في هذه الآية فقالوا : لأي شيء قال فلا جناح عليه أن يطوف بهما مع أن الطواف سنة؟

قالوا : لأن الجاهلية كانوا قد وضعوا صنمين فيهما يسميان : (أساف ونائلة).

فلما جاء الإسلام تحرج المسلمون من السعي بينهما لئلا يكون المشركون قدوة لهم، فنزلت الآية إشارة إلى أن الشرك ولى واضمحل، وهذا الإسلام في عزته وشموخه. أ.هـ.

وتقول إذا صعدت على الصفا : (لا إله إلا الله وحده لاشريك لـه، له الملك ولـه الحمد، وهو على كل شيء قدير، تائبون آيبون عابدون لربنا حامدون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده).

ثم تنحدر قاصداً المروة، فإذا وصلت بطن الوادي ولا أثر للوادي اليوم، إلا أن هناك إشارة خضراء في سقف المسعى تبين أول بطن الوادي وآخره.

فإذا وصلت هذا المكان، هرولت بقدر ما تستطيع تخب ولا تركض، وتقول (اللهم اجعل ممشاي هذا كفارة لكل مشي كرهته مني، اللهم إني أسألك العمل بما ترضى، والفوز في الأخرى، اللهم اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم).

وتقول في السعي كله، مثلما قلت في الطواف، ينتهي الشوط الأول في المروة، ويبتدىء منها الشوط الثاني، وهكذا حتى تتم السبعة أشواط، تبتدىء من الصفا وتختتم بالمروة، وتستقبل الكعبة في كل من الصفا والمروة، والمرأة لا تصعد فوق الصفا ولا فوق المروة، ولا تهرول بين العلمين، فإن ذلك كله مختص بالرجال، وإنما تقف المرأة في أصل الصفا، وفي أصل المروة، وتمشي بين العلمين مثلما تمشي في كل المسعى، وهذا كله محافظة على سترها، إذ يلزمها الستر في جميع حالاتها لايؤذن لها أن تبدي شيئاً من مفاتنها في أي حال بلا استثناء، إلا ما رخص لها، من كشف الوجه، والكفين في حالة الإحرام، وسترها في باقي الأوقات أفضل، فإذا كمل السعي، أخذت شيئاً من شعرك، والحلق أفضل، والتقصير أخذ بعض الشعر من رأسك، والمرأة تأخذ قدر أصبع أو أصبعين من طرف شعرها، ولا تأخذ أكثر من ذلك، ولا يأخذ الرجل من شعر لحيته، فإن قص اللحية حرام، والطاعة لا تؤدى بالمعصية، والأفضل أن يقص الشعر من المحرم غير المحرم، فيقص للرجل أحد الواقفين هناك لهذا الغرض، ثم أنت تأخذ المقص وتقص لزوجتك أو لأختك، وتقص للمرأة المرأة، ولا يقص لها الرجل إلا إذا كان ذا محرم منها.

وبهذا ينتهي عمل العمرة بتوفيق الله، ومن اجتهد وفق.

فالمتمتع بالعمرة إلى الحج :

يخلع ثوبي إحرامه ويباشر كل ما حرم عليه في الإحرام.

أما القارن بين العمرة والحج :

فيبقى على إحرامه إذ لا يزال محرماً، يحرم عليه ما يحرم على المحرم.

حتى إذا كان اليوم الثامن من ذي الحجة:

أحرم المتمتع بالحج : يحرم من البطحاء، أو من المسجد الحرام، أو من البيت الذي ينزل فيه، ويتوجهون جميعاً الى منى بعد زوال الشمس، ولا يصلون الظهر والعصر إلا في منى جمعاً وقصراً.

والمفرد بالحج هو على إحرامه.

فإذا وصل قبل اليوم الثامن، لا يطوف بالبيت، بل يبقى بإحرامه، ويصلي في المسجد الحرام.

ويكون المبيت في منى ليلة التاسع تصلي فيها الصلوات الخمس.

فإذا وصلت إلى منى قلت (اللهم إن هذه منى وهي مما دللت عليه من المناسك وأسألك أن تمن علي فيها وفي غيرها بما مننت به على أوليائك وأصفيائك، فها أنا ذا عبدك بين يديك، وفي قبضتك، وصلى الله على سيدنا محمد).

وفي صبح اليوم التاسع وهو يوم عرفه بعد طلوع الشمس لا قبلها تذهب إلى عرفات للوقوف به وتقول : (اللهم إليك قصدت، وإليك صمدت، وما عندك أردت، أسألك أن تبارك لي في رزقي، وأن تلقيني في عرفات حاجتي، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم).

ولا تقطع التلبية بين الحين والآخر، وبعدما تصلي الفرائض، وحين ترى جمعاً من الناس، وكلما أكثرت من التلبية فهو خير لك، وفي الحديث (الحج العج والثج).

معنى العج : رفع الصوت بالتلبية، والثج : إراقة دم الهدي أ.هـ.

فإذا وصلت عرفات وهو مكان معروف، وهنالك مكان يسمى (عرنة) مجاور لعرفات، من وقف فيه فلا حج له، ليحذر الجاهلون به أن يقعوا فيه، وكثير من

المقاولين غير الأمنـاء لا يبالـون أن يقعوا فيـه قراراً من الـزحمة، وهذه خيـانة، فينبغي للحاج أن يسأل وليأخذ حذره ولا يسعه الجهل.

والوقوف بعرفات هو الركن الثاني من أركان الحج بعد الإحرام.

فإذا وصلت قلت (اللهم هذه عرفات فاجمع لي فيها جوامع الخير كله، واصرف عنـي فيها جوامع الشركله، وعرفنـي فيهـا ما عرفت أولياءك وأصفياءك، وصلى الله على سيدنا محمد).

ثم تتهيأ للوقوف : بأن تأكل وتتوضـأ، فإذا زالت الشمس حان وقت الوقوف، صليت الظهر والعصر جمعاً وقصراً مع الجماعة، ثم وقفت تسأل الله غفران ذنبك وتكفير سيئاتك وقضاء حاجتك فإن الله الكريم لا يرد في هذا اليوم سائلاً مخلصاً مـا لم يسأل الله حاجـة لايجوز سؤالها، وكلما استطـاع الإنتصاب وقـوفاً فهـو أفضل، ومن لم يستطع جلس ومن لم يستطع اضطجع.

والوقوف بعرفه معنـاه : الصمود بها من زوال الشمس إلى غروبها، يستغرق هذا الوقت كلـه ذكراً لله ودعاء وتوسل وتضرع تستحضر فيـه ذنوبك وتحاسب نفسك وتضرع إلى الله بأن يقبل منك وأكثـر من ذكر (لاإلـه إلا الله وحده لاشريك له؛ فانه من أفضل الدعاء كما ورد في الحديث (أفضل ما قلته وقاله النبيون قبلي لا إلـه إلا الله وحده لاشريك لـه) ولا تشتغل بشيء من أمـور الدنـيا إلا ما كـان للضرورة، فإنها فرصة لا تفوت ولا تستدرك، والتوفيق بيد الله.

ولتحـذر أن تزاول مكـانك قبل أن تغـرب الشمس وبعـد أن تغـرب تنتقل مع الحجاج إلى مـزدلفة، وهي المسماة (جمعاً) فإذا وصلت بها، قلـت (اللهم إن هذه جمع، فـاجمع لي فيها جـوامع الخير كلـه) ولا تقطع التلبيـة حتى تـرمي جمرة العقبة في اليوم الثانـي ولا تصل المغـرب والعشاء دون جمع، وهكذا السنة، فإذا وصلت ولو في آخر الليل صليت المغرب والعشاء جمعاً، وبت فيها تذكر الله كثيراً حسبما أرشد القرآن الكريم

فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ

الآية ١٩٨ من سورة البقرة

والمشعر الحرام هو مزدلفة، وقال تعالى

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾

الآية ٢٠٠ من سورة البقرة

لأن العرب كانوا يفتخرون بآبائهم، فيذكرونهم كثيراً فأمرهم الله أن يذكروه بدل ذكرهم آباءهم فإنه أنفع لهم عاقبة.

فإذا صليت الصبح عجلت المسير إلى منى، وهنالك في الشرق من منى واد يقال له «وادي محسر».

(سمي وادي محسر ، لأن الفيل الذي كان عند أبرهة لما جاء لهدم الكعبة حسر فيه، أي أعيا، فلم يستطع عليه صاحبه أن يقومه. فإذا وجه إلى غير مكة توجه، وإن وجه إليها ربض).

ويسمى وادي النار، ينبغي للحاج قطع هذا الوادي قبل طلوع شمس يوم عاشر.

فأول ما تبدأ به هذا اليوم هو : رمي جمرة العقبة، وتسمى الجمرة الكبرى، وهي التي تلي مكة من الثلاث الجمرات، ترميها بسبع حصيات صغار، الواحدة مثل النبقة، ولا ترمي بأكبر من ذلك ولا بغير الحصى، مثل ما يفعل كثير من الجهال يرمون بالنعال وبالخشب، ويركبون على الجمرة يلكزونها بأرجلهم ويضربونها بأيديهم، وبعضهم يهوي إليها ليعضها، يعتقدون أن ذلك الشيطان، وإنهم يهينونه بركوبهم عليه وفعلتهم هذه فيه ،ولم يدر المساكين أن الشيطان هو الذي يركبهم، وأنه يسر بهذا الفعل لأنه مخالف للشريعة، ولما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا بيت قصيد الشيطان، أخزاه الله، وهدى المسلمين إلى رضاه، والعمل بطاعته.

ومن شرط الرمي : أن ترى الحصاة حين تقع على الجمرة، تكبر مع كل حصاة ترميها تقول (الله أكبر ولله الحمد، اللهم هذه حصياتي، وأنت أحصى لهن مني، فتقبلهن مني واجعلهن في الآخرة ذخراً لي، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم) ثم إن كنت متمتعاً رحت إلى المكان الذي تباع فيه الأغنام فتشترى شاة أو كبشاً فتذبحه، أو تشترك مع ستة فتذبحون بقرة أو

تنحرون ناقة، إذ الناقة والبقرة يجزي كل واحد منهما عن سبعة، وبعد ذلك تحلق رأسك أو تقصر والحلق أفضل، لحديث (رحم الله المحلقين قيل والمقصرين قال رحم الله المحلقين قيل والمقصرين قال رحم الله المحلقين، وفي الرابعة قال والمقصرين).

بعد ذلك تخلع ثياب الإحرام، وتلبس ثيابك المخيطة وبهذا تكون قد تحللت التحلل الأصغر.

وأكثر من قول (الحمد لله رب العالمين رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، وله الكبرياء في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم).

ثم تذهب إلى مكة : فتطوف بالبيت، وتسعى بين الصفا والمروة، مثلما فعلت عند القدوم، وهذا الطواف يسمى «طواف الإفاضة» وهو الركن الثالث من أركان الحج وبه يتم الحج، ويسمى التحلل الأكبر.

يبقى عليك أن ترجع إلى منى، فتبيت بها ليلة الحادي عشر والثاني عشر لمن تعجل، والثالث عشر لمن تأخر، وهذا المبيت سنة مؤكدة، لابد من فعله ومن تركه فعليه دم - فلا يقول أهل الغنى والترف إنا نبيت في مكان فيه راحة ونجبر ذلك بالدم فهذا خروج عن السنة، أخاف على فاعله أن لايكون له حج فلينتبه له.

وعند زوال شمس كل يوم تذهب إلى الجمار، فترميها كل واحدة منها بسبع حصيات، تبدأ بالجمرة الصغرى، وهي التي تلي منى، وبعبارة أخرى الشرقية من الثلاث، ثم الوسطى ثم الكبرى، ويرمى الجميع من بطن الوادي، لما أصلحت الحكومة السعودية من الأرض وسهلت على الناس وجعلت لهم الظل والمراوح - جزاهم الله خيراً - ولكن الضابط في بطن الوادي، أن جمرة العقبة، يكون في بطن الوادي جنوبيها فتكون إذا رميتها تستقبل الشمال، فتجعل مكة عن يسارك، وكذلك الجمرة الشرقية، أما الجمرة الوسطى فبالعكس، يكون بطن الوادي شماليها، فإذا رميتها استقبلت الجنوب، فتجعل مكة عن يمينك، ويشترط في الحصى المرمي به أن يكون من الحرم ولا يؤخذ من الحل، ولا يلزم أن يلتقط من مزدلفة، بل من كل الحرم حتى من المكان الذي تقيم فيه بمنى، لكي يكون نظيفاً ليس من الأمكنة الملوثة لأنك تتقرب به إلى الله، ولا يتقرب الى الله بغير النظيف، ويستحب غسل الحصى وإن كان نظيفاً، ويروى في ذلك سنة، وجملة ما يرمى به الجمرات سبعون حصاة للمتأخر، وتسعة وأربعون للمتعجل، وبعض

العلماء يستحب للمتعجل أن يأخذ الإحدى والعشرين حصاة التى على المتأخر فيدفنها تحت جمرة العقبة فاذا غربت على المتعجل شمس اليوم الثاني عشر وهو لم يزل في منى لزمه المبيت والبقاء الى ظهر اليوم الثالث عشر فيرمي الجمار، وبرمي الجمار تنتهي أعمال الحج كلها، فنسأل الله قبول أعمالك، ولا يجعلك من الخاسرين فعلى العبد الإجتهاد وعلى الله القبول وعليه الإتكال.

وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٦٩)

الآية ٦٩ من سورة العنكبوت

فإذا أردت الخروج من مكة، والسفر منها على نية أن لاتعود إليها في حاضر الوقت، فعليك أن تطوف بالبيت طواف الوداع، ومن تركه بغير عذر فعليه دم، ولايلزمك السعي بين الصفا والمروة، وكل من ترك عملاً من أعمال الحج، أو قدم شعيرة على أخرى من حقها التأخير فعليه دم، والدم شاة أو كبش يذبح في الحرم، ولا يأكل منها صاحبها ولا رفقته، ويستحب له بعد طواف الوداع أن يأتي الى باب الكعبة فيقبض بيده على أسكفة الباب ويلصق بطنه بجدارها إن استطاع، وإلا حيث يستطيع من المسجد ويدعو بهذا الدعاء.

يقول : (اللهم لك حججنا، وبك آمنا، ولك أسلمنا، وعليك توكلنا، وبك وثقنا، وإياك دعونا، فتقبل نسكنا، واغفر ذنوبنا، وأستعملنا لطاعتك، اللهم إنا نستودعك ديننا، وإيماننا، وسرائرنا، وخواتم أعمالنا، اللهم اقلبنا منقلب المدركين رجاءهم، المحطوطة خطاياهم، الممحاة اساءتهم، المطهرة قلوبهم، منقلب من لا يعصي لك امرا، ولا يحمل وزرا، منقلب من عمرت بذكرك لسانه، وزكيت بزكاتك نفسه، ودمعت من مخافتك عيناه، اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على دابتك، وسيرتني في بلادك، وأقدمتني حرمك وأمنك، وقد رجوت بحسن ظني أن تكون قد غفرت لي، فازدد عني رضى، وقربني إليك زلفى، اللهم لا تجعل هذا آخر العهد مني عن بيتك الحرام ومُنّ علي بالعودة مرات عديدة، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وسلم).

أشياء ينبغي التنبه لها

١ ـ لا تتذكر وأنت محرم ما يستدعي انتشار ذكرك فإن انتشر فعليك دم، ومن أمنى فسد حجه.

٢ ـ لا تخرج من «منى» إلى «عرفة» قبل طلوع الشمس.

٣ ـ لا تخرج من عرفة إلى مزدلفة قبل غروب الشمس.

٤ ـ لا تخرج من مزدلفة قبل أن تصلي الفجر، إلا لضرورة.

٥ ـ لا تصلي المغرب والعشاء إلا في مزدلفة ولو صليت آخر الليل.

٦ ـ لا تتهاون في قطع وادي محسر قبل طلوع الشمس.

٧ ـ لا تهمل التأكد من وقوع الحصاة في الرمي على الهدف وهو الجمرة.

٨ ـ تأكد في الرمي أنك ترمي من بطن الوادي.

٩ ـ لا تذبح قبل أن ترمي.

١٠ ـ لا تحلق قبل أن تذبح.

١١ ـ لا تخلع ثياب الإحرام قبل أن تحلق.

١٢ ـ لا تطف بالبيت قبل أن ترمي وتذبح وتحلق.

١٣ ـ لا تهمل اليقين في الطواف فتطوف أقل من سبعة أشواط أو أكثر، فإن شككت، فأعد الطواف مرة أخرى حتى تخرج على يقين.

فهذه كلها سنن لابد من المحافظة عليها، وإلا أخللت بحجك، وأربعة أشياء تفسد الحج أصلاً، فيلزم من فعلها أن يحج من قابل.

١ ـ إذا لم يحرم بالحج ويعقد النية من أول الأمر فلا حج له.

٢ ـ من لم يقف بعرفة ولو قدر نصف ساعة قبل غروب الشمس في اليوم التاسع فلا حج له.

٣ ـ من لم يطف طواف الإفاضة ويسعى بين الصفا والمروة فلا حج له.

٤ ـ من جامع زوجته في حال الإحرام، أو لاعبها، حتى أمنى فلا حج له،

ويلزم للحاج أن يحترم المشاعر ويقدسها لقوله تعالى

ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ

الآية ٣٢ من سورة الحج

وعليه أن لا يكثر من الأحاديث الدنيوية في غير ضرورة بل يكثر من ذكر الله، ولا يلاحي(١) ولا يماري، ولا يغضب غضباً يخرجه إلى المعصية، وليصبر في كل حالة تستدعي الصبر، وإن الله مع الصابرين.

---

(١) لايظلم ولا يخاصم.

ملاحظـــات هــامة

١ ـ إنــي لأرحم المستأجرين عن الغير إذ غالبهم[1] لا يقومون بالواجب عليهم وهم يراد منهم أن يكونوا أمناء، والأمانـة بعيدة عنهم، يأكلون أموال الناس ولا يـؤدون ما وجـب عليهم، وإنـي أنصحهـم أن لا يتخذوا الحج عـن الغير حرفـة كسب، فأبواب الكسـب مفتوحة، فالحج أمـر لا يستهان به، فـلا ينبغي التعرض لتلويثـه، فهذا ينـافي التعظيم الـذي حث الله عليه، وإلا فإن كـان الحاج مستقيماً مؤدياً للواجبات محتسباً ذلك لله ولأداء الأمانة فقد وعد الرسول الكريم مثل هذا بالجنة، إذ يروى (أنـه يدخل الجنـة بالحجـة الواحـدة ثلاثـة: الموصي والوصي والمستأجر).

٢ ـــ من المؤسف حقـاً أن بعض الحجاج لم يـرض أن يقصر الصلاة في مكـة والمدينة زاعماً أن هـذه الأراضي هي أصل الدين ومنبع الشريعـة، فلا يصح قصر الصلاة فيها ، ومع تعمقهم في الجهل يفتون بعـدم جواز القصر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

نقول لهم ممن أخذ المسلمون دينهم، أليس من محمد ﷺ وهو الذي يشرع ولا يحق لأحد أن يشرع وإن علت منـزلته ولا أن يحاول فالنبي ﷺ لما جـاء إلى مكة وهي مسقط رأسـه ووطنه الأول ووطن آبائه، لما جاءهـا وقد استوطـن المدينة المنورة، صلى فيها قصراً وهو يقول لأهل مكة : (أتموا فإنا قوم سفر).

وهـذا بإجماع الأمـة، لا قـائل بخـلافـه، فمـن أين لمن يصلي التمام حجـة في صـلاته؟ فـرسول الله أحق أن يتم الصـلاة لو كـان اتمام الصلاة جـائزاً، لأنها مسقط رأسه، وأحب بلاد الله إليه، وهو الشـارع فتفكروا يا من تتمون الصلاة : إما أن تكونـوا مشرعين مثله فادعوا الـرسالة أيضاً وإنكم أنبيـاء، وإما أن يكون النبي كتم شيئاً من الـوحي، ومن جملة ماكتم هذه المسالـة، فاطلعتم أنتم عليها، فاتقوا الله، واربأوا بأنفسكم، ولا تحملوهـا خلاف الشرع وأنتم تدعون أنكم على حق، واسألوا أهل العلم ولا تبطلوا أعمالكم.

أيا طالب الله ائته من طريقه ‏ ‏ ‏ ‏ وإلا فبالحرمـان أنت جدير

---

(١) معظمهم.

مفـــارقات في الحـــج
ومقارنة بين المـاضي والحـــاضر

١ ـ كـان الحج في الزمان المـاضي أصعـب ما يكون من أعمال الطـاعات، فمن أراد السفر من عُمان مثـلاً إلى الحج يسافر منـذ شهر رجب ليصل بعـد خمسة أشـهر والمجد الحثيث لايكفيـه أقل من ثلاثة أشهر، ومن أراد الحج عـزى له أهله لأن البر مخوف من قطاعه، والبحر مخوف من أمواجه، ولا سبيل غيرهما، مع أن عُمان بالنسبة إلى غيرها أقرب الآفاق.

وجدت في الأثر : أن حاجاً من خرسان كـان يطوف بالبيت قال : فرأيت رجلاً نـاحل الجسم مصفـر الـوجه فسلمـت عليه، فقـال من أي مكـان أنت قلـت من خرسـان، قال كم بينكم وبين البيت، قلت : خمسة أشهـر، قال: أنتم والله جيران البيت، أتـدري منذ كم خـرجت أنا مـن بلدي، منـذ خمس سنوات وأنـا أؤم هذا البيت.

واليـوم أصبح كل أهل الدنـــيا جيران البيت، فأهـل اليابـان في المشرق، وأهل جنوب كندا في المغرب، وأهل جـزر سيبريا في الشمال الشرقي، وأهل جزر هاواي في الجنوب الغـربي يستطيعون أن يصلوا إلى مكة في نفس اليـوم وهؤلاء أقصى من عـرفنا، أمـا أهل عُمان فيمكن الحاج منها أن يصـلي الظهـر في عُمان، ويصلي العصر في مكة المكرمة عن طريق الجو.

أما عن طـريق البر فيستطيع أن يصل مكة في أربعين ساعـة من غير جهد ولا كلفة والطريق والحمد لله آمن، والأكل والشرب والمثلج مـوجود على طول الطريق يكاد لا يفقد حاجة يطلبها، وهذا الزمان هو الذي كان يتمناه الإمام «قيد الأرض» ـ رحمه الله ـ إذ كان في نـيته أن يجعل الحاج من عُمان لا يحمل زاداً.

٢ ـ كان الحـجاج يأخذون من ذي الحليفة إلى مكة ثمانـــية أيام لا واقي لهم عن الشمس والبرد والمطر، وهم محرمون، واليوم يركب الحاج السيارة المكيفة في أربع ساعات من المدينة إلى مكة، أو في الطائرة نصف ساعة إلى جدة.

٣ ـ كان المطـاف في الزمان المـاضي واد تحت الكعبة لا يقـدر الطائف أن يرفع بصره عن الأرض، وإلا تعثر بـالحجارة مـع أرواث الدواب الـتي يطاف عليهـا وأبوالها، واليوم كما رأيت أو سمعت إن الأرض التي يطاف عليها أصفى من عين الديك لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

٤ ـ كان المسعى بين الصفا والمروة بين دكاكين الباعة لا يتجاوز عرضه خمسة أمتار يتدافع الناس فيه، فبينما أنت تسعى إذ ترى نفسك مدفوعاً إلى الخلف عشرين متراً أوأكثر، واليوم جعل ممرين للذاهب والراجع، كل ممر عرضه خمسة أمتار، بينهما طريق لجرارات العجزة، والمسعى مكيف مضاء أحسن ما يكون وفوقه مسعى آخر مثله، إلا إني لا أحب أن أسعى فيه.

٥ ـ وكان الصاعد إلى عرفه يحمل ماءه وزاده على ظهره، فيحمل الواحد جرة الماء من مكة إلى منى، ومن منى إلى عرفه، وربما لايحصل الحاج على ماء سائر اليوم، والماء أصعب حاجة يحتاج إليها الحاج، واليوم أينما توجهت توجه الماء معك، بل والسوق أيضاً، فلا تفقد شيئاً تحتاج إليه.

٦ ـ وكان رمي الجمار من أصعب الصعوبات طرق ضيقة ومكان خشن يدفع الناس بعضهم بعضاً، ولا يصل الإنسان إلى الجمرة إلا بشق الأنفس واليوم مُهدت الطرق، وعُبدت، وسقفت، وسهل السبيل إلى الجمرات، وجعل عليها المراوح واتخذ في السقف مرامي أخرى للجمرات لكني لا أحب أن أرمي منها، فانظر إلى نعم الله العظيمة التي هيأت هذه الشعيرة، فصار الناس يندفعون إلى الحج سيلاً عارماً، وتبدلت تلك المشقات بمشقة الزحام في المشاعر، لكنك لا تجد خمسة في المائة من الحجاج على استقامة كما قيل (الركب كثير والحاج قليل).

ويؤثر أن السنة التي حج فيها النبي ﷺ حج معه مائة ألف، وهذه السنوات يحج مالا يقل عن ألفي ألف يخرج نصف العشر منهم على الأكثر حجاجاً حقيقيين حسب الظاهر، والعلم لله، فيوافق العدد من حج عند الرسول ويعضد ذلك ما يوجد في الأثر (أنه لم يصل عدد الحجاج مائة ألف يكمل الله العدد بالملائكة) فإن صح هذا صح ما توخيناه، والله ألطف بعباده، وهو الذي يقبل اليسير، ويعفو عن كثير، وهو أرحم الراحمين.

وترى المعاصي تحت الكعبة جهاراً لا يحترمونها على الأقل، إن لم يحترموا دينهم ويخشوا ربهم، وكان في الزمان الأول نظر رجل إلى امرأة في الطواف فسالت عينيه، فلا يغتر العاصون بعدم العقاب العاجل

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾

الآية ١٧٨ من سورة آل عمران

دعـــاء

ويحسن أن نختم هذا الفصل بهذا الدعاء المأثور عن الخضر عليه السلام :

حكي أن رجلاً من الصـالحين كان يطوف بالبيت فرأى رجـلاً متعلقاً بأستار الكعبة وهـو يدعـو بهـذا الدعاء : (اللهـم بعلمك بالغيب، وقـدرتك على الخلق، أحيني مـا علمت الحياة خيراً لي، وتوفني مـا كانت الوفـاة خيراً لي، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهـادة وأسـألك كلمـة الحق في الرضـا والغضب، وأسـألـك القصـد في الغنى والفقـر، وأسـألـك نعيماً لايبيـد وقـرة عين لا تنقطع، وأسألك الرضـا بعد القضـاء، وبرد العيش بعد الموت، وأسـألك الشوق الى لقائك من غير ضراء مضرة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين، اللهم صن وجهي بـاليسار، ولا تبدل جـاهي بالإقتار فاسترزق طـالبي رزقك، واستعطف شرار خلقك، وابتلي بحمد من أعطانـي، وأفتتن بذم من منعنـي.

وأنت من وراء ذلك كلـه ولي الإعطاء والمنع وأنت على كل شيء قـدير، اللهم إن فههت عن مسـألتي أو عمهت عن طلبتـي فدلنـي إلى مصـالحي وخـذ بقلبي إلى مراشدي، فليس ذلك بنكر من هداياتك ولا ببدع من كفاياتك، اللهم احملنـي على عفوك، ولا تحملنـي على عدلك).

قـال : فلما فرغ لم أره، فسـألت عنـه فقيل لي ذلك الخضر، وحفظت الـدعـاء، نسأل الله أن يختم لنا بخير، وأن يميتنا على الإستقامة.

تنبيــــه :

تحية المسجد الحرام الطواف بالبيت، فداخل المسجد أول ما يبدأ بالطواف وهو التحية بخلاف بـاقي المساجد فإن تحيتها الصـلاة، والطواف من أفضل الأعمال خصوصاً لأهـل الآفاق، ويروى أن النبي ﷺ قال (إن لله كل يـوم مائة وعشرين نظـرة ستون منهـا للطائفين، وأربعـون للمصلين، وعشرون للنـاظرين) يعنـي النـاظرين الى الكعبة، فينبغي انتهاز هذه الفرصـة، فانها فرصة لاتعوض.

الجـــزء التاسع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

الآية ٢١ من سورة الروم

الـزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

الزواج سنة شرعيـة، حث عليها القرآن الكريم والسنة النبويـة المطهرة، يقول الله تعالى :

فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

الآية ٣من سورة النساء

والسنة قولية وفعلية، فالفعليـة تزوجه ﷺ منذ كان ابن خمس وعشرين سنة إلى أن توفي، وقد جمع بين نساء كثيرة، إذ أحل الله لـه ما شـاء من الأزواج من دون تقيد بعـدد ومات عـن تسع نسوة ــ وحث أمته على الـزواج في قولـه (إذا خطب إليكم الكفء فلا تردوه فنعوذ بالله من بوار البنات).

ففي هذا الحديث حث لأولياء البنات على المسـارعة في تزويج بناتهم، والأكفاء هم من وصفهـم النبي ﷺ في قولـه (الأحـرار من أهل التـوحيد كلهم أكفـاء إلا أربعة: المولى والحجام والنساج والبقال).

وعن أنس بن مالك قال : (كان رسـول الله ﷺ يأمر بالباءة وينهى عن التبتل نهيـاً شديـداً، فيقول تـزوجوا الـودود الولـود فإنـي مكاثـر بكم الأنبياء يـوم القيامة).

روى أبو سعيد قال: قـال رسول الله ﷺ (تنكح المرأة لدينها ولمالها ولجمالها، خذ ذات الدين والخلق تربت يداك). وفي رواية: (فاظفر بذات الدين تربت يداك).

معناه أن من تزوج امـرأة لجمالها إذا طال استمتاعه بها ملهـا، وهكذا العادة كل مبذول مملول ولذلك ترى الفساق تكون عندهـم المرأة الحسناء الجميلة فيرى أجنبية في الطريق فيقول: رأيت امرأة اليوم هي من الجمال كأنها الغزال، أو مثل هذا الكلام، ولو كانت قبيحة إنما يزينها له الشيطان ولا يلتفت إلى زوجه الحلال لأنه ملها.

وكذلك مـن تزوجها لمالها فإنـه ربما افتقرت، أو صار على مـالها شيء يمنعه منه، أو ضنت هي بـه عليه، فتزول العلة التي تزوجهـا لأجلها فيبغضهـا، أو على

الأقل لا يحبها فكيف الألفة إذاً؟

وفي رواية مسند الإمام الربيع : (تنكح المرأة لأربع والرابعة الحسب والشرف، فمن نكح امرأة لحسبها ربما افتخرت عليه وتكبرت واحتقرته فلا تدوم الألفة بينهما إن كان الزوج ذا نفس شريفة، أما اذا تزوجها لدينها فإن الدين هو الباقي وببقائه تبقى الألفة، لأن النظر إلى الآخرة بينهما أكثر من النظر إلى الدنيا، ولاسيما إن كان الزوج مثلها في التمسك بالدين، لأنهما إن صار بينهما شيء سينظران إلى قوله تعالى

فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ
أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

الآية ١٩من سورة النساء

وقوله تعالى : وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ الآية ٦ من سورة الطلاق

وقوله : فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ الآية ٢٢٩ من سورة البقرة

إلى غير ذلك من الآيات المرشدة على الألفة. وقوله ﷺ (لايفرك مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقاً سره منها آخر).

ومعنى يفرك : يبغض، ومعنى تربت يداك: كلمة تستعملها العرب كغيرها من الكلمات المتداولة معهم في ظاهرها الدعاء على من قيلت له، ويراد بها الخير ومعناها الحقيقي - لا أصبت خيراً - إن لم تظفر بذات الدين.

وأحاديث الترغيب في النكاح كثيرة، وحسبك أن المسلم يصون بالزواج عرضه ودينه (ومن تزوج فقد أحرز نصف دينه فليتق الله في النصف الآخر).

ويقول النبي ﷺ (النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فقد رغب عني)ويقول : (النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي) رواه ابن عباس ويقول : (تناكحوا تكاثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط) رواه ابن عمر.

ويقول : (إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)، وهذا فيه أمر لأولياء البنات عن المغالاة في المهور.

وتعجبون إن أخبرتكم ان في هذا الزمان يوجد من يعمل بهذا الحديث الشريف، طلب مني شاب ان أخطب له امرأة من رجل صالح أعرفه من قبل، فلما جئته

وكلمته في الموضـوع أجابني على الفور: زوجه ومـا يريده لزوجتـه من الصداق فليعطها.

فهل يصدق أحد بذلك أنه يقع في زماننا هذا.

ومن تمام إيمانـه قال : أخبركم عن شيء خشيتـه أن لاأغشكم بعيب في البنت، هذه البنت أجريت لها عملية حصاة المثـانة، وربما أثرت علامة ..، ومع ذلك فهي الآن بخير، أنظر إلى هذه الأمانة. ثم خلوت به من بعد فقلت له: كيف هذه المبادرة الطيبة؟ قال أتجيئنـي أنت تخطب لرجل تعرفه وأردك؟ إذا أكون خالفت الحديث، وهنا سأل عن الولد ونسبه وسلوكه فأخبرته، جزاه الله خيراً.

وتشبه هـذه القصة قصـة تذكر عن سعيـد بن المسيب من كبـار التابعين: أن تلميذاً له ماتـت زوجته، فانقطع أياماً، ولما رجع سألـه الشيخ عن سبب انقطاعه فقال : إنها مـاتت زوجتي، قال لـه : وما تزوجت بعـدها؟ قال : لا ، قـال: تعال أعقـد عليك ابنتي، فعقـد عليه، ولما كـان الليل قـال لأمهــا : جهزيها فجهـزتها، وأمرها أن تمشي وراءه، فدق على تلميذه البـاب، ولم يكن له سابق علم ولم يكن متهيئاً لاستقبال عروس، فقال له : خذ زوجتك لا تبيت عزباً.

فيؤخذ من هاتين القصتين أسوة حسنة.

ويقول : (من نكـح لله وأنكح لله استحق ولاية الله) رواه معـاذ ويقول : (كل عمل ابن آدم ينقطع بعد موته إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له ..) ولا يوصل إلى هذا إلا بالنكاح.

ويقول ابن عبـاس (ولا يتم نسك الناسك حتى يتزوج) وكـان : يجمع غلمانه ويقول لهم : إن أردتم النكاح ـ أنكحتم فإن العبد إذا زنى نزع الإيمان من قلبه).

وروى الغزالي في احيائه : (أن بشر بن الحارث رؤي في المنام بعـد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال : رفعت منازلي في الجنة، ولم أبلغ منازل المتأهلين، فقلنا له: ما فعل أبو نصر التمار؟ فقال : رفـع فوقي بسبعين درجة، قلنا : بماذا ؟ فقد كنا نراك فوقه؟ قال : بصبره على بنـياته والعيال).

وذلك لأن بشراً لم يتـزوج في حياته، وقـد قيل : (فضـل المتأهل على العـزب كفضل المجاهد على القاعد وركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب).

ومع قـولنا هـذا وحضـنا للشباب على الـزواج نقدر ظـروفهم المـادية وغلاء

المهـور، ولكن المسلم إذا قصـد بعمل وجه الله يسره لـه وأعانـه، لان مـالك الملك يقول:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾

الآيتان ٢ - ٣ من سورة الطلاق

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ الآية ٤ من سورة الطلاق

فلـو اعتقد الشبـاب هـذا وآمنـوا بهذه الآيات لتيسرت أمـورهم، ولكنهـم مع الأسف يقولون : (نؤمن حياتنا ونكمل تعليمنـا ـ فما معنى نؤمن حياتنا إلا عدم ثقتهم بالله وانهم إذا نالـوا الوظيفة أمنوا حياتهم، فهل يستطيع مخلـوق أياً كان أن يضمن رزق أحد؟ وهو بنفسه مضمون رزقه من الله

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾

الآية ٥٨ من سورة الذريات

يحكى أن رجلاً صـالحاً[١] تفكر في الـرزق فانفلقت له حصاة صماء فـوجد داخلها دودة في فمها ورقة خضراء فسبحان من خلق وسبحان من رزق.

ويقول النبي ﷺ (من تـرك التزويج مخافة العيلة فليس منـا) رواه أبو سعيد أما أن يقول الشاب ذلك ثم يتصرف تصرفاً شيئاً غير محمود العاقبة، فهذا مسيء إلى نفسه وإلى مجتمعه.

وأمسك قلمي عن شباب هذا الزمان وأقول : لا حول ولا قوة إلا بالله، وأسأل الله الهداية لي ولهم.

ويقول النبي ﷺ (الدنـيا كلها متاع وخير متـاع المؤمن الزوجـة الصالحة) . واشتكى رجل إلى رسـول الله ﷺ الفقر فأمـره أن يتزوج، ففي نظـر الشارع إن الزوجة تكون عوناً للمرء على الفقر.

وفي نظر الشـاب اليوم، وبما أوحـاه إليهم شياطينهم أنها تعين الفقـر عليهم، فمن أحق بالإتباع؟ ويقول صلوات الله وسلامه عليه (شرار أمتي عزابها).

وتمنى إمامنا جابر بن زيد «رضي الله عنه» ان تموت ابنته قبله وأن يموت هو قبل زوجتـه فسئل عن سبب هذه الأمنـية فقال : تمنـيت أن تموت ابنتي قبلي لتكون في ميزانـي، وأموت أنـا قبل زوجتي لئلا أعيش فواقاً ـ عـزباً ـ والفواق :

---

(١) ذي النون المصري.

ما بين الحلبتين «حلب الناقة»، ولما في فضل الولد إذا مات وهو طفل.

ويروى : أن أحد الصالحين كان يعرض عليه أن يتزوج فيأبى، فانتبه ذات ليلة من نومه يقول زوجوني زوجوني، فسئل عن ذلك فقال : رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت، وكأني في جملة الخلائق، وبي من العطش ما كاد أن يقطع عنقي، فنحن كذلك إذا ولدان يتخللون الجمع بأيديهم أبارق من فضة، وهم يسقون بعض الناس ويتجاوزون الأكثر فمددت يدي إلى أحدهم وقلت : اسقني فقد أجهدني العطش، فقال : ليس لك فينا ولد، انما نسقي آباءنا فقلت : من أنتم؟ فقالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين.

فإذا رزق المسلم زوجة فليشكر الله على فضله، وليعرف أن الله مولاه صانه وحماه عن العبث والسقطات فيجب عليه أن يقدر حق هذه النعمة ولا يستصغرها فإنها كبيرة، وكل نعم الله كبيرة.

وينوي بهذا الزواج اتباع السنة وصيانة العرض وغض النظر، فإذا دخل على المرأة وخلي بينه وبينها فليتأدب بالآداب الشرعية.

واذا خلوت بزوجتك واطمأننت بأنه لا يوجد أحد في المكان، وأغلقت عليكما الباب، فقرب منها، وأقبضها من يدها، وأسألها عن حالها وحال أبيها وأمها وما يحضرك من تلطف السؤال ولين الخطاب.

والبكر أفضل لمن قدر عليها لحث النبي ﷺ عليها في حديث عبدالرحمن بن عوف لما جاء وعليه أثر عرس فسأله النبي ﷺ، قال تزوجت، قال له : أبكراً أم ثيباً، قال بل ثيب، قال له : هلا بكراً تعضها وتعضك، وقال عليه الصلاة والسلام ؟عليكم بالأبكار فإنهن أطيب أفواهاً وأنتق أرحاماً.

وكلما أكثرت من المقدمات كان أفضل ولو مضى عليك وقت طويل فلا تعجل، فإن خانك الإنزال وأنزلت في هذه الأثناء فقم واغسل النجاسة وتمضمض واستنشق وارجع اليها مستأنفاً العمل حتى ترى أنك استمتعت وأن زوجتك اشتدت رغبتها فيك، فهاهنا حسن قضاء الحاجة المطلوبة.

ثم قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، فالشيطان في هذا الحال إذا سمع ذكر الله هرب، وإلا قعد معكما وتدخل في أموركما كما أمكنه من التدخل والتسلط، وفي ذكر الله اتباع للسنة وقهر للشيطان فإن نسيت في أول الأمر فقل متى ذكرت : «بسم الله على أوله وآخره» حسبما ورد في السنة.

وبعض العلماء يقول : إذا خلوت بعروسك أن تصلي ركعتين قبل أن تصل اليها كشكر لله تعالى، وهذه خصلة لم يستطع كل أحد أن يفعلها، وإن تكلفها أحد لا يعرف كيف يقول في صلاته، لأن قلبه متعلق بغير الصلاة فلا عليه أن يفعل ذلك ولكن لابد من ذكر الله على كل حال.

ومن النوادر النادرة ما حكاه الغزالي في إحيائه يقول : (دخل رجل من الصالحين على عروس فقال لها أصلي ركعتين شكراً لله، فلما دخل في الصلاة نسي العروس فانتظرت الزوجة حتى أصبحا، وفي الليلة الثانية كذلك والثالثة والعاشرة حتى مضى عليها أربعون سنة، ولم يضاجعها).

فهب أن الرجل على حقيقته، فما صبر المرأة ليس بغريب، فقد عرفنا رجلاً تزوج امرأة وهما صغيران وماتا وقد تجاوزا السبعين ولم يكشف لها ثوباً ولم يعرف ذلك أحد حتى قرب موتهما، وقد سقط خمارها يوماً أمامه فقالت: اللهم سترك، سقط لحافي أمام محمد تعني زوجها، فسئلت كيف تقولين ذلك وهو زوجك؟ قالت استحييت لأنه أول مرة يرى رأسي وعنقي، وكانت امرأة صالحة سلم الناس من لسانها، قوامة الليل، فلا غرو إن صبرت وسترت.

فإذا فرغت من حاجتك ولم تكتف عروسك فلا تعجل بالقيام عنها، لأنه من الإنصاف، فانظر لو اكتفت هي ولم تكتف أنت وقامت عنك، أكنت ترضى؟ واقبض بيدك اليسرى خرقة أو كلنكساً «منديل ورقي» وتقبض هي الأخرى، فاذا نزعت عنها فاتق النجس بتلك الخرقة ولتتق أيضا هي، وإلا أصابكما في ثيابكما أو فراشكما فيحتاج إلى غسل لأنه نجس، ولا تمسحان بخرقة واحدة فإنه يورث التباغض بينكما، ويندب أن لا تفوت الجمعة نهارها أو ليلها لفضل (من غسل واغتسل ليلة الجمعة أو يومها غفر له).

والجماع على أي هيئة ممكن وجائز

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾

الآية ٢٢٣ من سورة البقرة

وإذا أردت المعاودة مرة أخرى فاذهب واغسل النجاسة وتمضمض واستنشق، واشرب ثلاث جرعات من الماء، وعاود ثانية، وهكذا إن أردت ثالثة ورابعة، ولا يلزمك الغسل من الجنابة عن كل واحدة بل اغتسل عن الجميع متى

أردت أول الليل أو آخره، ولكن لا تبت وفيك نجاسة. ويروى أن النبي ﷺ طاف على نسائه ليلة ولم يغتسل إلا بعد الفراغ منهن كلهن. وقد بينا صفة الغسل من الجنابة في الرقم الأول من الكتاب، وإن كنت تعرف الغسل وزوجتك لا تعرفه، فعلمها كيف تغتسل لأنه من واجبك ذلك

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾

الآية ٦ من سورة التحريم

وكلما ذكرنا هناك أنه يلزم للرجل إذا أراد الغسل من الجنابة أن يبول أولاً، لتخرج الفضلات المترسبة في الذكر من المني، كذلك يلزم المرأة أن تدخل أصبعها في فرجها لتخرج ما ترسب من مني الرجل خارج الرحم، لأن المرأة لا يخرج ما في فرجها البول. وموضع البول غير موضع الجماع والحيض، فلينتبه له فان لم تخرج بأصبعها تسلل بعد ذلك إلى ثيابها فينجسها، وهنالك من لايريد ولداً فيعزل عن زوجته، فيقول العلماء :

إن الحرة لايعزل عنها إلا بإذنها .

والعزل هو إذا قارب الرجل الإنزال أخرج ذكره فصب المني خارج فرج المرأة.

وحكمه جائز إذا اتفق الرجل والمرأة عليه، ولا ينبغي إلا من ضرورة تلحق المرأة.

أما الإماء وهن السراري فجائز العزل عنهن بلا إذنهن، وقد استشار الصحابة رضي الله عنهم الرسول ﷺ في العزل لما اشتدت عليهم العزبة.

روى الربيع ـ رحمه الله ـ في مسنده الرفيع عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق فأصبنا سبايا فاشتهينا النساء واشتدت علينا العزبة فأردنا أن نعزل فقلنا نعزل وفينا رسول الله قبل أن نسأله عن ذلك، قال فسألناه فقال: ما عليكم أن لا تفعلوا، فما من نسمة كائنة إلا وهي كائنة إلى يوم القيامة).

وروى أنس أن رجلاً سأل عن العزل فقال ﷺ (لو أن الماء الذي يكون منه الولد أفرغته على صخرة لأخرج الله منها ولداً أو يخرج الله منها ولداً، وليخلقن

الله نفساً وهو خالقها).

وفي مسلم عن جابر أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمنا وسانيتنا، وأنا أطوف عليها، وأنا أكره أن تحمل، فقال: اعزل عنها ان شئت فإنه سيأتيها ما قدر لها فلبث الرجل ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حملت، فقال: «قد أخبرتك أنه سيأتيها ما قدر لها».

وإن لم تستطع أن تتزوج ولم تستطع الصبر عن الجماع. فاستعن على ذلك بالصوم كما أرشد النبي ﷺ على ذلك بقوله: (من خاف من شدة الميعة فليصم فإن الصوم له وجاء).

الوجاء: الخصاء، يعني أنها تنكسر شهوته حين يتعبه الصوم.

والميعة: بكسر الميم، شدة الرغبة في الجماع، لأنها من لوازم أول الشباب، ولابد للشاب الحي من شدة في مواجهة الشباب إن لم يحصن نفسه بزوجة فليتق الله وليجتهد في المجاهدة

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

الآية ٦٩ من سورة العنكبوت

وقد ابتلى الله النساء بالحيض والنفاس ففي هذين الحالين يحرم وطء المرأة الحايض والنفساء، أما أن يتمتع بسائر جسدها فلا مانع من ذلك، إلا أنه يجتنب الفرج بأن تترك عليه خرقة، وتبيح لزوجها ما سواه إلا الدبر فإنه حرام كل وقت، وهو موضع الخبث لا موضع الحرث، فاهرب منه هروب الخروف من الليث، ولتتعلم المرأة كيف تغتسل من الحيض والنفاس وهو كالغسل من الجنابة حذو النعل بالنعل، إلا أنه يلزمها أن - تنقض شعرها في الحيض والنفاس ولا يلزمها نقضه في الجنابة، إلا أنها تغمزه حتى يدخل الماء، ويلزمها أن تدخل أصبعها في فرجها لتنظفه من الدم كما تنظفه من الجنابة، لأن مجراهما واحد.

والنساء على قسمين في الطهر من الحيض والنفاس، فبعضهن يطهرن بالقصة البيضاء، ويسمى ماء الطهر وهو ماء أبيض رقيق يشبه الجص يخرج عقب انقطاع الدم، وبعضهن يطهرن بالجفاف، وهو انقطاع الدم، ولم تعتد القصة البيضاء، فمن اعتادت القصة البيضاء ليس لها أن تطهر بالجفاف، ولابد أن

تراها، فإن لم ترها وقد انقطع الدم مع عادتها، فلتنتظر يومين، ثم تغتسل فإن لم تره ثلاث مرات، فلتنتقل من الطهر بالقصة الى الطهر بالجفاف، ولا يكون الطهر أقل من عشرة أيام فإذا رأت الدم قبل العشرة منذ طهرت فلا يعتبر حيضاً، إنما ذلك استحاضة لا تترك لها الصلاة ولا الصوم حتى تصل الوقت المعتاد، وتنتقل من الإستحاضة إلى حكم الحيض، فتترك الصلاة والصوم، ومسائل الحيض والطهر منه كثيرة لايسعها هذا المختصر وعلى المرأة أن تسأل عن دينها ولا تهمل ذلك أو تستحي فإن النبي ﷺ أثنى على الأنصاريات حيث سألت إحداهن فقال : (رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين).

وسبب الحديث : أن امرأة سألت النبي ﷺ فقالت : (برح الخفاء يا رسول الله، ترى المرأة في النوم ما يرى الرجل ، أعليها غسل؟ فقال رسول الله : عليها الغسل إذا أنزلت) وفي رواية (إن أم سليم امرأة أبي طلحة الأنصاري جاءت الى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله: إن الله لايستحي من الحق، هل على المرأة غسل إذا هي احتلمت؟ قال نعم : إذا رأت الماء) قال جابر : وقد جاء في ذلك عن كثير من الصحابة إزالة الغسل عنها إلا الوضوء.

وهنا مسألة ينبغي أن ينتبه لها وهي: إذا أراد الرجل جماع زوجته فمس ذكره فرجها مع ولوج الحشفة ثم تأخر عن الجماع ولو لم ينزل عليهما أن يغتسلا من الجنابة، ولعل بعضاً يقول إنه لا يجب الغسل إلا بعد خروج المني وهو خطأ إذ ورد في السنة غير ذلك.

روى الربيع - رحمه الله - عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد قال : (سألت عائشة هل كان يغتسل رسول الله من جماع ولم ينزل، قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يصنع بنا ذلك ويغتسل ويأمرنا بالغسل ويقول الغسل واجب إذا التقى الختانان) وقال جابر قالت عائشة رضي الله عنها «يقول النبي ﷺ اذا قعد الرجل من المرأة بين شعبها وجب الغسل».

ويحرم على الزوجين أن يخبرا بما يدور بينهما حال خلوتهما، فإنه من فعل فمثلهما كمن جامع امرأته في السوق أو الطريق، ولا فرق في ذلك.

لا يطؤها وهي نائمة فبذلك تترتب أمور :

تفوتها اللذة، وربما تكون حائضاً، وربما لا تدري أنها جنب فتصلي بجنابتها.

ويلزم الزوج أن يعلم زوجته أمر دينها أو تعلمه هي إن كانت أعلم منه :

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ الآية ٢ من سورة المائدة

وقد أثنى الله على نبيه اسماعيل بقوله :

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾

الآية ٥٥ من سورة مريم

وأمره تعالى لنبيه

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

الآية ١٣٢ من سورة طه

ويلتحق بالصلاة والزكاة كل الأمور الدينية، وإنما خصا لكونهما الركنين الأساسين من أركان الإسلام، عليه أن يحافظ عليهما عن الأمور التي لا تجوز بل وحتى عن الأمور التي لا تليق

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ الآية ٣٤ من سورة النساء

وفي هذا الزمان انفتحت للنساء أبواب شر، ولج فيها كثير منهن، لم يصن أعراضهن، ولم يحفظن دينهن، ولقد سبق أن قلت (إنه ما خرب النساء إلا الرجال : إنه لما بسقطت همم الرجال، وذهبت غيرتهم، صاروا كالبهائم بل بعض البهائم خير منهم، لأن فيهن من يغار على أنثاه، لما صاروا بهذه المنزلة، خرجت النساء عن طبائعهن المفطورات عليها، فساء اتجاههن، وتشعب، فالتحق بعضهن بالمكاتب عند الرجال الأجانب، وخرج البعض في الطرقات سافرات، والبعض يحضر المؤتمرات، وتقف الواحدة فمها أمام الجمهور تنشد الشعر، أو تخطب، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

اختلف العلماء في المرأة تنهى عن المنكر، فقال بعضهم، ليس لها ذلك لما يترتب على ذلك من رفع صوتها، وإن الملائكة لتلعن المرأة التي يخرج صوتها من جدار بيتها، فكيف بهؤلاء اللواتي أتعبن ملائكتهن بلعنهن في كل لحظة ؟! وإن منهن من انسلخ من الحرية فتذهب إلى الكوافير، وما أدراك ما الكوافير؟ اشتق اسمه من الكفر.

وقلما شاهدت عيناك من رجل ... إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

فالمرأة مجرد ما تدخل هذا المكان تكفر، فإن مس صاحب المكان شعرها كفرت ثانية، فإذا قص شيئاً من شعرها كفرت ثالثة، فتخرج من هناك وما بقي لها دين، وحرمة شعر المرأة كحرمة لحية الرجل حذو النعل بالنعل، ومن شدة حرمتها أن من ضرب امرأة على رأسها فسقط شعرها ولم ينبت فلها الدية، وكذلك لحية الرجل، فحسبك أن الشرع فرض لهما دية مسلم وأعزهما وهما يسلمان اللحية والرأس يأخذهما الحلاق (أياً كان) بلا ثمن بل هما يدفعان الأجرة (فحسبك من شر سماعه) ولا يبالي بذم من قد تعود كسبه، ويقول :

ومن دعى الناس إلى ذمه ذموه بالحق والباطل

ويقول:

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

وقد تتبعت ما يأتيه الناس اليوم، فوجدتهم يتتبعون السنة المطهرة فيفعلون كل ما يخالفها (تخطيط عجيب) : أمر الشارع بقص الأظافر فأبقوها، وإن لم تبق طبيعية اشتروها من السوق وألصقوها كأنها أظافر النسور، أمر الشارع بإعفاء اللحية فحلقوها، وأمر بقص الشوارب فوفروها. وأمر المرأة أن تقر في بيتها فخرجت.

ويحكي بعض علماء المسلمين يقول : (إنه ركب ذات يوم القطار وعنده ابنته فقعدت بجنبها امرأة انجليزية، وتحدثت هذه الإنجليزية عند المصرية عن عمر بن الخطاب وسيرته العطرة، ولما نزلت عنها قالت لأبيها : أريد كتاباً في تاريخ عمر بن الخطاب فقال لها أبوها : ولم؟ قالت : لأن هذه الإنجليزية حدثتني عن عمر، وشوقتني إلى معرفة تاريخه، قلت : يا بنيتي حدثتك عشرات المرات عن عمر وما انتبهت له، فحين حدثتك هذه الأجنبية أصغيت إليها. يحتاج ألا ندعو إلى خير إلا بعد أن يفعله الأجانب أ.هـ.

وهكذا يدعي المسلمون أنهم تحرروا من الإستعمار، تحررت البلدان ولكن لم تتحرر القلوب، بل بقيت مستعمرة لهم، خاضعة لأوامرهم محبة لأفعالهم.

وقد طفنا أوروبا وأمريكا وشرق آسيا واليابان والصين والهند، فما رأينا خطاً عربياً، كل يكتب بلغته فقط، وانظر البلاد العربية كيف تقدس اللغة الإنجليزية والفرنسية، حتى الذي يبيع البارد، كتب على محله بالإنجليزية تشرفا بها،

فالعرب لايزالون متعلقين بأعدائهم، وهم علقوا غيرهم، كما قيل :

علقتها عرضا وعلقت رجـــلا غيري وعلق أخرى ذلك الرجل

فإلى متى سنظل هكذا؟

ولا تسل عـن قص حواجب النسـاء وغيره مـن الأمـور التي صرح الشـارع بالنهي عنها في قوله فيما رواه الربيع بمسنده قال أبو عبيدة : عن جابر بن زيد عن ابن عبـاس رضي الله عنـه عن النبي عليـه الصلاة والسـلام قـال : (لعن الله النامصة والمتنمصة، والواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة، والمتفلجات للحسن). قال الربيع:

النامصة : التي تأخذ من شعر حاجبيها ليكون رقيقاً معتدلاً.

والمتنمصة : التي يفعل بها ذلك.

والواصلة : التي تصل شعر رأسها ليقال أنه طويل.

والمستوصلة : التي يفعل بها ذلك.

والواشمة : التي تجعل الوشم في وجهها أو في ذراعها.

والمستوشمة : التي يفعل بها ذلك.

والمتفلجات : اللاتـي يفلجن ما بين أسنانهن للجمال.

وروى الـربيع عن أبي عبيـدة عن جابـر قـال : بلغنـي عـن معاويـة بن أبي سفيان قال وهـو على المنبر عام حج : فتناول قصة من يد حـرسي فقال : يا أهل المدينـة: أين علماؤكم : سمعت رسـول الله ﷺ يقول : «إنما هلكت بنـو اسرائيل حين اتخذت مثل هذه نساؤهم».

والقصة : ـ بضم القاف وبشد الصاد المهملة ـ خصلة من شعر تزيدها المرأة في شعرها، لتـوهم كثرته، قلت : وهي التي تسمى في هذا العصر (بـالباروكة) لا بارك الله في فاعلها.

والحرسي : الشرطي.

وقرأت في مجلـة أن عروسـاً ألبست البـاروكة، وزفت الى زوجهـا، فلما دخل عليها وجدها ميته، فلما نزعت عنها الباروكة، وجدوا داخلها أفعى هي التي كانت

سبب موتها، فليت كل من لبست الباروكة كمنت لها تلك الأفعى فيها، ولكن الله يمهل ولا يهمل، فإن لم تلسعها في الدنيا لسعتها في النار، إن لم تتب، ولا أعتقد أن من تعمد أن يعصي الله واستمر على ذلك يوفق للتوبة، وسمعت الإمام الخليلي - رحمه الله - يقول : (يدخل النار من تعمدها ولم يبال بما يأتي).

وقد عرفنا ما تعامل به المرأة قبل الإسلام من المعاملة السيئة والإهانات التي تلحق بها، وكل قارئ يعرفها لاسيما هؤلاء اللواتي يدعين الثقافة وأنهن متحضرات، يعرفن أن الإسلام أعزهن وأكرمهن، فكان من الواجب عليهن أن يشكرن الإسلام على ذلك، ويتبعن أوامره — وإن المعاصي تزيل النعم - وليس في غير طاعة الله تقدم للمسلم دنيا وأخرى.

ولعمري ما هي الحياة التي تستوجب أن يغتر الإنسان بها فيركن إلى معصية الله غير مبال بما يقدم عليه، وكلنا نعرف أن هذه الحياة لا تدوم، فما بين ساعة وأخرى يفارقها العبد، فيقدم إلى ماقدم فانظر ما تقدمه أمامك وتحب أن ترجع إليه.

وأقرب مثل أنك تبني بيتاً جديداً تريد أن تسكنه، أتسكنه وهو خراب؟ أتسكنه وهو غير متأهل للسكون؟ أتسكنه وهو غير مفروش، فهكذا مثل القدوم على الآخرة وهي الحياة الحقيقية

وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ

الآية ٦٤ من سورة العنكبوت

أي الحياة المستقرة، فاتقوا الله يا عباد الله، والله لايرضى لعباده الكفر، وإن يكفروا فهو غني عنهم وهم الفقراء إليه، قال رسول الله ﷺ في حديث قدسي (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد في ملكي شيئاً، ولو أن أولكم وآخركم وجنكم وإنسكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئا).

وأقول للنساء المسلمات : اتقين الله ولا تغترن بأقوال المهرجين وأفعال الدجالين، فانه متاع قليل زائل عما قريب

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً

الآية ٨٩ من سورة النساء

ونبيكم ﷺ يقول : (أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها إذا كانت في قعر بيتها، وإن صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد، وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها، وصلاتها في مخدعها «أي داخل الحجرة» أفضل من صلاتها في بيتها) .. «روته عائشة» رضي الله عنها

ويقول ﷺ : (المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان) «رواه ابن مسعود».رضي الله عنه

فهذا في الصلاة، وهي لاشك طاعة، فكيف تخالط الرجال في مجالسهم، ومؤتمراتهم ورقصهم إلى غير ذلك؟ وكانت نساء السلف إذا خرج زوج إحداهن من منزله تقول له (إياك وكسب الحرام، فإنا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار).

والقول الجامع لآداب المرأة :

- أن تكون قاعدة في بيتها، لايكثر صعودها وخروجها
- قليلة الكلام لجيرانها.
- تحفظ بعلها في غيبته.
- تطلب مسرته في حضوره.
- محترزة من أن يسمع صوتها غريب.
- همها صلاح شأنها وتدبير بيتها.
- مقبلة على عبادة ربها.
- قانعة من زوجها بما رزقه الله.
- تقدم حقه على حقها.
- لا تبادر إلى الباب لمن يدقه مستأذناً.
- مستعدة في أحوالها كلها لاستمتاع زوجها.
- نظيفة متطيبة تحذر أن يشم منها زوجها رائحة تؤذيه، أو أن يرى منها منظراً يكرهه.
- مشفقة على أولادها وأولاده من غيرها.
- حافظة للستر عليهم.

- قصيرة اللسان عن الأذى.

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : (حرم الله على كل آدمي الجنة يدخلها قبلي، غير أني أنظر إلى يميني فإذا امرأة تبادرني إلى باب الجنة فأقول: ما لهذه تبادرني؟ فيقال لي يا محمد : هذه امرأة كانت حسناء جميلة، وكان عندها يتامى لها فصبرت عليهن حتى بلغ أمرهن الذي بلغ، فشكر الله لها ذلك).

وروي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه وناضحه (ناقته) فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته، وأسوسه وأدق النوى لناضحة، وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن، وكنت أنقل النوى على رأسي من ثلثي فرسخ حتى أرسل إلي أبو بكر بجارية فكفتني سياسة الفرس، فكأنما أعتقتني.

فهذه من صفات النساء الصالحات اللواتي ينبغي أن يجعلن قدوة، ودعاة الباطل في هذا الزمان يضربون الأمثال بمثل هذه النسوة، ليغروا البسطاء على الإختلاط، وعلى التبذل، وقد جعل الإسلام وأهله الصالحون هدفاً للأغراض الباطلة، وينسبون كل شيء إلى الإسلام، والإسلام بريء منهم ومما ينسبون، وقصدهم بذلك التضليل، لأن الإسلام عزيز، وكل أحد يطلب العزة، فإذا أضلوهم تخلوا عنهم كما حكى الله في كتابه عن الشيطان إذ قال:

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ

الآيات ١٦ – ١٧ من سورة الحشر

وكما قال سبحانه :

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

الآية ٢٢ من سورة ابراهيم

والظالمون هم العصاه لاوامر الله ورسوله

وهنا مسألة ينبغي التنبه لها ـ الناس متهاونون بها وهي عظيمة: إذا كان أخوة في بيت واحد، وعندهم زوجات أو عند أحدهم زوجة، وليس عند الآخر، فترى النساء لا يتحرزن من إخوة أزواجهن بل ينكشفن امامهم ويأكلن معهم، ولم يفرقن بين الزوج وأخيه إلا عند المبيت، وهذا خطر عظيم، إذ لا فرق بين أخ الزوج وبين الرجل الاجنبي في الحرمة، كل امرأة تصح لرجل أن يتزوجها، فرؤيةشيء من جسدها أو شعرة حرام على ذلك الرجل، وعليها، ولاشك أن زوجة الأخ اذا طلقها، لأخيه أن يتزوجها، والنبي ﷺ حذر من ذلك، فقال لرجل سأله عن الدخول على النساء، فنهاه عن ذلك، فقال ما تقول في الحمو؟ قال النبي ﷺ: (الحمو الموت) والحمو أخو زوج المرأة، وسماه الموت، فهل من شيء بعد الموت؟.

نسأل الله العافية والتوفيق لاتباع أوامره واجتناب نواهيه، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه.

(الحمو الموت) والحمو أخو زوج المرأة، وسماه الموت، فهل من شيء بعد الموت؟.

نسأل الله العافية والتوفيق لاتباع أوامره واجتناب نواهيه، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

حكم الإسلام

في تختم الرجل بالذهب ولباس الدبلة

سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي

المفتي العام للسلطنة

الإسلام دين الفطرة أنزله الله ليوجهها في طريقها الصحيح ولذلك جاءت أحكامه متفقة مع مقتضياتها ملبية لحاجاتها، ومن الأمور الواضحة بديهياً أن لكل من الرجل والمرأة خصائص فطرية تستلزم اختلاف أحوالهما نفسياً وجسمياً واجتماعياً ولذلك حرم الإسلام على كل منهما أن يتلبس بخصائص الجنس الآخر كما نجده في قوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم (لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال) لأن في ذلك خروجاً على الفطرة واصطداماً بنواميس الحياة واعتداء على خصائص الغير ولا ريب أن الرجل الباقي على سلامة الفطرة تأبى عليه شهامة الرجولة أن يتحلى بالذهب لمخالفة ذلك سمات الرجولة وخشونة الذكور وملاءمته لليونة الأنوثة وغنجها ومن ثم نجد من صحائف السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام من قوارع الإنكار وروادع الوعيد على لباس الذهب للرجال ما لا يدع لأحد مجالاً للتردد في قبول هذا الحكم وكثيراً منها جاء نصاً في الخاتم ... وإليك نماذج من ذلك تستبصر بنورها في سبيل المعرفة.

١ — روى الإمام الربيع رحمه الله عن الإمام علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ قال : نهاني الرسول ﷺ عن لبس القسي وعن لبس المعصفر وعن خاتم الذهب وعن قراءة القرآن في الركوع والسجود .. أخرجه النسائي وكذلك الترمذي ما عدا ذكر القراءة في الركوع والسجود وقال حديث حسن وصحيح.

٢ ـ أخرج البخاري ومسلم والنسائي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ نهى عن خاتم الذهب وفي رواية للنسائي أن النبي ﷺ نهاني عن تختم الذهب.

٣ ـ روى الترمذي عن عمران بن حصين — رضي الله عنه ـ قال (نهى رسول

الله ﷺ عن التختم بالذهب).

٤ ـ روى مسلم عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال (يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيطرحها في يده) فقيل للرجل بعدما ذهب رسول الله ﷺ خذ خاتمك انتفع به فقال لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ.

٥ ـ روى النسائي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً قدم من نجران إلى رسول الله ﷺ وفي يده خاتم من ذهب فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال (إنك جئتني وفي يدك جمرة من نار).

٦ ـ روى النسائي عن البراء بن عازب ـ رضي الله عنه ـ أن رجلاً كان جالساً عند النبي ﷺ وعليه خاتم من ذهب وفي يد النبي ﷺ مخصرة فضرب بها أصبع الرجل فقال: مالي يا رسول الله

قال (ألا تطرح هذا الذي في اصبعك) فأخذه الرجل فرمى به فرآه النبي ﷺ بعد ذلك فقال (ما فعلت بالخاتم) قال رميت به قال (ما بهذا أمرتك إنما أمرتك أن تبيعه فتستعين بثمنه) ... ومهما قيل في الحديث فإنه يعتضد بغيره من الصحاح.

٧ ـ روى الثعلبي عن أبي ثعلبة الخشني ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ أبصر في يده خاتماً من ذهب فجعل يقرعه بقضيب معه فلما غفل النبي ﷺ ألقاه قال (ما أرانا إلا قد أوجعناك أو أغرمنا).

إن هذه الروايات كافية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد في ردعه عن التختم بالذهب واستعماله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً، وإذا ثبت أن خاتم الذهب حرام على الرجل بهذه النصوص القاطعة فإن الدبلة تتضاعف حرمتها لما فيها من تقليد المشركين والتأسي بهم وذلك ما لايصدر إلا من مرضى القلوب الذين تزلزلت نفوسهم وتقلص إيمانهم فإن التشبه بهم ترجمة عملية عما وقر في قلوب هؤلاء المتشبهين من إكبارهم والإعجاب بعاداتهم وحب الإنخراط في سلكهم وذلك عين موالاة الكفار التي حذر الله منها عباده المؤمنين.

ـ وهل أدلكم على أصل الدبلة ؟

أن أصلها خرافة رومانية سانجة، فقد كان الرومان يعتقدون أن إلباس الرجل المرأة والعكس إبان الخطبة خاتم حديد في البنصر اليسرى له أثر في حفظ المودة بينهما لما يعتقدون من الصلة بين البنصر اليسرى والقلب فكأنهما بذلك يأسر كل منهما قلب صاحبه، ثم تطورت هذه العادة في أوروبا فأصبح الذهب بدلاً من الحديد وقد فتن بها كثير من مرضى القلوب في بلاد الإسلام (وتعظم في عين الصغير صغارها) .. وأصبحت من عناوين التقدم وشارات الرقي، وما هي لعمري إلا من دلائل التأخر وشواهد الإنحطاط.

وما بال المسلمين والأوهام التي أفرزتها !! جاهلية الرومانية القديمة وورثتها الجاهلية الأوروبية؟ وقد أثبت الواقع بطلانها، فكم من زواج كان معه تبادل الدبلة بين الزوجين حال الخطبة وانقلب إلى مصدر شقاء لهما وظلا يصطليان حر مشاكل لا تنتهي وشقاق لايطاق، وما أكثر السعادة التي صاحبت حياة كثير من الأزواج مع عدم اتباع هذه العادة الجاهلية.

ليت شعري إلى متى يظل المحسوبون على الإسلام أذناباً للآخرين يقلدونهم في جميع توافه العادات وسفاسف الأمور؟

هذا وطريقة أكثر الناس اليوم في التختم مخالفة لهدي رسول الله ﷺ، فهم يتختمون في البنصر اتباعاً لعادات الآخرين وهدي رسول الله ﷺ بخلاف ذلك، فالروايات تدل على أنه كان يتختم في الخنصر.

وروى مسلم عن علي ــ كرم الله وجهه ــ قال : نهاني رسول الله ﷺ أن اجعل خاتمي في هذه أو التي تليها، وأشار الى الوسطى والتي تليها ونحوه عند أبي داود والنسائي والترمذي .. فليتنبه المسلم لهذه الدقائق، وليحذر مزالق الأقدام ومزالق الافهام .. والله ولي التوفيق .. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الجــزء العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ

الآية ٤١ من سورة الحج

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله أشرف الخلق والمرسلين وبعد ، فهذا الجزء العاشر من سلسلة غرس الصواب في قلوب الأحباب اخترناه ليتناول موضوعاً تاريخياً هاماً يسرد نبذة مختصرة عن أئمة المسلمين في عُمان وسائر البلاد التي انتشر فيها المذهب قال تعالى ﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب﴾ وهي لعمري عبرة بالغة لمن يطيل التأمل والتفكر حيث جاء نظام الإمامة في عُمان ليكون دعامة أساسية لارساء الدين الحنيف ونشره وترسيخ جذوره.

ومع اختلاف التسمية بين الإمامة والخلافة إلا أن المدلول واحد فنظام الإمامة قائم على مبدأ الشورى الإسلامية المتمثلة في شرعية حاكمية الإمام واستخلافه على شؤون العباد من خلال عقد البيعة.

قال الشيخ/ نور الدين السالمي ـ رحمه الله تعالى ـ في مدارج الكمال :

وواجب أن ينصبوا إماما	إن وجدوا استطاعة تماماً
وهي إذا وجدوا رجالاً فرغوا	من شاغل والأربعين بلغوا
وذلك الشاغل نحو رق	وعدم ومرض وفتق
وفيهم ستة أهل علم	وورع وثقة وعزم
وقد رجوا نصرا فثم عمدوا	لأفضل القوم تقى وعقدوا

وفي كتاب مقدمة التوحيد وشروحها للعلامة أبي حفص عمرو بن جميع جاء عن الإمامة وأسماها مسالك الدين(مسالك الدين أربعة) الظهور، والدفاع، والشراء، والكتمان، فالظهور كأبي بكر وعمر، والدفاع كعبدالله بن وهب الراسبي، والشراء كأبي بلال مرداس بن جدير والكتمان كأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وأبي الشعثاء جابر بن زيد رضي الله عنهم.

ومن ذلك يتضح أن الإمامة كمنهاج حكم يتشكل وفقا للظروف المحيطة بالأمة والتي تستدعي اختيار أساس العمل المقبلة عليه.

ولعل الخوض في موضوع الإمامة يعجز عن احتوائه مثل هذا الكتيب المختصر إلا أن مـا يؤمل من هـذه اللمحـة الخاطفة هـو التعرف على أبـرز هؤلاء الأئمـة وأوجه انتشار دعوتهم. والله ولي القصد وهو الهادي الى سواء السبيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

يروى عن رسول الله ﷺ قال : «يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .. أ.هـ.» فكان عدول الإباضية حملوا هذا الدين وقاموا بالواجب في حقه يحمل الخلف عن السلف.

تنكر من تنكر لذلك أو اعترف .. فلا يضيره شيء من التنكر ولا يزيده الإعتراف أي شرف. فلقد أخذ عدول هذا الدين دينهم عن يقين وثبات يأخذ أهل كل قرن عمن قبلهم من العدول حتى وصلوا إلى رسول الله ﷺ المنبع الاصيل، رحمة هذه الأمة عن جبريل الأمين عن اللوح المحفوظ عن رب العزة معبود العباد وكفى شرفاً للإباضية هذا السند الشريف لا يمتري فيه العاقل ونعوذ بالله من الزيغ.

وهانحن في القرن ١٥ وفيه علماؤه المعروفون وعلى رأسهم العلامة المجتهد أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي الذي تحدى بالعقيدة الاباضية علماء الدنيا ولم يرفع له أحد رأساً بارك الله فيه وفي إخوانه أهل العلم شيباً وشباباً. فهؤلاء أخذوا دينهم من عدول القرن الرابع عشر وهم :

نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، والمحقق عامر بن خميس المالكي، وإمام المسلمين محمد بن عبدالله الخليلي، والعلامة المعمر ماجد بن خميس العبري، والشيخ الثقة الأمين عبدالله بن محمد الريامي، والشيخ عيسى بن صالح الحارثي، والشيخ خلفان بن جميل السيابي وغيرهم، فهؤلاء أخذوا دينهم من عدول القرن الثالث عشر وهم : الشيخ الرباني سعيد بن خلفان الخليلي وصالح بن علي الحارثي ومحمد بن سليم الغاربي وناصر بن جاعد الخروصي وسلطان بن محمد البطاشي وغيرهم الكثير، فهؤلاء أخذوا دينهم من عدول القرن الثاني عشر وهم : الشيخ سعيد بن بشير الصبحي والشيخ جاعد بن خميس الخروصي والشيخ سعيد بن أحمد الكندي والشيخ خلف بن سنان الغافري والشيخ ناصر ابن سليمان ومحمد بن مداد فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن الحادي عشر وهم: الشيخ خميس بن سعيد الشقصي والشيخ مسعود بن رمضان النبهاني والشيخ خميس بن رويشد المجرفي والشيخ صالح بن سعيد الزاملي والشيخ عبدالله بن محمد بن غسان الكندي.

فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن العاشر وهم : محمد بن عبد الباقي العلامة الكبير والشيخ عبدالله بن عمر بن زياد الشقصي ومحمد بن أحمد ابن غسان والفقيه أحمد بن مداد والشيخ محمد ابن عبدالله بن مداد، فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن التاسع وهم : علي بن عبد الباقي والشيخ أحمد بن صالح بن مفرج والشيخ صالح بن وضاح والشيخ سليمان بن أحمد بن مفرج والشيخ أبو الحسن بن خميس بن عامر: فهؤلاء أخذوا دينهم من عدول القرن الثامن وهم : العلامة سعيد بن أحمد بن محمد بن صالح والشيخ أبو القاسم بن أبي شائق وأخوه عبدالرحمن ابن أبي شائق والشيخ سليمان بن راشد بن صقر العذوي وأخوه الشيخ دهمان بن راشد بن صقر، فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن السابع وهم : أحمد بن النظر بن سليمان العالم الشهيد الذي قتله خردله الجبار والشيخ العلامة أبو عمر النخلي والشيخ سعيد بن أحمد بن محمود وأبو الميكال موسى بن كهلان والشيخ أبو عثمان بن أبي عبدالله المعروف بالأصم ـ رحمه الله ـ فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن السادس وهم: العلامة الخضر بن سليمان جد أحمد بن النظر المتقدم والشيخ أحمد بن عبدالله بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم بن موسى وابن عمهما محمد بن موسى الكندي والشيخ أبو محمد عبدالله بن محمد ابن ابراهيم السمائلي، فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن الخامس وهم : العلامة أبو علي الحسن بن سعيد بن قريش والعلامة سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري والعلامة محمد بن عبدالله بن المدى الكندي والقاضي أبو عبدالله محمد بن عيسى والقاضي أبو علي الحسن بن أحمد الهجاري والعلامة أبو الحسن البسيوي فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن الرابع وهم : امام المذهب أبو سعيد بن محمد بن سعيد الكدمي الناعبي والشيخ الأصولي أبو محمد بن بركة والعلامة أبو محمد الحواري بن عثمان والعلامة أبو محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي المؤثر، فهؤلاء أخذوا دينهم عن عدول القرن الثالث وهم : العلامة الكبير موسى بن علي والعلامة محمد بن محبوب بن الرحيل والعلامة أبو المؤثر الصلت بن خميس والعلامة أبو جابر محمد بن جعفر والعلامة بشير بن محمد بن محبوب والعلامة المعلي ابن منير، فهؤلاء أخذوا عن عدول القرن الثاني وهم : الربيع بن حبيب صاحب المسند الصحيح المرجع للإباضية وحملة العلم إلى عمان وهم الخمسة المشهورون وهم محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة وسيف جده فارس من فرسان رسول

الله ﷺ والمنير بن النير الجعلاني الريامي ومحمد بن المعلى الكندي وبشير ابن المنذر النزواني وموسى بن أبي جابر الازكاني ومئات من أمثال هؤلاء الأعلام الكرام : كهلان بن عطية قاضي الإمام الجلندى ابن مسعود والذي استشهد معه في جلفار فلله تلك الأنفس الزاكية التي لايحوم الريب في صدقها واخلاصها فرحم الله تلك الأوصال وأكرمهم لفضله والنزل العال.

فهؤلاء أخذوا العلم عن أسلافهم الكرام عدول القرن الأول خير القرون وهم : جابر بن زيد أبو الشعثاء التابعي الثقة زميل الحسن البصري ومازن بن غضوبة السعدي السمائلي الذي حمل بشرى النبوة إلى عُمان وسيف بن هبيرة فارس رسول الله ﷺ وعبد وجيفر ابنا الجلندى ملكا عُمان وجعفر بن خثم العتكي وأبو صفره سارق بن ظالم وصحار بن العباس العبدي والقاضي كعب بن سور ومن الذين حملوا العلم في هذا القرن وأخذ أهل عُمان منهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وعبدالله بن أباض الذي تنسب إليه هذه الفرقة الرضية وعبدالله بن إباض إمام سياسة للإباضية لا إمام علم من ذلك لا يوجد له أثر في تآليف الإباضية يقول شيخنا نور الدين في كشف الحقيقة :

نحن الإباضية لم يشرع لنا	نجل إباض مذهبا يحملنا
من ذاك لا تلقى له في المذهب	مسألة ترسمها في الكتب
فنحن في الأصل وفي الفروع	على طريق السلف الرفيع
فنأخذ الحق متى نراه	لو كان مبغضاً لنا أتاه
والباطل المردود عندنا ولو	أتى به الخل الذي له اصطفوا
إن المخالفين قد سمونا	بذاك غير أننا رضينا

وعلى رأس هؤلاء المذكورين الذين اعتمد الإباضية على روايته جابر بن زيد الثقة الأمين الذي لم يتهمه في روايته أحد من الموافقين له والمخالفين وقد زكاه كثير من المؤلفين من غير الإباضية كما حسده الكثير يعرفونه ولا يذكرون عنه شيئاً كما في المثل (قد نراك فلست بشيء) والإمام جابر حسبما شهر في غير موضع من كتب السير أنه أدرك سبعين بدرياً فحسبك بسائر الصحابة الذين لقيهم وإن من أجل شيوخه من الصحابة عبدالله بن عباس وعائشة أم المؤمنين.

روى في الجامع الذي نقله عنه أبو عبيدة ما لايقل عن ٥٠ صحابياً منهم أنس

بن مالك وأبو أيوب وأبو هريرة وغيرهم الكثير ومما لاشك فيه أن الذي أخذ من الصحابة رضوان الله عليهم أخذ من المعين الصافي الذي لا كدر عليه ولا ريب فيه فاحكم يا عاقل هل الأحق بالأخذ منه أهو الذي أخذ المعين الذي لم يتكدر أم الذي أخذ مما تداولته الايدي ولاكته الألسن ودخل عليه أهل الإرادات والأهواء بعد فترة من الزمن فلله در الإنصاف ما أبرده على القلب وأرضاه للنفس، يقول بعض المؤرخين : الاباضية مذهبهم في الصدق والوفاء مذهب أبي بكر الصديق ومذهبهم في الشدة والهدى مذهب عمر بن الخطاب وعقيدتهم في دينهم عقيدة نبيهم ﷺ لا يداهنون في الدين ولا يعادون المسلمين ولا يفارقون المؤمنين يصفون ربهم بأوصافه الكاملة وينعتونه بنعوته الفاصلة وينزهونه عن النقائص كلها ويعتمدون على الكتاب والسنة اعتماداً لا هوادة فيه ويقولون بالإجماع ويعملون بمقتضاه ويأخذون بالرأي في المختلف فيه ولا يرضون من أحد ما خالف منهج المسلمين مهما كان ومن كان .. أ.هـ كلامه.

بيان الأئمة في عُمان ونبذة من أخبارهم

لم يوفق أحد من أهل المذاهب لاتباع السنة في الإمامة الكبرى التي هي على سيرة الخلفاء الراشدين إلا الإباضية فليراجع المنصف التاريخ إن كان غير هذا : نعم عندهم ملوك سموهم أئمة كما عليه ملوك بني أمية وبني العباس والحمد لله على توفيقه.

١ ـ الإمام الجلندى بن مسعود بن معولة بن شمس وهو أول إمام بعمان بويع سنة ١٣٢ هـ وكان من ملوك عُمان بعد أولاد مالك بن فهم وكان حوله ثلة من أهل العلم الأجلاء لايسع هذا المختصر لذكرهم عاش في الإمامة سنتين وشهراً واستشهد مع عشرة آلاف من جنوده على يد جنود السفاح العباسي أخزاه الله اذ سلط عليه الجذري فمات في الانبار.

٢ ـ الإمام الوارث بن كعب الخروصي من الهجار وادي بني خروص خوطب من حيث لا يعلم بل يسمع صوتاً ولا يرى شخصاً وسبب إمامته واختيار المسلمين له مشهور في التاريخ العماني، عاش في الإمامة اثنتي عشرة سنة وأشهراً اذ بويع في سنة ١٧٩ هـ ومات في سنة ١٩٢ هـ وسبب موته أنه غرق

في سيل وادي كلبوه في نزوى وغرق معه سبعون من أصحابه لما رأى السيل يزحف على المسجونين وكان السجن بجنب الوادي قال أمانتي وأنا مسئول عنهم غدا وارتمى إليهم لينجيهم مهما استطاع فطغى السيل عليه وعليهم رحمة الله عليه.

٣ - الإمام غسان بن عبدالله اليحمدي من الفجح تولى الإمامة بعد موت الإمام الوارث مباشرة في سنة ١٩٢ هـ وهو أول من حمى البحر من طغاة الهند الذين أخافوا البحر فنظم لهم جنداً فقطع فسادهم، اتخذوا من الزوارق أسطولاً فغزا الجيش العُماني قراصنة البحر أينما حلوا وأينما ظعنوا حتى أجلوهم من شواطىء عمان وفي زمانه حولت العاصمة العُمانية من صحار إلى نزوى باتفاق العلماء لما رأوا في ذلك من المصلحة، وهو أول من قطع في السرقة سارقاً من صحار، عاش في الإمامة خمس عشرة سنة وسبعة أشهر، مرض في ذي القعدة يوم الأربعاء لثمان بقين منه، ومات صبح الأحد من الشهر نفسه لأربع بقين منه سنة ٢٠٧ هـ رحمة الله عليه.

٤ - الإمام عبدالملك بن حميد : من بني علي بن سوده بن علي بن عمر بن عامر العلوي الأزدي بويع بالإمامة بعد سنة من موت سلفه في شوال سنة ٢٠٨هـ بويع على ما بويع عليه غسان وبويع غسان على مابويع عليه الوارث وبويع الوارث على ما بويع عليه الجلندى وبويع الجلندى على ما بويع عليه الخلفاء الراشدون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى الشرى في سبيل الله وقتال البغاة، قال الإمام نور الدين: وقد صارت عمان أفضل قطر في بلاد الله وشاخ الإمام وخاف المسلمون على الدولة من الضياع فقام موسى بن علي مرجع العلماء في ذلك الزمان فشد أزره إلى أن مات رحمه الله يوم الجمعة من شهر رجب لثلاث خلون منه سنة ٢٢٦ هـ وكانت أمامته ١٨ سنة وسبعة أيام.

٥ - الإمام المهنا بن جيفر اليحمدي : أعظم امام في آل اليحمد، عظمة دينية ودنيوية وكان يلقب ذا الناب لأنه اذا غضب خرج ذلك الناب وربما مات من هيبته بعض الناس بويع في اليوم الذي مات فيه سلفه وهو يوم الجمعة لثلاث خلون من رجب سنة ٢٢٦ هـ وكان لايدخل عليه أحد إلا مسلحاً ولا يتكلم أحد في مجلسه واجتمعت إليه من القوة البرية والبحرية شيء عظيم بلغ ثلاثمائة بارجة بحرية حربية وسبعمائة ناقة وستمائة فرس عند أول صارخ وتوفي رحمه الله يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الثاني سنة ٢٣٧ هـ فكانت

إمامته أحد عشرة سنة إلا أشهر وتوفي شيخ الإسلام موسى بن علي في ربيع الأول سنة ٢٣٠ هـ وتأثر الإمام لموته كثيراً ... رحمهم الله جميعاً.

٦ ـ الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي : بويع في اليوم الذي مات فيه سلفه يوم الجمعة ١٦ من ربيع الآخر سنة ٢٣٧ هـ وعلى رأس العلماء الذين بايعوه محمد بن محبوب وعمر الصلت في امامته ما لم يعمر غيره من الائمة حتى شاخ وكبر فملوه وإنما كان تأثير الشيب عليه في رجليه فقط اما سمعه وبصره وعقله ولسانه فما نقص منها شيء وهو الذي وقعت الكرامة عنده لما أرسلت المرأة المستغيثة رسالتها من سقطرى في أنبوبة رمتها في البحر فحفظها البحر حتى تسلمها الإمام في صحار فأين سقطرى وأين صحار فقطعت بحر العرب وبحر عُمان .. والمرأة هي جهضمية من أهالي سمد الشأن كانت هنالك أيام الواقعة والقصة مشهورة في التاريخ وجرت عليه أحداث كثيرة افترق بسببها أهل عُمان الى ثلاث فرق (راجع السيرة) وخرج من بيت الإمامة في ٣ ذي الحجة سنة ٢٧٣ هـ فكانت امامته خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر.

٧ ـ الإمام راشد بن النضر اليحمدي : وهو الذي قام على الصلت مع موسى بن موسى ومن معهما، فلما قاموا ودخلوا على الصلت اعتزل بيت الإمامة وخلى لهم المكان من دون مقاومة منه فحين خرج الصلت عقدوا الإمامة لراشد وذلك يوم الخميس ٣ ذي الحجة سنة ٢٧٢ هـ ووقعت في أيامه فتن عظيمة وقتل خلق كثير حتى كبسوا دار الإمامة واعتقلوه وأخرجوه بعدما مضى لإمامته أربع سنين وثمانية وخمسون يوماً واكثر أهل عُمان غير راض عليه والإختلاف في ذلك كثير والله أعلم بالصواب وبسبب ذلك تولد افتراق أهل عُمان إلى فرقة نزوانية يرأسها الإمام أبو سعيد الكدمي وفرقة رستاقية يرأسها الإمام أبو محمد ابن بركة وفي هذه القضايا ألف الإمام أبو سعيد كتاب الإستقامة.

٨ ـ الإمام عزان بن تميم الخروصي : بويع له بالإمامة يوم الاربعاء لثلاث خلون من شهر صفر سنة ٢٧٧ هـ ووقعت في أيامه حروب أهلية منها وقعة أزكي قتل فيها موسى بن موسى. ومنها وقعة القاع في صحار قتل فيها كثيرون من أعيان أهل عُمان وأصل هذه الفتن كلها أهل جرنان حتى قيل : «ما من فتنة في عُمان الا وأصلها من جرنان» أدت بهم هذه الفتن الى أن جلبوا الشر الى عُمان وخرج بعضهم إلى البحرين وبها محمد نور «قلب أهل عُمان نونه باء» وأغروه بألسنة معسولة فأجابهما إلى المناصرة وزحف إلى عُمان بجيش يتألف من خمسة

وعشرين ألف مقاتل ومعه ثلاثـة آلاف فرس وأفسد في عُمان فساداً عظيماً وقتل الآلاف منهم ودفـن الأنهار وأحـرق الكتب وقطع الأيـدي وصلّـم الأذان وسَمل الأعين وانتهت المعارك بقتل الإمام عزان بـن تميم في سمد الشأن سنة ٢٨٠ هـ فكانت إمامته ثلاث سنـين.

وبعد الإمـام عزان نصـب في عُمان ثمانـية أئمـة لكنهم لم تعرف تـواريخهم بعضـهم اعتزل من دون سبب وبعضـهم عـزل وبعضـهم قتل إلى آخره .. واستمر الحال بعُمان وهكذا فتن يتلو بعضـها بعضاً حتى من الله الكريم بـ :

١٧ ـ الإمام سَعيد بن عبدالله بن محمـد بن محبوب الرحيلي القرشي : وعائلة آل الرحيل لها المقام المرموق بين أعلام المسلمين، عائلة مباركة يتبع الخلف منهم السلف في الصلاح والاستقـامة، وجدهم سيف بن هبيرة فـارس رسول الله ﷺ وكـانت بيعة الإمـام سعيد في سنـة ٣٢٠ هــ وكان ممن أجمع المسلمـون على ولايته وإمامتـه فلم يطعن فيه طاعن ولم يقدح فيه قـادح حتى قال بعض علماء عصره لا نعلم في أئمـة المسلمين كلهم بعمان أفضل من سعيـد بن عبـدالله إلا أن يكون الجلندى بن مسعود.

قال الإمام نور الدين : ولا اعدل بـالجلندى إماما في عُمان فإنه جمع الصفات الثلاث العلم والعـدل والشهادة وبهذا الإمام أذل الله يـوسف بن وجيه وأعـوانه أعوان العبـاسيين البقية مـن جنود ابن بـور فخرجـوا من عُمان صاغـرين ولم يستحل المسلمون شيئـاً من أموالهم حال طـردهم حتى أن حلقة رز بـاب فقدت فعاقـب الإمام من أخذهـا وردوها إلى أصحـابها فلله هذه النـزاهة وهـذا الكرم ومات الإمام شهيداً في سنة ٣٢٨ هـ وكـانت امامته ثمان سنـين رحمة الله عليه ورضوانه.

١٨ ـ الإمام راشد بن الوليد الكندي : كان على جانب قوي من التقوى ومحل رفيع من الهدى، أثنى عليـه الإمام أبـو سعيد الثنـاء العاطـر ووصفه بصفـات عجيبة، قال الإمـام نور الدين : وناهيك بـرجل يثنـي عليه أبو سعيـد هذا الثناء والخلق شهـود الله في أرضـه، ثم خرج عليـه سلطان العـراق بجيش عظيم احتل عُمان كلها بمساعدة أهلها وخذلانهم للإمام فانحاز الإمام الى مكان غربي الجبل الأخضر فلبث هنالك ماشاء الله حتى مات محموداً ولم يـؤرخ لوفاته اذ لم يوجد تاريخه بل يوجد في بيان الشرع ان عُمان أصبحت دار كفر ونفاق سنة ٣٤٢ هـ

وهذا الوقت هو الذي استولى الغزاة فيه على عُمان. والله المستعان.

قال الشيخ سالم بن حمود السيابي مر هذا القرن كله ملطخاً بغيوم الظلم والفساد من المسلطين على الأمة من بني العباس وكانوا كسالفهم بني أمية بلاء على الأمة وشراً على المسلمين والله حسبهم وحسبنا.

١٩ ـ الإمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي : اليه ينتسب آل الخليل في عُمان وهي عائلة بارزة في عُمان سلسلة متتابعة كسلسلة آل الرحيل بقيت عُمان يتلاعب بها الجبابرة وأهلها في هوان إلى أن قيض الله لهم الإمام الخليل فبويع له بالإمامة حوالي سنة ٤٤٤ هـ فسار فيهم سيرة حسنة ودفع عنهم الجبابرة وأمنت بعدله البلاد واستراحت في ظله العباد ووفد عليه الإمام أبو اسحاق الحضرمي من حضرموت مستنجداً به على أهل اليمن وحضرموت الخارجين عن طاعته فأمده بالمال والرجال حتى وطد به دعائم إمامته وأثنى الإمام أبو اسحاق على الإمام الخليل في قصائده التي في ديوانه المعروف وصارت حوادث كثيرة في زمانه وغزوات من الاعداء ولكنه قاوم ذلك حتى توفاه الله إلى رحمته ورضوانه حوالي سنة ٤٦٢ هـ فكانت امامته ١٨ عاماً.

٢٠ ـ الإمام راشد بن سعيد اليحمدي : بويع له بالإمامة بعد الإمام الخليل وكذلك أمد الإمام الحضرمي بالمال والرجال كسلفه الجليل وله فيه قصائد غرر في ديوانه.

وجمع العلماء في زمنه وأنهوا قضية الصلت وموسى بأن أجمعوا على أن من دان بالشك فهو هالك وأجمعوا أن من علم حدثاً من محدث وجهل الحكم فيه إن عليه السؤال عنه وإن علم الحدث والحكم كان عليه البراءة من المحدث : وبقى إماماً مرضياً حتى توفاه الله بنزوى رحمة الله عليه.

٢١ ـ الإمام حفص بن راشد بن سعيد اليحمدي : بقى في الإمامة زمناً طويلاً لكن لم يعثر على تاريخ نصبه ولا على تاريخ وفاته، ولكل أجل كتاب.

٢٢ ـ الإمام راشد بن علي الخروصي : قال الإمام نور الدين : لم نقف على نسبه ولكنه كان اماماً صالحاً حمدته الأمة وشكرته الرعية منار للعدل وتوفي في سنة ٥١٣ هـ.

٢٣ ـ الإمام عامر بن راشد بن الوليد الخروصي : وكان رجلاً عالماً زاهداً ذا ذكاء وفطنة محسناً في الرعية وكان إماماً شاريا وهو آخر الأئمة الشراه من

بني خروص فاستقام على الحق حتى توفاه الله، رحمة الله عليه بويع بالإمامة سنة ٥٧٦ هـ ولم يحفظ وقت وفاته وبقاؤه في الإمامة كما لم يحفظ تاريخ الإمام الخامس عشر محمد بن غسان بن عبدالله الخروصي وكان امام دفاع وكان في امامته عادلاً لم يعب عليه أحد شيئاً في زمانه ولا طعن عليه في شيء من أحكامه حتى توفي رحمه الله.

٢٤ ـ الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر الخليلي : من بني الصلت بن مالك ولم يعب عليه في إمامته أحد حتى توفاه الله مستقيماً على طريق الحق وكان من الأئمة المجهولة تواريخهم وحيث إن العباسيين انتهوا بانتهاء القرن السادس وانقرضت دولتهم واستراحت الأرض منهم وما بكت السماء عليهم تنفست عُمان الصعداء من جورهم والحمد لله، لكن لسوء سيرة أهل السوء من أهل عُمان وقتال بعضهم بعض وانقسامهم، سلط الله عليهم جورة آخرين من أنفسهم فساموهم سوء العذاب وكما تكونون يولى عليكم، وانظر الحكمة الإلهية بنو العباس تمكنوا من الأرض خمسمائة سنة فأذلهم الله بعد ذلك. كما جاء دور اليعارية بعد خمسمائة سنة فأزاحوا الجبابرة عن الظلم وملأوا عُمان عدلاً كما ملئت جوراً وفي هذه الفترة من الزمان بويع الإمام:

٢٥ ـ الحواري بن مالك : بويع له في سنة ٨٠٩ هـ فقام بواجب الشرع وبذل النفس والنفيس وبقى في أمامته ثلاث وعشرين سنة اذ توفي سنة ٨٣٢ هـ وبايعوا :

٢٦ ـ الإمام مالك بن الحواري : وكان محمود السيرة الا أنه لم يدم أكثر من سنة واحدة ثم بويع الإمام :

٢٧ ـ أبو الحسن بن خميس بن عامر : في شهر رمضان سنة ٨٣٩ هـ ومكث في الإمامة سنة واحدة فقط، ثم من الله سبحانه برجل شهم قوي الشكيمة صمد للعتاه وهو :

٢٨ ـ الإمام عمر بن الخطاب : صال على الجورة صولة الأسد الصائل فأمكنه الله منهم واورثه أرضهم وديارهم وحكم بتفريق أموالهم، بويع له بالإمامة سنة ٨٨٥ هـ وقام بعض الأئمة في هذا العصر حوالي خمسة أئمة ولكنهم ضعفاء قهرهم الجبابرة حتى قام بالامر الرجل الشجاع العادل :

٢٩ ـ الإمام محمد بن اسماعيل الحاضري : من قضاعة بن مالك بن حمير،

ملأ الله قلبه ايماناً وشد قلبه وأيده الله بـروح من عنده وغرق أموال من ساعدوا الجبابرة بويع لـه بالإمامة سنة ٩٠٦ هـ وبقي اماماً الى أن مات في سنة ٩٤٢ هـ فكانت امامته ستاً وثلاثين سنة ثم بويع ولده من بعده.

٣٠ ـ الإمام بـركات بن محمد بن اسماعيل : بويع على إثـر موت أبيه وسلك مسلكه حتى مات في ٩٦٤ هـــ وكانت إمامته اثنـين وعشرين سنة وكـانت إمامة هذين الإمامين فصلاً بين عهدين من ملك الجبابرة الذين رجعوا إلى جورهم مرة أخرى وقامت أئمة في عهـدهم ولكنهم كغيرهم لم يصمدوا في وجه الجور فجاس بنو نبهـان خلال الديـار وفعلوا ما فعلـوا وأخيراً اقتتلوا وحدهـم وبقي زمانهم مغطى بغبار الظلم حتى قيض الله لعُمان :

٣١ ـ الإمام المرشد ناصر بن مرشد اليعربي : فأعاد سيرة السلف الصالح في عُمان وجدد من المعـالم ما أبلته أيـدي الزمان من السيرة النبـوية المتوجـة بتاج الإيمان فكأن عُمـان في عهده ولـدت من جديـد وقيض الله له رجـالاً أمثالـه في العمل والـورع والغيرة والبصيرة ولـه مـزايـا لم تكن لغيره وهـو الـذي أجـلا البرتغاليين مـن عمان وطهرهـا منهم وصارعـه بغاة من عُمان نفسهـا فصرعهم واستقـامت له الأمـور وتوفي رحمه الله والمسلمـون عنه راضـون وعمره نـيف وأربعون سنة وعاش الإمام ناصر في الإمامـة اذ عقد عليه سنة ١٠٢٤ هـ ومات سنة ١٠٥٠ هـ فكانت امامته ٢٦ سنة ثم عقد على ابن عمه الإمام :

٣٢ ـ سلطـان بن سيف الأول : بويـع في اليوم الذي مـات فيه سلفـه الإمام ناصر وكان أحـد قواده وعلى يده وفي حال قيـادته دولة الإمام نـاصر كان طرد البرتغاليين وفتح مـدينة صور وفتح كثيراً من الممالـك الهندية وممباسـة وكلوه وزنجبار واليمن وغيرهـا من الفتوحات وعـاش مرضياً عنه حتى تـوفي في اليوم السادس عشر من ذي القعدة سنة ١٠٩١هـ فكـانت امامته احدى وأربعين سنة فلله هـذه السنـين مـا أعظمها بركـة وأكثرها حـركة في مشرق الدنـيا ومغربها وجنوبها ... وهكذا، وهو الـذي أنشأ قلعة نزوى الرافعة الـرأس القوية الأساس الصعبة المراس، ثم بويع الإمام :

٣٣ ـــ بلعرب بن سلطـان بن سيف : وكـان بلعرب متـوجـاً بالشيم الطيبـة والفضائل الجميلة والأعمال الحسنة، رأى أن عُمان وافرة من كل الجوانب الا أن بها نقصاً مـن جانب تعليم الشريعـة فبنى حصن جبرين الغريب الشكـل ليكون

مدرسة تخرج علماء يسدون الفراغ وقد بناه بملايين مما يدل على الغنى الهائل في ذلك الوقت وخزن مثل ما بني داخل الحصن للطوارىء وكان آية في روعة الصنعة وهو لايزال قائماً، جدد في هذا العصر بأمر من جلالة السلطان قابوس، بويع بالإمامة بلعرب بعد موت أبيه سنة ١٠٩١ هـ وعاش في الإمامة إلى ١١٠٤ هـ وكانت امامته ١٣ سنة.

٣٤ ــ الإمام سيف بن سلطان بن سيف : الملقب قيد الأرض قال الشيخ سالم بن حمود : «وناهيك بقيد الأرض لم يوضع هذا اللقب عبثاً انه لقب كبير هز الأفق الشرقي الى أقاصي افريقيا ..أ.هـ» جهز الجيوش واستعد للحوادث وترك بجانبه لأول صيحة ستة وتسعين (٩٦) ألف حصان ودخل بها أرض الهند فاجتاح ساحلها ودخل الى الرجاء الصالح ملتقى المحيط الأطلسي والمحيط الهندي وعمر كثيراً من أفلاج عُمان بويع له في اليوم الذي مات فيه أخوه سنة ١١٠٤ هـ وعاش في الإمامة إلى أن مات يوم الجمعة لثلاث خلت من رمضان سنة ١١٢٣ هـ وكانت امامته ١٩ سنة: قلت: كملت مائة سنة بأربعة أئمة نوروا عُمان وعمروها بالعدل والعمران وجعلوها من جنات الدنيا جزاهم الله خيراً وكافأهم بجنات عرضها السموات والأرض. أ.هـ.

٣٥ ــ الإمام سلطان بن سيف بن سلطان : ويعرف بسلطان بن سيف الثاني، أقبل على عمران عُمان وهم أن يجعل عُمان كجنتي مأرب وهو صاحب المقالة المشهورة : «لان أبقاني الله لأجعلن المسافر للحج يخرج من عمان بلا زاد» قلت : هذا الزمان الذي تمناه هو في زماننا هذا القرن الخامس عشر ..أهـ.

بويع بالإمامة في اليوم الذي مات فيه أبوه شهر رمضان سنة ١١٢٣ هـ وتوفي في يوم الأربعاء لخمس ليال خلون من جمادي الآخرة سنة ١١٣١ هـ وكانت امامته سبع سنين وتسعة أشهر وبموته انتقض الشر بعمان وأحيوا الجاهلية وأرادوا أن يجعلوا الدولة ميراثاً.

٣٦ ـ الإمام مهنا بن سلطان بن ماجد اليعربي : من أبناء عمومة الأئمة السابقين ومتزوجاً بنت الإمام سيف بن سلطان رآه المسلمون أهلاً للإمامة فبايعوه في اليوم الذي مات فيه سلفه الإمام سلطان سنة ١١٣١ هـ واستقام في الامر حتى قام عليه البغاة فقتلوه سنة ١١٣٣ هـ وكانت امامته سنتين.

٣٧ ـ الإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف : من أبناء الأئمة السابقين

بويع في سنة ١١٣٤ هـ وفي هذه الآونة افترق أهل عُمان فرقتين غافرية وهناوية تقاتل محمد بن ناصر الغافري وخلف بن مبارك الهنائي فمن اتبع الغافري من القبائل صاروا غافرية ومن اتبع الهنائي صاروا هناوية قسمة شيطانية راجت في عُمان رواجاً ليس له مثيل وتقاتلوا بسبب ذلك وسقط الآلاف من بينهم فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٣٨ ـ الإمام محمد بن ناصر بن عامر الغافري : صاحب الحروب مع خلف بن مبارك لأن علماء عمان رأوا منه القوة والحزم فبايعوه على الدفاع، يقول الإمام نور الدين : وللمسلمين أن يبايعوا غير المتولى على الدفاع حتى يرد أهل البغي فأما أن تصلح حاله فيستقيم على الأمر وإما أن يقوى المسلمون فيخلعوه إن لم يستقم ويبايعوا غيره بويع له بالإمامة لسبع خلون من المحرم سنة ١١٣٧ هـ فما استراح من الحروب ليلة واحدة طيلة وقته التقى هو وخصمه خلف يوماً على باب حصن صحار فقتلا جميعاً في ساعة واحدة.

فاستراحت عُمان منهما ولكنها لم تسترح من دعوتهما الباطلة وكل دم يهرق في عُمان بسبب هذه الدعوة فعليهما قسط منه.

٣٩ ـ الإمام سيف بن سلطان بن سيف : ابن الإمام السابع والعشرين وكان صغيراً أيام موت أبيه فتذرع به محمد بن ناصر بكونه اماماً وقاتل في الأصل لأجله ثم بويع محمد بالإمامة دونه ولكنه لم يزل ملازماً له أيام حروبه حتى قتل وكان سيف بلغ الحلم فبايعه علماء زمانه اماماً دفعاً للفتنة فاستقام في أول الأمر ثم زاغ فعزلوه سنة ١١٤٥ هـ ونصبوا ابن عمه :

٤٠ ـ الإمام بلعرب بن حمير بن سلطان بن سيف : فاغتاظ سيف لذلك عمل بفكرة من يقول (اكفر ولا تغلب) فسافر إلى مكران فجاء بالبلوش ليساعدوه فانهزم هو وإياهم ثم سافر إلى إيران فجاء بالعجم فنزل جيشهم خورفكان في ذي الحجة سنة ١١٤٩ هـ فجاء الإمام بلعرب لصدهم في سنة ١١٥٠ هـ في شهر محرم فدارت الحرب بينهم وانكشفت عن هزيمة الإمام وأصحابه وابتلى أهل عُمان بالعجم وعاثوا فيها الفساد وتغلب سيف بهم مدة رزحت عمان بوطئتهم حتى هبت ريح الإيمان فاجتمع العلماء من كل مكان في بلدة نخل واتفقوا على الإمام.

٤١ ـ سلطان بن مرشد اليعربي : في سنة ١١٥٤ هـ في ليلة عرفه فقام

بالحق واستقام بحمد الله على الحق والعدل ودانت لـه الحصون فقام عليه سيف بن سلطان كما قام على سلفه ولكنه فشـل في جميع اللقاءات وتلاشى أمره حتى مات وهو محتضن للعجم أو هم احتضنوه وفعلوا في عُمان الأفعال القبيحة التي لم يسبق لها مثيل انتاج عمل السفهـاء الذين لا يبالـون بما يجنون على أوطانهم وأنفسهم فمات هـو والإمـام سلطان بن مـرشـد في وقت واحـد. والعجم تعيث الفساد في البلاد قيض الله لهم أسداً من أسود عُمان الأشداء الحازم اليقظ.

٤٢ ـ الإمـام أحمد بن سعيد البوسعيدي : جد العائلـة المـالكة الآن في عُمان فاستأصل العجم وأجلاهم من عُمان وأحسن إلى أهل عُمان وبذلك نال أحمد بن سعيد من العُمانـيين المكانة العالية وعظم شأنه فيهم وصار له صيت ملأ الآفاق وتتـوج هيبة الملـوك ثم قام بلعـرب بن حمير الإمام الثانـــي والثلاثـون بعدمـا انضـوى تلك الأيـام المـاضية خـوفـاً من العجم قـام الآن على أحمد بن سعيـد فوقعت بينهما حروب انكشفت عن قتل بلعـرب سنة ١١٦٧ هــ وصار الناس في أيامه في راحة واستراحـة بعد الفتن والمحن بويع بالإمامـة بعد صراع طويل مع العجم ومع أهل عُمان بعد قتل بلعرب وعاش في الإمامة إلى أن مات سنة ١١٩٦ هــ كانت امامته تسعاً وعشرين سنة واستمر أولاده في الحكم إلى أن بويـع :

٤٣ ــ الإمام عـزان بن قيس بن أحمد : حفيـد الإمام السـابق بويع في سنـة ١٢٨٥ هــ يوم الجمعه اثنــين وعشرين من جمادى الآخرة، قال الإمام نور الدين : إن إمامته مجمع عليها قام بما وجب عليه من نصرة الدين وإقامة الحق والأخذ على يد الظـالم وخاض حـروبـاً مــع العُمانــيين ومع الغـزاة من أهل نجـد وغرق أموال الظلمة وجعلها بيت مال للمسلمين باتفـاق من علماء زمانه وبقى إماماً إلى أن مـات شهيداً في ليلـة الثامن مـن ذي القعدة سنــة ١٢٨٧ هــ فكـانت إمامتـه سنتين وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً رضي الله عنـه وأرضاه وبقي بعد موته ثلاثة أيام لم يدفن ولم يتغير.

٤٤ ـ الإمام سـالم بن راشد بن سليمان بن عامر الخروصي : بويع بـالإمامة في اليـوم الثانـــي عشر من جمادى الآخـرة سنـة ١٣٣١ هــ كـان صـارمـاً في الأحكام لا تأخذه في الله لومة لائم زاهدا في الدنـيا كان يرى النور عليه في حياته قام بـالحق وأمر بالمعـروف ونهى عن المنكر وأدب السفهـاء وازدهرت عُمان في زمانه كثرت فيها البركات، بقي في الإمامة إلى أن مات شهيداً في ليلة الخامس من ذي القعدة الحرام سنـة ١٣٣٨ هــ كـانت إمامتـه سبع سنوات وأربعـة أشهر

واثنين وعشرين يوماً.

٤٥ ـ الإمام محمد بن عبدالله بن سعيد الخليلي : بويع له بالإمامة بعد موت سلفه بسبعة أيام في ذي القعدة سنة ١١٣٨ هـ كان أعلم أهل زمانه وقد جمع الشروط الشرعية التي تتوفر في القائم بالأمر فقام بالواجب خير قيام وقتل قطاع الطرق وأمن البلاد وأقام الحدود كما أقامها الأئمة من قبله وعاش مرجعاً لاهل عمان أنفق أمواله كلها في عز الدولة وكان ثرياً بما خلفه له أبواه ومات ولا يملك شيئاً ومات في صبح اليوم التاسع والعشرين من شعبان سنة ١٣٧٢ هـ فكانت إمامته أربع وثلاثين سنة وتسعة أشهر و ١٧ يوماً واستخلف على الامة إماماً لأن الزمان يموج بالفتن.

٤٦ ـ الإمام غالب بن على بن هلال الهنائي : الوحيد الذي تولى الولاية بالإستخلاف بويع له بالإمامة قبل أن يدفن سلفه وقام بالواجب عليه إلا أن القدر لم يسعفه فصار عليه ما صار على الإمام الصلت بن مالك حذو النعل بالنعل فما بقى في الإمامة إلا ثمانية عشر شهراً.

كانت هذه الأئمة المجتمع عليها ، وعد المؤرخون العُمانيون حوالي ستين إماماً ولكننا لم نذكر إلا الأئمة المشهورين.

الاباضية في المغرب العربي

وانتشر هذا المذهب في أقطار المغرب العربي (ليبيا وتونس والجزائر).

نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر «حملة العلم إلى المغرب» الذين أخذوا العلم والدين عن الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وهم أبو عبيدة عبدالحميد بن مغطير الجناوني، والإمام أبو الخطاب عبدالاعلى بن السمح المعافري وهو أول امام في المغرب العربي بويع بالإمامة سنة ١٤٠ هـ والإمام عبدالرحمن بن رستم الفارسي (صقر فارس) بويع بالإمامة سنة ١٦٠ هـ في تيهرت بالجزائر التي صارت عاصمة الإمامة الرستمية في الشمال الإفريقي ثم بويع بالإمامة أبناؤه وأحفاده نظرا لعلمهم وفضلهم وصلاحهم، وأبو داود القبلي النفزاوي، واسماعيل بن درار الغدامسي، وعاصم السدراتي، وهؤلاء هم حملة العلم إلى المغرب.

ثم جاء بعدهم علماء أجلاء منذ ذلك العهد وإلى يومنا هذا، يأخذ الخلف عن السلف، والمتأخر عن المتقدم، ونذكر منهم الإمام عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم والإمام أفلح بن عبدالوهاب والإمام محمد بن أفلح بن عبدالوهاب، وأبومرداس مهاصر السدراتي وأبو ذر ابان بن وسيم وعمروس ابن فتح المساكني، وأبو خليل الدركلي، وأبو المنيب محمد بن يانس، وأبو القاسم البغطوري وأبو خزر يغلا بن زلتاف، وأبو نوح سعيد بن زنغيل، وأبو عبدالله محمد بن أبي بكر، وتبغورين بن عيسى الملشوطي، وأبو الربيع سليمان بن يخلف وأبو عمار عبدالكافي، وأبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني وأبو نصر فتح بن نوح الملوشائي وأبو القاسم البرادي، وأحمد بن سعيد الشماخي، وأحمد بن سعيد الدرجيني، ويحيى بن سفيان اللالوتي وأبو هارون الجلالمي، وأبو الربيع سليمان بن هارون، وأبو يحيى زكريا ابن ابراهيم الباروني، وعيسى الطرميسي وأبو ساكن عامر بن على الشماخي، وأبو طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي، وداود بن ابراهيم التلاتي، ويعقوب بن أحمد اليفرني، وأبو يحيى الجناوني ومهدي ابن اسماعيل، وعبد الله بن محمد المجدلي، وعبدالعزيز الثميني، وابراهيم بن يوسف اطفيش و (قطب الائمة) محمد بن يوسف اطفيش، وعبدالله بن يحيى الباروني، وأبو اليقظان ابراهيم بن عيسى، وأبراهيم

بن عمر بيوض، وعبدالله بكلي وعلي يحيى معمر، وغيرهم كثير.

وقامت للإباضية في المغرب دول وإمارات، فأول إمام هو أبو الخطاب المعافري، ثم الإمام أبو حاتم الملزوزي ثم الإمامة الرستمية الذائعة الصيت، ثم كانت لهم إمارات في وارجلان بالجزائر وفي جربة في تونس وهي جبل نفوسة في ليبيا، أنشأوا نظام العزابة وهو نظام بديع جداً حافظ على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان له تأثير كبير على المحافظة على الإستقامة.

الإباضية في اليمن

وانتشر المذهب في اليمن، وكان له رجال عظماء ، ضربوا أروع الأمثلة في العلم والعمل قال عنهم الإمام العلامة الجليل وائل بن أيوب الحضرمي : «أدركت بحضرموت رجالاً إن كان الرجل منهم لو ولي على الدنيا كلها لاحتمل ذلك في عقله وحلمه وعلمه وورعه».

ومنهم الإمام طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي أول إمام في اليمن بويع سنة ١٢٩ هجرية، وابرهة بن الصباح الحميري، وعبدالله بن سعيد ووائل بن أيوب وأبو المؤرج عمرو بن محمد السدوسي، وقيس بن سليمان والإمام ابراهيم ابن قيس الحضرمي.

ويقول الإمام نور الدين السالمي :

وللعمانيين والمغاربة	وحضرموت أمراء غالبة
يشابهون العمرين عدلاً	وورعاً وثقة وفضلاً
مضوا على نهج الصواب فلهم	حسن الثنا مع الرضا من ربهم

الإباضية في أماكن أخرى

كان المذهب الإباضي منتشراً في خراسان وصار فيهم علماء، وفي غانا بغرب افريقيا ، بل إن الإسلام دخل إلى غرب افريقيا عن طريق الإباضية، وفي شرق افريقيا، كما أن الإباضية أهل عُمان حملوا الإسلام إلى شرق آسيا، فكان دخول الإسلام إلى أرخبيل الملايو على أيديهم.

ذكرنا هذا باختصار في الجميع ليعلم القارىء أن هذا المذهب هو الأصل، وليس مذهباً اختاره البشر لأنفسهم إنما هو خيرة الله عز وجل .. وما توفيقي إلا بالله .

الجــزء الحادي عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا الجزء مخصص في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ومولده وبعثته وهجرته وشمائله وشيء من سيرته ووفاته والغرض الإقتداء به صلى الله عليه وسلم)

ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل – وسمي عام الفيل لأن الحبشة أرادوا هدم الكعبة فسعوا لذلك وعندهم الفيلة وفيها فيل كبير فلما كانوا بمزدلفة شرقي مكة حسر الفيل أي ربض ولم يستطع النهوض فكان يضرب لكي يقوم فلا يقوم فإذا وجه لغير مكة نهض وهكذا حتى أرسل الله إليهم الطير الأبابيل فأهلكتهم وحمى الله بيته من أهل الإعتداء.

وولد الرسول صلى الله عليه وسلم مختونا مسرورا – قطعت سرته – وماتت أمه آمنة بنت وهب وهو ابن ست سنين ومات أبوه عبدالله بن عبد المطلب وهو في بطن أمه وكفله جده عبد المطلب بن هاشم وأرضعته حليمة السعدية وفي أيام رضاعه شقت الملائكة صدره الشريف وأزالت منه حظ الشيطان وشق الصدر خصوصية له والشيطان لا يقرب غيره من أولياء الله فكيف بالنبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه.

وخرج إلى الشام مع عمه أبي طالب الذي وقف معه في محنته ونصره وذب عنه من غير أن يسلم بالرغم من مطالبة النبي له بقوله (قل كلمة أحاج بها لك عند الله) فقال حين غلب عليه الشقاء لا أفارق دين الأشياخ ولكنه بسبب وقوفة الشريف خفف عنه العذاب كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن عذابه سيكون في الضحضاح من النار – لعمري ما هذا الضحضاح – وأهل عمان يقولون (ما في النار كوز بارد) نعوذ بالله من النار ضحضاحها وعمقها أ هـ

وكان عمره حين خرج مع عمه تسع سنين، وتزوج السيدة خديجة بنت خويلد وهو في سن الخامسة والعشرين وهي في سن الأربعين وكل أولاده منها إلا

ابراهيم فهو من مارية القبطية وتوفي ابراهيم وهو ابن سنتين وبكى النبي على موته ولما قيل له تبكي وتنهانا عن البكاء قال (إنما أبكي شفقة ورحمة له ولا أقول ما يسخط الرب).

وسافر قبل تزويجه بها في تجارة لها إلى الشام ومعه غلامها ميسرة ولما أخبرها ميسرة بشمائل الرسول صلى الله عليه وسلم والإرهاصات التي تدل على نبوته رغبت فيه وأرسلت إليه بنفسها تخطبه فوافقها وتزوجها وتشرفت بذلك في الدنيا وفازت في الآخرة بالجنة إذ بشرها جبريل عليه السلام ببيت من قصب في الجنة لا فيه صخب ولا نصب وماتت خديجة في السنة التي مات فيها عمه أبو طالب فسمي ذلك العام (عام الحزن) وذلك بعد بعثه بإثنتي عشرة سنة.

ولما كان ابن ست وثلاثين سنة تخاصمت قريش حين بنت الكعبة في وضع الحجر الأسود وأرادت كل قبيلة أن تضعه هي ثم حكموه صلى الله عليه وسلم ورضوا به حكما إذ يسمونه الأمين فجاء بثوب فوضع الحجر عليه ودعا من كل فخذ من قريش برجل فحملوه وأخرجه هو من الثوب ووضعه في مكان من الركن.

ولما كان ابن إحدى وأربعين جاءه الوحي وهو في غار حراء وكان قد حببت إليه الخلوة والإعتزال للعبادة في هذا الغار، فجاءه جبريل بالوحي من ربه وقال له إقرأ فقال ما أنا بقارىء فغطه – أي ضغطه – وقال له اقرأ فغطه ثلاث مرات ثم قرأ عليه

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ

الآية ١ من سورة العلق

فخاف وذهب إلى خديجة يقول لها (دثريني دثريني) – يعني لحفيني – ورأت انه خائف فسألته فأخبرها عما رأى فقالت له اطمئن ما كان الله ليخزيك إنك لتصل الرحم وتعين على نوائب الدهر ونزلت عليه

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ

الآية ١ من سورة المدثر

وما أن علمت قريش بذلك وأظهر لهم الدعوة إلى الله حتى تكالبوا عليه وآذوه بجميع الأذى من شتم وضرب وتكذيب إلى غير ذلك مما هو مذكور في كتب السير، وأخيرا سجنوه هو وأهل بيته وعشيرته مؤمنهم وكافرهم من آل عبد

المطلب سجنوهم في الشعب – والشعب عبارة عن شاغ بين جبلين لا منفذ له من الجانب الآخر – ومنعوا أن يطعموا أو يسقوا أو يبايعوا أو يواصلوا، قطيعة ما عرف مثلها قطيعة واتحدت جميع قبائل قريش على ذلك وكتبوا في ذلك صحيفة على أن لا يخرج محمد وأهل بيته من الشعب حتى يموتوا، فبقوا هنالك ثلاث سنين لولا عناية الله لهم وحفظه إياهم لماتوا فعلا، وحادثة من الحوادث التي مرت عليهم تكفي للعبرة بما لاقوا وهي أن واحدا منهم قال (قمت في الليل لأبول فبلت على شيء تقرقع تحتي فأخذته فإذا هو جلد ناقة وغسلته وشويته وأكلته) فهل بعد هذا شيء؟

وبعد الثلاث السنوات هيأ الله أناسا ينابذون هذه المعاهدة فقاموا إلى الصحيفة فنقضوها ووجدوا أن الأرضة أكلتها إلا (باسمك اللهم) فكانت سببا للإفراج عنهم.

وتوجه صلى الله عليه وسلم إلى الطائف لعله يجد من يصغوا إلى دعوته فصادف ما صادفه من الاذى من ثقيف كما هو مذكور في كتب السير (وهذا المختصر إنما هو للحث على طلب العلم).

ولما رجع من الطائف بالهم الذي يحمله وتظافر عليه الأذى وموت من كان يتسلى به وهو زوجه البرة الطاهرة وعمه الحنون، وأراد ربه أن يذهب حزنه ويسليه فاسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى سدرة المنتهى وأكرمه الله الكريم بهذه المعجزة العظيمة حتى لا يظن أنه وكله إلى أحد من خلقه، فصدق من صدق وكذب من كذب وظهر الصديق في هذه القضية ظهورا لم يوفق إليه غيره حيث قال لما بلغه ما ادعاه صاحبه قال: (إن كان قال فقد صدق)، فسماه الله صديقا وكان له الشرف الأسمى في ذلك.

ولم يزل الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين المستضعفين يعانون من المشركين كل أذى حتى أذن الله سبحانه وتعالى لمن أراد أن يهاجر من المؤمنين المضطهدين إلى الحبشة تخفيفا عنهم، وسخر الله لهم في الحبشة النجاشي يرعاهم ويعطف عليهم وكان النجاشي دخل في الإسلام سرا ولما مات صلى عليه النبي في المدينة صلاة الغائب، ثم جرى التمهيد للهجرة العامة فكانت بيعة العقبة الأولى مع الأنصار في موسم الحج والثانية في العام الثاني أعقب ذلك هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بعدما هاجر كثير من أصحابه إلى المدينة محل

الأمن ومبعث الدعوة الطاهرة ووقع ما وقع من الحوادث بسبب هذه الهجرة وفاز الصديق بالصحبة وكل من هاجر سرا إلا عمر بن الخطاب – الفاروق – هاجر جهرا بعدما ودع الكعبة ونادى في قريش (إني مهاجر فمن أراد أن تثكله أمه فليلحقني) فما تجاسر عليه أحد (ولله در القوة إنها تفعل الكثير)

وبدأ في المدينة أول ما وصل ببناء مسجده عليه السلام فصارت سنة فيمن أراد أن يستقر في مكان أن يعرف موضع الصلاة، حتى في بيته ينبغي للمسلم أن يتخذ موضعا للصلاة وإذا أعمرت مدينة أول ما يخطط فيها للمسجد.

واتفق المسلمون أن يجعلوا التاريخ المعتبر من الهجرة وألغوا الكسر ما بين المحرم وربيع الأول وكانوا يؤرخون بالوقائع، يقولون لكذا سنة مضت من حادثة كذا فيقولون مثلا ولد النبي صلى الله عليه وسلم في عام الفيل ..... وهكذا.

ويؤسف للمسلمين اليوم أنهم تناسوا التاريخ الهجري وما يكاد أنهم يعرفونه واعتنقوا التاريخ الميلادي وأظن لأن معاشاتهم عليه (تخطيط) وفي المثل العماني (شهر ما لك فيه نفقة لا تعد أيامه) بقيت الحكومة السعودية محافظة على ذلك جزاها الله خيرا.

وفي السنة الثانية من الهجرة فرض شهر الصوم وفيها كانت غزوة بدر التي فرقت بين الحق والباطل وأعلت شأن الإسلام وقتل فيها من قتل من أكابر قريش العتاة.

وفي السنة الثالثة كانت غزوة أحد التي قتل فيها كثير من المسلمين لمخالفتهم أمر الرسول صلى الله عليه وسلم حسن ظن من الصحابة ثم كانت الهزيمة على المشركين وكانت مخالفتهم أن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الرماة أن يقبضوا في مكان خوف تسلل العدو وأن لا يبرحوا من مكانهم ولو رأوا الهزيمة على المشركين لكن تركوا الثغر وأسرعوا للغنيمة فكر فرسان المشركين على المسلمين من ذلك الثغر فكانت الهزيمة الثانية على المسلمين، وقتل من قتل منهم ثم منّ الله عليهم فتراجع المسلمون وانهزم المشركون كما حكى الله عنها في كتابه العزيز، فلنؤخذ عبرة من هذه الغزوة كيف هزم المشركون المسلمين بسبب مخالفة أمر واحد من أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف بالمسلمين اليوم وقد خالفوا أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم كلها فمتى تقلع عنهم الهزيمة. ولقد

صدق على المسلمين اليوم الحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها قالوا أومن قلة يومئذ نحن يا رسول الله قال بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله الهيبة من قلوب أعدائكم وليقذفن الوهن في قلوبكم قالوا وما الوهن يا رسول الله قال حب الدنيا وكراهية الموت).

ويقول الشيخ أبو مسلم رحمه الله :

وما صدعة الأسلام من سيف خصمه   بأعضم مما بين أهليه واقسع

وفي السنة السادسة توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العمرة أول مرة منذ خرج منها فصده المشركون عنها فرجع من الحديبية، وفيها وقعت بيعة الرضوان ونزلت سورة الفتح، وأول ما اعترفت قريش بالرسول صلى الله عليه وسلم ودولته فكان أول الفتح للمسلمين وكانت ارهاصا لفتح مكة وظهور المسلمين.

وفي السنة الثامنة فتحت مكة المكرمة وانتهى أمر المشركين وظهر ذلهم وخضوعهم للمسلمين وقالوا (أخ كريم وابن أخ كريم ملكت فاسجح) فقال (اذهبوا فأنتم الطلقاء) فأطلقهم وأعتقهم من بعد ما صاروا ملك يمينه وهكذا شأن الكرام.

وفي السنة التاسعة حج بالناس أبو بكر رضي الله عنه ونزلت سورة براءة فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب ليقرأها على الناس ويطرد المشركين من دخول الحرم، وانتهى الطواف بالبيت لهم فكانوا قد فرضوا على الناس أن يطوفوا عراة إلا من استأجر ثوبا منهم للطواف زاعمين أن لا يطوف الطائف بالبيت بثياب عصى الله فيها ونسوا أنهم هم بؤرة نجس وعصيان (ترى القذاة في عين أخيك ولا ترى الجذع في عينك).

وفي السنة العاشرة حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وعلم الناس كيف يحجون وقال (خذوا عني مناسككم) فكل ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحجة يجب أن يفعله المسلمون، وغيره مخالف للسنة.

وفي السنة الحادية عشرة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحق

بالرفيق الأعلى

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾

الآية ٣٠ من سورة الزمر

وقام بالأمر بعده الصديق خير قيام سنتين وأشهراً ثم قام بالأمر عمر بن الخطاب – الفاروق – عشر سنين، ثم قام عثمان بن عفان اثنى عشر سنة حمده المسلمون في أول خلافته ثم نقموا عليه أشياء فمات مقتولا. ثم قام علي بن أبي طالب خمس سنين وأشهرا ومات مقتولا ثم تحولت الخلافة إلى ملك وتداولها الأمويون ثم العباسيون ثم من جاء بعدهم فمن أراد الإطلاع فليراجع السير والتاريخ.

ولم تبق سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الأربعة الحقيقية بعد السنة الأربعين من الهجرة إلى أن أحياها المسلمون الملقبون بالاباضية في السنة الثامنة والعشرين بعد المائة من الهجرة فنصبوا في عمان الجلندي بن مسعود وفي المغرب أبا الخطاب المعافري وفي حضرموت واليمن طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي وهذه نعمة من الله على الإباضية إذ لم توجد هذه السنة إلا فيهم ولم يقم غيرهم بنصب إمام على غرار إمامة الخلفاء، من ذلك الوقت إلى آخر الزمان الذي نحن فيه، وسنذكر إن شاء الله قصة موته صلى الله عليه وسلم على طولها.

ذكر خصوصياته ﷺ

خصه ربه بالشرف فهو أشرف الخلق وخصه أنه خاتم الأنبياء وخصه بالقرآن المعجزة الخالدة وخصه بنبوع الماء من تحت أصابعه وخصه بليلة القدر وخصه بيوم الجمعة وخصه بالعشاء الآخرة وخصه بصلاة الجماعة وخصه بالأذان وخصه بالوتر وخصه بالسواك وخصه أن لا يقول شعرا ولا ينبغي له وخصه بأن يرى من خلقه كما يرى من أمامه وخصه بأن جعلت له الأرض مسجدا وترابها طهوراً وخصه بإباحة الغنيمة، وخصه بالوصال في الصوم وخصه بأن لاينكح أزواجه من بعده وأنهن أمهات المؤمنين وخصه بإسقاط المهر وإسقاط الولي إذ هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم وخصه بقبول المرأة إن وهبت نفسها له وخصه بتحريم نكاح الإماء وخصه بأن لا يظهر ما يخرج من بطنه بل تبتلعه الأرض، وخصه أن لا يرى أحد عورته إلا عمي وخصه بالرعب مسيرة

شهرين وخصه أنه أول من تنشق عنه الأرض وخصه بالشفاعة العظمى يوم القيامة وخصه بكثرة أمته على سائر الأمم وخصه بأن يشهد لجميع الأنبياء بأداء الرسالة مع أنه آخرهم وخصه بالحوض للصالحين من أمته وخصه بأنه أول من يدخل الجنة وخصه بأن أرسل إلى الكافة من الإنس والجن وخصه بأن حرست السماوات عند مبعثه وقال ابن عباس رضي الله عنهما (ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم ما أقسم بحياة أحد غيره وأقسم على هدايته فقال

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ

الآيات ١ – ٤ من سورة النجم

وأقسم على رسالته فقال

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ

الآيات ١ – ٣ من سورة يس

وأقسم على محبته فقال

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ

الآيات ١ – ٣ من سورة الضحى

وأقسم على شرف خلقه فقال

ن ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾

وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

الآيات ١–٤ من سورة القلم

وأقسم على براءته من العيوب فقال

فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ

الآيات ٣٨– ٤٣ من سورة الحاقة

وأقسم بأنه ينتقم ممن يؤذيه فقال

كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾

الآيات ١٥ – ١٦ من سورة العلق

وأقسم بحياته فقال

لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ

الآية ٧٢ من سورة الحجر

وأقسم على بعد أعدائه منه فقال

كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ

الآية ١٥ من سورة المطففين

وخصه بأن ميزه عن الخلق بقوله

لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا

الآية ٦٣ من سورة النور

وخصه بأن تخفض الأصوات عنده وأن الجهر بها يبطل الأعمال فقال

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ

الآية ٢ من سورة الحجرات

وخصه بذكر اسمه مقرونا باسمه تعالى في جميع النطق بالشهادتين فلا أذان ولا إقامة ولا خطبة ولا تشهد ولا ذكر لله إلا وذكر معه، وخصه بأن أمر ملائكته وجميع خلقه بالصلاة عليه فقال

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

الآية ٥٦ من سورة الاحزاب

وقرنه في كثير من القرآن كقوله

﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾

الآية ٧٤من سورة التوبة

﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾

الآية ٨٠ من سورة النساء

وحين عاتبه قدم العفو على العتاب فقال

﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾

الآية ٤٣ من سورة التوبة

وخصه بغفران ذنبه ما تقدم وما تأخر

﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢﴾

الآية ٢من سورة الفتح

وخصه بأنه لم يخاطبه باسمه بخلاف الأنبياء فكان يخاطبه بقوله (يا أيها النبي، يا أيها الرسول، يا أيها المزمل، يا أيها المدثر) وهكذا وخصه بأن فرض على المؤمنين الصلاة عليه وجعلها عبادة عليهم. والأحاديث في ذلك كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم «من ذكرت عنده فليصل علي وإن صلاتكم علي إجابة لدعائكم وزكاة لأعمالكم ومرضاة لربكم» والأمر للوجوب.

بيان جملة غزواته ﷺ

كانت ثماني عشرة غزوة وسراياه ثماني عشرة سريةوالفرق بين الغزوة والسرية أن الغزوة الحرب التي يكون القائد فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم والسرية التي يأمر فيها غيره من القواد، كبدر وأحد مثلا هذه تسمى غزوات وكمؤتة ونخلة هذه سرايا ومن أراد تفصيل الغزوات وكيف هي فليراجع السير، وإنما هذه الرسالة كحافز للمتعلمين على الزيادة. ولنا في ذلك رسالة أوسع سميناها الشذرات.

ذكر وفاته ﷺ
نقلا بتصرف من الإحياء

اعلم أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا وجميع أحواله عبرة للناظرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه صلى الله عليه وسلم إذ كان خليله وحبيبه وصفيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور منيته - لا - بل أرسل إليه الملائكة الكرام فجدوا بروحه الزكية الكريمة لينقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان إلى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في النزع كربه وظهر أنينه وترادف قلقه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه، واضطربت في الإنقباض والإنبساط شماله ويمينه حتى بكى لمصرعه من حضره، وانتحب لشدة حاله من شهد منظره، فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا، وهل راقب الملك فيه أهلا وعشيرا وهل سامحه إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا - هيهات - بل امتثل ما كان به مأمورا واتبع ما وجده في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو المقام المحمود والحوض المورود وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض، فالعجب أنا لا نعتبر به ولسنا على ثقة فيما نلقاه بل نحن أسراء الشهوات، وقرناء المعاصي والسيئات، فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين، فلقد كانوا مع ما وفقوا له من الخائفين ، واعتبر كيف كان كرب من غفر ذنبه عند فراق

الدنيا، وكيف اشتد أمره عند الإنقلاب إلى جنة المأوى. قال ابن مسعود رضي الله عنه : حين دخلنا على رسول الله في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فنظر إلينا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال : «مرحبا بكم حياكم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بتقوى الله وأوصي بكم الله إني لكم منه نذير مبين ألا تعلوا على الله في عباده وبلاده وقد دنا الأجل والمنقلب إلى الله وإلى سدرة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأوفى فاقرؤا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدي مني السلام ورحمة الله».

وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته: «من لأمتي بعدي» فأوحى الله تعالى إلى جبريل «أن بشر حبيبي أني لا أخذله في أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بعثوا وسيدهم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته» فقال « الآن قرت عيني» وقالت عائشة رضي الله عنها أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغسله بسبع قرب من سبعة آبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد ودعا لهم وأوصى بالأنصار فقال « أما بعد يا معشر المهاجرين فإنكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على التي هي عليها اليوم وأن الأنصار عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم - يعني محسنهم - وتجاوزوا عن مسيئهم» ثم قال «إن عبدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله» فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر - « سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فإني لا أعلم أمرءا أفضل عندي في الصحبة من أبي بكر» قالت عائشة فقبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت.

دخل علي أخي عبد الرحمن وبيده سواك فجعل ينظر إليه فعرفت أنه يعجبه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه - أن نعم - فناولته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقالت أليّنه لك فأومأ برأسه - أن نعم - فلينته وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يده يقول « الرفيق الأعلى » فقلت إذن والله لا يختارنا.

ولما رأت الأنصار أن رسول ﷺ يزداد ثقلا أطافوا بالمسجد فأخبر رسول الله

ﷺ فخرج متوكأ على الفضل وعلي والعباس أمامـه ورسول الله معصوب الرأس يخط برجليـه حتى جلس على أسفل مرقاة في المنبر وثـاب الناس إليه فحمـد الله وأثنى عليه. وقـال:« أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون على الموت كـأنه استنكار منكم للموت وما تنكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتنعى إليكم أنفسكم هل خلـد نبي قبلي فيمن بعث فـأخلد فيكم ألا إني لاحـق بربـي وإنكم لاحقون بـه وإنـي أوصيكم بـالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي المهاجـرين فيما بينهم فإن الله عز وجل قال

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سورة العصر

وان الأمور تجري بإذن الله فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلـة أحد ومن غـالب الله غلبـه ومن خادع اللـه خدعـه – فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم – وأوصيكم بالأنصار خيرا فإنهم الـذيـن تبـوءوا الـدار والإيمان من قبلكـم – أن تحسنـوا إليهم، ألم يشاطروكم الثمار، ألم يوسعوا عليكم في الـديار، ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصـة ألا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجـاوز عن مسيئهم ألا ولا تستأثـروا عليهم ألا وإنـي فرط لكـم وأنتم لاحقون بي ألا وإن موعدكم الحوض ألا ومن أحب أن يرد علي الحوض غدا فليكفف لسانه ويده إلا مما ينبغي» فقال العباس يا نبي اللـه أوص بقريش فقال «إنما أوصي بهذا قريشا والناس تبـع لقريش برهم لبرهم وفاجـرهم لفاجـرهم فاستـوصوا آل قـريش بالنـاس خيرا يا أيها النـاس إن الذنوب تغير النعـم وتبدل القسم فإذا بـر الناس تبرهم أئمتهم وإذا فجـر الناس عقـوهم «وكذلك نـولي بعض الظـالمين بعضا بما كانوا يكسبون»

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رضي الله عنه سل يا أبا بكر فقال يا رسول الله دنا الأجل فقال دنا الأجل وتدلى فقال : ليهنئك يا نبي الله ما عند الله فليت شعري عن منقلبنا فقال « إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والفردوس الأعلى والكأس الأوفى والرفيق الأعلى

والحظ والعيش المهنا فقال يا نبي الله من يغسلك قال رجل من أهل بيتي الأدنى فالأدنى قال ففيم نكفنك قال في ثيابي هذه وفي حلة يمانية وفي بياض مصره فقال كيف الصلاة عليك منا وبكينا وبكى ثم قال «مهلا غفر الله لكم وجزاكم عن نبيكم خيرا إذا غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريري وفي بيتي هذا على شفيرى قبري ثم أخرجوا عني ساعة فإن أول من يصلي علي الله عز وجل ثم يأذن للملائكة في الصلاة علي فأول من يدخل علي من خلق الله ويصلي علي جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت مع جنود كثيرة ثم الملائكة بأجمعها عليهم السلام ثم أنتم فادخلوا علي أفواجا فصلوا علي أفواجا زمرة زمرة وسلموا تسليما ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنة وليبدأ منكم الإمام وأهل بيتي الأدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان قال فمن يدخلك في قبرك قال «زمر من أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثيرة لا ترونهم وهم يرونكم قوموا فأدوا عني إلى من بعدي»

وقال عبدالله بن زمعة جاء بلال في أول شهر ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مروا أبا بكر يصلي بالناس» فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عمر في رجال ليس فيهم أبو بكر فقلت قم يا عمر فصل بالناس فقام عمر فلما كبر - وكان رجلا صيتا - سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بالتكبير فقال «أين أبو بكر يأبى الله ذلك والمسلمون» قالها ثلاث مرات «مروا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق القلب إذا قام في مقامك غلبه البكاء فقال «إنكن صويحبات يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس» قال فصلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلاها عمر - فكان عمر يقول لعبدالله بن زمعة بعد ذلك ويحك ما صنعت بي والله لو ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما فعلت. فيقول عبد الله إني لم أجد أحدا أولى بذلك منك. قالت عائشة وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر إلا رغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والهلكة إلا من سلم الله وخشيت أيضا أن يكون الناس لا يحبون رجلا صلى في مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا إلا أن يشاء الله فيحسدونه ويبغون عليه ويتشاءمون به فإذا الأمر أمر الله والقضاء قضاؤه وعصمه الله من كل ما تخوفت عليه من أمر الدنيا والدين. وقالت عائشة: كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا فيه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم

وحوائجهم مستبشرين وأخلوا بالنســاء فبينما نحن كذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجن عني هذا الملك يستأذن علي فخرج من في البيت غيري ورأسه في حجري فجلس وتنحيت في جانب البيت فناجى الملك طويلا ثم إنه دعاني فأعاد رأسه في حجري وقال للنسوة ادخلن فقلت ما هذا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بإذن فإن لم تأذن ارجع وإن أذنت لي دخلت وأمرني أن لا أقبضك حتى تأمرني فماذا أمرك فقلت أكفف عني حتى يأتيني جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل فقالت عائشة فاستقبلنا بأمر لم يكن عندنا له جواب ولا برأي فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخة ما نحير إليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فسلم فعرفت حسه وخرج أهل البيت ودخل فقال إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالذي تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامةوشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمتك قال أجدني وجعا فقال أبشر فإن الله تعالى أراد أن يبلغك ما وعدك فقال « ياجبريل إن ملك الموت استأذن علي» وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يعلمك الذي يريد لك قال «فلا تبرح إذن حتى يجيء» وأذن للنساء فقال«يا فاطمة أدن مني» فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال «أدني مني برأسك» فأكبت عليه فناجاها فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها عجبا فسألتها بعد ذلك فقالت أخبرني وقال «إني ميت اليوم» فبكت ثم قال «إني دعوت الله أن يلحقك بي في أول أهلي وأن يجعلك معي» فضحكت وأدنت ابنيها منه فشمهما فقالت وجاء ملك الموت واستأذن فأذن له فقال الملك ما تأمرنا يا محمد قال «الحقني بربي الآن» قال بلى من يومك هذا أما أن ربك إليك لمشتاق ولم يتردد عن أحد تردده عنك ولم ينهني عن الدخول على أحد إلا بإذن غيرك ولكن ساعتك أمامك وخرج [قلت (قوله) «وما تردد عن أحد تردده عنك هذا الكلام ليس على ظاهره فالله لا يبدل القول لديه ولكن جرى ذلك مجرى الشفقة وزيادة في شرفه صلى الله عليه وسلم .أ.هـ]

قالت فجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما أنزل فيه إلى

الأرض أبدا طوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك وما لي حاجة فيها إلا حضورك ثم لزوم موقفي، لا والذي بعث محمدا بالحق ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا واشفاقنا قالت فقمت إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أضع برأسه بين ثديي وأمسكت بصدره وجعل يغمى عليه حتى يُغلب وجبهته ترشح رشحا ما رأيته في إنسان قط فجعلت أسلت ذلك العرق وما وجدت رائحة شيء أطيب منه وكنت أقول له - إذا أفاق - بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتك من الرشح فقال : «يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شدقية كنفس الحمار» فعند ذلك ارتعت وبعثنا إلى أهلينا فكان أول رجل جاءنا أخي فبعثناه إلى أبي - وكان أبو بكر لما رأى الخفة في رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذنه أن يذهب إلى بيته بالسنح خارج المدينة وقال يا رسول الله أراك أخف وهذه الليلة ليلة فلانة فاذهب إليها فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم فمات وأبو بكر غير حاضر فذهب اليه الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهملان وغصصه ترتفع كقصع الجرة - وهو في ذلك جلد الفعل والمقال - فأكب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يبكي ويقول بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت حيا وميتا انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء والنبوة فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصصت حتى صرت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدنا لحزنك بالنفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد وادكار محالفان لا يبرحان، اللهم فبلغه عنا اذكرنا يا محمد صلى الله عليك عند ربك ولتكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يقم أحد بما خلفت من الوحشة اللهم بلغ نبيك عنا واحفظه فينا.

قالت عائشة وجعل إذا أغمي عليه قال : «بل الرفيق الأعلى» كأنما تعاد الخيرة إليه فاذا أطاق الكلام قال : «الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متماسكين ما صليتم جميعا الصلاة الصلاة» فكان يوصي بها حتى مات قالت مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانتصاف النهار يوم الاثنين ولما مات اقتحم الناس حين علت الرنة وسجي رسول الله واختلف في موته فبعضهم كذب وبعضهم أخرس وخلط آخرون فلاثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم.

عقولهم وأقعد آخرون فكأن عمر بن الخطـاب فيمن كذب بموته وعلي فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس وخرج عمر على الناس وقـال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت وليرجعنه الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم والله لا أسمع أحدا يذكـر أن رسول الله مات إلا علوته بسيفـي هذا ولم يكن أحد من المسلمين مثل أبي بكر والعباس فإن اللـه عز وجل أيدهما بالتوفيق والسـداد ولما خرج أبو بكر إلى الناس بعدما تيقن موت الرسول وقال : «أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد رب محمد فإنه حي لا يموت» قال الله تعالى

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ

الآية ١٤٤ من سورة آل عمران

فكأن الناس لم يسمعوا هذه الآية إلا يومئذ..

وعج أهـل بيت رسـول اللـه وكل من حضر بـالبكـاء فما سكـن عجيجهم إلا بتسليم رجل على البـاب صيت جلـد قال السـلام عليكم يا أهل البيـت (كل نفس ذائقة الموت) إن في الله خلفا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة، فالله تعالى فـارجوا وبه فثقوا، فاستمعوا له وأنكـروه وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء فقد صوته فاطلع أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فناداهم منادٍ آخر لا يعرفون صوته «ياأهل البيت اذكروا الله تعالى واحمدوه على كل حال تكونوا من المخلصين إن في الله عـزاء من كل مصيبة وعوضـا مـن كل رغيبة فالله فـاطيعوا وبأمره فـاعملوا» فقال أبو بكر هـذا الخضر واليسع عليهما السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم.

خطبة أبي بكر في هذا الموقف العصيب

حمد الله وأثنى عليه على كل حال وقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد، أيها الناس إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ما عنده على ما عندكم وقبضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أنكر

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ

الآية ١٣٥من سورة النساء

ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتننكم عن دينكم بالخير تعجزوه ولا تستنظرون فيلحق بكم ويفتننكم.

ولما فرغ من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا كذا وكذا ويوم كذا كذا وكذا وقال تعالى في كتابه

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ

الآية ٣٠من سورة الزمر

فقال والله لكاني لم أسمع بها في كتاب الله قبل الآن لما أنزل بنا أشهد أن الكتاب كما أنزل وأن الحديث كما حدث وأن الله حي لا يموت

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ

الآية ١٥٦من سورة البقرة

وصلوات الله على رسوله وعند الله نحتسب رسوله

ثم جلس أبو بكر، قالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لغسله قالوا والله لا ندري كيف نغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنجرده عن ثيابه كما نصنع بموتانا، أنغسله في ثيابه، قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى ما بقي منهم رجل إلا واضع لحيته على صدره نائما ثم قال قائل - لا يدري من هو - غسلوا

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثيابه فانتبهوا ففعلوا ذلك حتى إذا فرغوا من غسله كُفن وقال علي أردنا خلع قميصه فنودينا لا تخلعوا عن رسول الله ثيابه فاقررناه فغسلناه في قميصه كما نغسل موتانا مستلقيا ما نشاء أن يقلب لنا منه عضو له ويبالغ فيه إلا قلب لنا حتى نفرغ منه وإن معنا لحفيفا في البيت كالريح الرخاء ويصوت بنا أرفقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنكم ستكفون.

وفرش لحده ﷺ بمفرشه وقطيفته وفرشت ثيابه عليها التي كان يلبسها ثم وضع عليها في أكفانه، فلم يترك بعد وفاته ما لا ولا بنى في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قصبة على قصبة ففي وفاته عبرة تامة وللمسلمين به أسوة حسنة.

بيان أخلاقه ﷺ

كان أسخى الناس، لا يبيت عنده دينار ولا درهم وإن فضل شيء ولم يجد من يعطيه وفاجاه الليل لم ياو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير لا يسأل شيئا إلا أعطاه، (وكان) أعف الناس، لم تمس يده إمرأة لا يملك رقها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه، (وكان) يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن، (وكان) أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد، (وكان) يقبل الهدية وإن كانت جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافيء عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة، (وكان) يغضب لربه ولا يغضب لنفسه وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر أو على أصحابه. (وكان) يعصب الحجر على بطنه من الجوع ويأكل ماحضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع عن مطعم حلال ولا يأكل متكأ ولا على خوان، (وكان) لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متتالية حتى لقي الله إيثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا، (وكان) يجيب الوليمة ويعود المرضى ويشهد الجنائز ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس، (وكان) أشد الناس تواضعا وأسكنهم في غير كبر وأبلغهم في غير تطويل وأحسنهم بشرا لا يهوله شيء من أمور الدنيا ويلبس ما وجد، فمرة شملة ومرة برد حبرة يمانيا ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة يلبسة في خنصره الأيمن والأيسر، (وكان)

يردف خلفه عبده أو غيره ويركب ما أمكنه مرة فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة، (وكان) يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة ويجالس الفقراء ويواكل المساكين، (وكان) يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبر لهم، (وكان) يصل ذوي الرحم من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفوا على أحد، يقبل معذرة المعتذر إليه، يمزح ولا يقول إلا حقا، يضحك من غير قهقهة، يرى اللعب المباح فلا ينكره، يسابق أهله، وترفع الأصوات إليه فيصبر، (وكان) له لقاح وغنم يتقوت هو وأهله من ألبانها، (وكان) له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس، ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى أو فيما لا بد له منه من صلاح نفسه. نشأ ﷺ في بلاد الجهل والصحاري في فقره وفي رعاية الغنم، يتيما لا أب له ولا أم، فعلمه ربه جميع محاسن الأخلاق والطرق الحميدة وأخبار الأولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز في الآخرة والغبطة والخلاص في الدنيا وفقنا الله لطاعته في أمره والتأسي به في فعله آمين يارب العالمين.

كلامه وضحكه ﷺ

كان ﷺ أفصح الناس منطقا وأحلاهم كلاما، يقول «أنا أفصح العرب وإن أهل الجنة يتكلمون فيها بلغة محمد عليه السلام وكان نزر الكلام سمح المقالة إذا نطق ليس بمهذار وكان كلامه كخرزات نظمن، قالت عائشة رضي الله عنها كان يسرد القرآن ليس كسرد كم هذا قالوا وكان أوجز الناس كلاما وبذلك جاءه جبريل وكان مع الإيجاز يجمع كل ما أراد وكان يتكلم بجوامع الكلم لا فضول ولا تقصير كأنه يتبع بعضه بعضا بين كلامه توقف يحفظه سامعه ويعيه وكان جهور الصوت أحسن الناس نغمة وكان طويل السكوت لا يتكم في غير حاجة ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق ويعرض عمن يتكلم بغير جميل ويكنى عما اضطره الكلام إليه ويقول «لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه نزل على وجوه» وكان أكثر الناس تبسما في وجوه أصحابه. وجاء يوما أعرابي وهو عليه السلام متغير اللون ينكره أصحابه فأراد أن يسأله فقالوا لا تفعل يا أعرابي فإنا ننكر لونه فقال دعوني فوالذي بعثه بالحق نبيا لا أدعه حتى يبتسم فقال يارسول الله بلغنا أن المسيح الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعا أفترى لي بأبي

أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففا وتنزها حتى أهلك هزالا أم أضرب في ثريده حتى اذا تضلعت شبعا آمنت بالله وكفرت به قالوا فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال «لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين (وكان) من أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يذكر الساعة او يخطبة بخطبة عظيمة وكان إذا نزل به الأمر تبرأ من الحول والقوة وفوض الأمر لله واستنزل الهدى فيقول «اللهم أرني الحق حقا فاتبعه وأرني الباطل باطلا وارزقني أجتنابه وأعذني من أن يشتبه علي فاتبع هواي بغير هدى منك واجعل هواي تبعا لطاعتك وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

آدابه ﷺ في الأكل

كان صلى الله عليه وسلم يأكل ما وجد، وكان أحب الطعام إليه ما كان على ضفف - والضفف ما كثرت عليه الأيدي - وكان إذا وضعت المائدة قال «بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة»، وكان كثيرا إذا جلس يأكل يجمع بين ركبتيه وبين قدميه كما يجلس المصلي ويقول «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وكان يأكل مما يليه وجاءه عثمان بفالوذج فأكل منه وقال «إن هذا الطعام طيب» وكان أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب وأكل يوما الرطب بيمينه يحفظ النوى في يساره فمرت شاة فأشار إليها بالنوى فجعلت تأكل من كفه اليسرى وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة و كان ربما أكل العنب خرطا يرى زؤانه في لحيته - الزؤان ما يسقط من الفتات - وكان يحب القرع ويقول إنها شجرة أخي يونس عليه السلام وكان يقول «يا عائشة إذا طبختم قدرا فاكثروا فيها من الدبأ فإنه يشد قلب الحزين وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ومن الصباغ الخل ومن التمر العجوة، وكان يكره الكليتين لمكانهما من البول، وكان لا يأكل الثوم والبصل والكراث وما ذم طعاما قط لكن إن أعجبه أكله وإن كرهه تركه وإن عافه لم يبغضه إلى غيره. وكان يلعق أصابعه من الطعام حتى تحمر يلعقها واحدة واحدة

ويقول «إنــه لا يدري في أي الطعــام البركة» وإذا فرغ قــال «الحمد للــه اللهم لك الحمــد أطعمت فاشبعت وسقيت فــارويت لك الحمــد غير مكفور ولا مــودع ولا مستغنى عنــه» وكان اذا أكل الخبــز واللحم خاصــة غسل يديــه غسلا جيــدا ثم يمسح بفضــل الماء على وجهــه وكان يشرب في ثــلاث دفعــات ولــه فيهــا ثــلاث تسميات وفي أواخرهــا ثلاث تحميدات وكان يمص الماء مصا ولا يعبــه عبا وكان لا يتنفس بل ينحرف عنه، وكان في بيته أشــد حياء من العاتق لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه عليهم إن أطعمــوه أكل وما أعطوه قبل وما سقــوه شرب وكان ربما قام فاخذ ما ياكل بنفسه أو يشرب.

بيان آدابه ﷺ في اللباس

كان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد وكان أكثر لباسه البياض، ويقول «البسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتــاكم»، وكانت ثيابه كلها مشمرة فوق الكعبين ويكون الإزار إلى نصف الساق وكان قميصه مشدود الازرار وكــان له ثوبان لجمعتــه خاصة سوى ثيابه في غير الجمعة وقال أنس وربما رأيته يصلي بنا الظهــر في شملة عــاقدا بين طرفيــه، وكان يصلي في الثــوب الذي جامــع فيه، (قلت) فليتــأس به من يحرم ذلــك ويقول إن الصــلاة لا تصــح في ثوب جــامع فيه الرجل أهلــه ويبالغ البعض مــن الناس فيقول إن تلك الثيــاب نجسة فــلا يمسـها حتى بيده ولا يمس الثياب التي يريد أن يلبسـها بعد الغسل إذا كان جنبا والجهل آفــة ومن زاد في الشريعــة مــا ليس منهــا كمن نقص مــا ورد فيهــا، نسأل اللــه السلامة. اهــ

وكان ﷺ يتختم وربما خرج وفي خاتمه الخيط المربــوط يتذكر به الشيء وكان يلبس القلانس تحت العمائم وكان له عمامــة تسمى السحاب وهبها لعلي بن أبي طالب فربما طلع فيها فيقول ﷺ «أتاكم علي في السحــاب» (قلت) لعل هذا الحديث اوهم القائلين من الشيعــة أن عليا في السحاب فإذا سمعوا الــرعد سلموا على علي .اهــ

وكان إذا لبس ثوبا لبسه من قبل ميامنه ويقول «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في الناس» وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره وكان إذا لبس جديدا أعطى خلق ثيابه مسكينا ثم يقول «ما من مسلم يكسو مسلما من سمل ثيابه لا يكسوه إلا الله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حيا وميتا» وكان من خلقه تسمية دوابه وسلاحه ومتاعه وكان اسم رايته (العقاب) واسم سيفه الذي يشهد به الحروب (ذو الفقار) وله سيف يقال له (المخذم) وسيف آخر يقال له (الرسوب) وآخر يقال له (القضيب) قبضته محلاة بالفضة وكان اسم قوسه (الكتوم) واسم جعبته (الكافور) واسم ناقته (القصواء) و (العضباء) واسم بغلته (الدلدل) واسم حماره (يعفور) واسم شاته التي يشرب منها اللبن (عينه).

بيان عفوه ﷺ

كان ﷺ أحلم الناس وأرغبهم في العفو مع المقدرة قال له أعرابي يامحمد إن الله أمرك أن تعدل فما أراك تعدل قال «ويحك فمن يعدل بعدي» فلما ولى قال «ردوه علي رويدا» وكان ﷺ في حرب فرأوا من المسلمين غرة فجاء رجل حتى قام على رسول الله بالسيف فقال من يمنعك مني فقال الله قال فسقط السيف من يده فأخذه رسول الله وقال للرجل «من يمنعك مني» فقال كن خير آخذ قال «قل أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فقال - لا - غير أني لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك فخلى سبيله فجاء إلى أصحابه فقال لهم جئتكم من عند خير الناس.

وله أخبار كثيرة من هذا النوع وكان يقول «لا يبلغني أحد منكم عن أحد أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر» وقال علي بن أبي طالب بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال «انطلقوا إلى روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها» فانطلقنا فقلنا للمرأة أخرجي الكتاب أو لتنز عن الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به النبي ﷺ فإذا فيه من حاطب بن

أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم أمرا من أمر الرسول ما كان الرسول يريد أن يطلع عليه أحد قلت هو خبر غزو مكة إذ قال الرسول «اللهم خذ عنا العيون حتى نبغت قريشا» أو ما في معنى الحديث فقال ﷺ ما حملك يا حاطب على ما فعلت قال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قومي وكان من معك من المهاجرين له قرابات بمكة يحمون أهلهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب منهم أن أتخذ فيه يدا يحمون بها قرابتي ولم أفعل ذلك كفرا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ولا ارتدادا عن ديني فقال رسول الله ﷺ إنه صدقكم فقال عمر رضي الله عنه دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال إنه شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال «اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم»

بيان سخائه ﷺ

كان أجود الناس وأسخاهم وكان في شهر رمضان كالريح المرسلة لا يمسك شيئا ويقول ناعته كان أجود الناس كفا وأوسع الناس صدرا وأصدقهم لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشيرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله وما سئل عن شيء قط على الإسلام إلا أعطاه وإن رجلا أتاه فسأله فأعطاه غنما سدت ما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفاقة وما سئل عن شيء قط فقال لا، وحمل إليه تسعون ألف درهم فوضعها على حصير ثم قام إليها فقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها ولما قفل من حنين جاءت الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال «اعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعم لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا».

وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس قال علي كنا إذا حمي البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب لقربه من العدو ولما غشيه المشركون نزل عن بغلته فجعل يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فما رؤى يومئذ أحد أشد منه، وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس تواضعا في علو منصبه قال ابن عامر : رأيته يرمي جمرة العقبة على ناقة شهباء لا ضرب ولا طرد ولا إليك إليك، وكان يركب الحمار موكفا عليه بقطيفة وكان مع ذلك يستردف وأتي صلى الله عليه وسلم برجل فأرعد من هيبته فقال له : «هون عليك فلست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد» وكان يجلس بين أصحابه مختلطا بهم كأنه أحدهم فيأتى الغريب لا يدري أيهم هو حتى يسأل عنه.

قلت : اقتدى به أئمة الإباضية رضوان الله عليهم فكان الواحد منهم لا يعرفه الغريب إذا قدم إليه حتى يخبر عنه فانظر قصة في اللؤلو الرطب عن الإمام عزان بن قيس حين غلط القادم إليه فسلم على غيره لشدة اختلاطه بأصحابه .اهـ .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يدعوه أحد من أصحابه وغيرهم إلا قال (لبيك) وكان يبتسم مع أصحابه إذا تحدثوا وضحكوا ولا يزجرهم إلا عن حرام.

هيئة رسول الله ﷺ

لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد وكان ينسب إلى الربعة إذا مشى وحده ومع ذلك إذا مشى مع أحد يكون أطول ممن يسايره وربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما فإذا فارقاه نسبا إلى الطول ويقول صلى الله عليه وسلم «جعل الخير كله في الربعة» وأهل عمان يقولون «فلان مربوع القامة» إذا كان ليس بطويل ولا قصير .ا.هـ

وكان لونه أزهر اللون ولم يكن بالآدم ولا بالشديد البياض ونعته بعضهم بأنه مشرب بحمرة وكان عرقه صلى الله عليه وسلم في وجهه كاللؤلؤ أطيب من المسك الأزفر.

وجمع بين نعته بمشرب بحمرة وبين نعته أنه أبيض إنما كان مباشرا للشمس يكون مشربا بحمرة وما يكون مستترا يكون أبيض، وأما شعره صلى الله عليه وسلم فقد كان رجل الشعر حسنه ليس بالسبط ولا الجعد القطط – (السبط) المسترسل و (الجعد) المتعقد – وكان اذا مشطه بمشط يأتي كأنه حبات رمل وكان شعره يضرب منكبيه وكان إلى شحمة أذنية وكان شيبه في رأسه ولحيته لا

يتجاوز سبع عشرة ما زاد ذلك.

وكان يعرف رضاه وغضبه في وجهه لصفاء لونه وشبهه ناعته بالقمر ليلة البدر ووصفه صاحبه أبو بكر فقال :

أمين مصطفى للخير يدعو   كضوء البدر زايله الظلام

وكان صلى الله عليه وسلم واسع الجبهة أزج الحاجبين سابغهما (أزج) دقيق الحاجبين (سابغهما) كاملهما. وكان أبلج ما بين الحاجبين كأن ما بينهما كالفضة المخلصة وكانت عيناه نجلاوين (نجلاوين) واسعتين : أدعج العينين ممزجة بحمرة أهدب الأشفار أقنى العرنين (العرنين) أعلى الأنف (وأقنى) مستو. مفلج الأسنان فإذا افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق إذا تلألأ وكان من أحسن خلق الله شفتين وألطفهم ختم فم سهل الخدين صلبهما. كث اللحية يعفها ويأخذ من شاربه. وما ظهر من عنقه للشمس والرياح وكأنه ابريق فضة مشرب ذهبا يتلألأ في بياض الفضة وفي حمرة الذهب عريض الصدر لا يعدو لحم بدنه بعضا كالمرآة في استوائها وكالقمر في بياضه، موصول مابين لبته وسرته بشعر منقاد كالقضيب لم يكن في صدره ولا في بطنه شعر غيره وكانت له عكن ثلاث يغطي الإزار منها واحدة وتظهر اثنتان (عكن) عبارة عن الطي من السمن: عظيم المنكبين أشعرهما ضخم الكراديس (الكراديس) رؤوس العظام، واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو مما يلي منكبه الأيمن فيه شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متوالية كأنها عرف فرس عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين سائل الأطراف كأن أصابعه قضبان فضة، كفه ألين من الخز معطار مس طيبا أو لم يمس يصافحه المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها وكان عبل ما تحت الإزار الفخذين والساق معتدل الخلق في السمن بدن في آخر زمانه وكان لحمه متماسكا وكان يتقلع في مشيه يخطو تكفيا ويمشي الهوينا بغير تبختر (الهوينى) تقارب الخطو وكان يقول «إن لي عند ربي عشرة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي وأنا العاقب وأنا الحاشر وأنا رسول الرحمة ورسول التوبة ورسول الملاحم والمقفي وأنا قثم (القثم) الكامل الجامع. صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ونسأل الله أن يرزقنا اتباعه ولا نحيد عن طريقه.

نسبه ﷺ : هو محمد بن عبدالله بن عبد المطلب- شيبة الحمد- بن هاشم- عمرو- بن عبد مناف- المغيرة بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركه- عامر- بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وإلى هنا حرر نسبه الشريف لقوله عليه الصلاة والسلام إنه لما بلغ عدنان قال كذب النسابون مرتين أو ثلاثا وما بعد عدنان من الأسماء مضطرب فيه.

مات أبوه وهو في بطن أمه.وماتت أمه آمنة بنت وهب وعمره ﷺ ست سنوات. مات جده عبدالمطلب ورسول الله ﷺ ابن ثماني سنوات. كفله بعده ابنه أبو طالب عم رسول الله. تزوج بخديجة رضي الله عنها وهو ابن خمس وعشرين سنة، تجتمع مع رسول الله في النسب في قصي.

أصلح بين قريش في رفع الحجر الأسود وهو ابن خمس وثلاثين سنة.

بعث رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة. أخفى رسول الله ﷺ منازل عليه إلى ثلاث سنين ثم أنزل الله عليه

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾

الآية ٩٤ من سورة الحجر

أسرى برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء قبل الهجرة بعام وفرضت الصلاة. مات عمه أبو طالب وماتت زوجه خديجة في عام واحد قبل الهجرة بثلاثة أعوام وسمي عام الحزن.

هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد ثلاث عشر سنة من بعثته.

تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة على رأس ثمانية عشر شهرا من الهجرة.

الجزء الثاني عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

الآيات ١٠ – ١٢من سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

- تعريف الجهاد :

الجهاد لغة الجهد وتكلف المشقة، وهو مصدر جاهد ومنه قوله تعالى

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾ الآية ٧٨ من سورة الحج

والجهاد شرعا القتال والحماية عن الدين والعرض والمال، وهو مأخوذ من معناه اللغوي لما فيه من كراهية النفس، قال الله تعالى

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ﴾

الآية ٢١٦ من سورة البقرة

- أنواع الجهاد :

الجهاد نوعان : فرض عين وفرض كفاية، أما فرض العين خاص وعام، فالخاص جهاد النفس لذاتها لحملها على الطاعة ومكارم الأخلاق وتعلم أمور دينها وتعليمها الغيرأو صدها عن المعصية والشبهات المؤدية إلى هلاكها لأن النفوس مجبولة لحب الملذات العاجلة وظلمها نفسها بدون حسبان وظلم غيرها، إذا لم يكن هنالك وازع وقد قيل فيها :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

لكنها طوع المجاهد يوجهها كما شاء لما شاء لمن وفقه المولى، قال الله تعالى

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾

الآية ٦٩من سورة العنكبوت

فمن أراد لها الخير سلك سبل الصلاح وشدها لأخذ العبر من حاضرها لمستقبلها خوف الوقوع في الخطأ الواقع فيه غيره وتعهدها بالذكر والموعظة، وما أحسن ما قيل :

من لم يعظه الدهر لم ينفعه ما راح به الواعظ يوما أو أتى

من لم تفده عبرا أيامه كان العمى أولى به من الهدى

من قاس ما لم يره بما يرى أراه ما يدنو إليه ما نأى

وتركها سائمة في هواها قد تحسن لذة، وهو لا يدري أن السم في الدسم، فعليه تعويدها منذ نعومة الأظفار على حب المكارم الدينية والدنيوية ليكون طور شبابها كطفل رضيع بالغ سن الفطام، إن فطم عن الرضاع سهل عليه واعتاد، وهكذا النفوس إن تمرنت بطبعها، وقد قيل في ذلك شعر رائع البلاغة :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على حب الرضاع وإن تفطمه ينفطم

وأهم واجبات جهاد النفس طلب العلم اللازم لها وما عليها كمعرفة حقوق الباريء الواجبة والجائزة والمستحيلة، وأنه فرد صمد متفرد بالوحدانية لا شريك ولاند ولا ضد ولا شبيه له،ليس كمثله شيء، لا تدركه الابصار، وأنه على كل شيء قدير. ومن الواجبات عليها معرفة التكاليف المتعبدة فرضا ونفلا واجتناب ما حرم الله عليها من المعاصي الظاهرة كالكذب وشرب المسكرات، وأكل أموال الغير إلا بحق، والباطنة كالرياء والعجب والكبرياء وما إلى ذلك وتعويدها الصدق والأمانة وحفظ اللسان من الغيبة والنميمة وتركها ما لا يعنيها وإقراء الضيف فبذلك تنال سعادة الدارين، والعام يلزم كل مكلف بالنفس والمال بدليل قوله تعالى

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

الآية ٤١ من سورة التوبة

وهو صد العدو الهاجم على الحوزة أو الوطن أو الجماعة أو المال، فهذا لا يسع لأحد أن يتأخر عن قتاله، ولو عين الحاكم من يصده إن لم يقدروا عليه، وكان للدولة جيش معد والشعب عاجز أي لا قدرة له لمواجهة ذلك العدو الغاشم، فإن جميع أفراد الشعب ملزمون بالإشتراك مع الجيش كي يتمكنوا من صده ودحض طموحاته.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركنان اساسيان يجبان على كل مكلف حسب مراتبهما، أعلاها الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق وهي لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

والنوع الثاني وهو فرض الكفاية إن قامت به فئة من أفراد الشعب سقط عن الباقين وهو الرباط على الثغور لصد العدو المتوقع غدره، ولو كان القائم به فرد، وإن تخاذل الجميع فالكل هالك والعياذ بالله من الخذلان.

– **مشروعية الجهاد وآدابه وفضائله :**

فرض الجهاد في السنة الثانية من الهجرة بعد استقرار الإسلام والمسلمين في مأمنهم وهي المدينة المنورة بدليل قوله تعالى

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ

الآية ١٥ من سورة الحجرات

وقوله يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ

الآية ٩ من سورة التحريم

وهو أمر عام ينطبق على الأمة المحمدية جمعاء حيثما حلت وأينما وجدت وقوله الحق

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا

الآية ٤٠ من سورة الحج

وقوله

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا

الآيتان ٧٤ – ٧٥ من سورة النساء

وقوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١﴾

الآيتان ١٠، ١١ من سورة الصف

وقوله

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١﴾

الآية ١١١ من سورة التوبة

وقوله

﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ﴾

الآية ٢٤ من سورة التوبة

، فترى ان الله سبحانه وتعالى قدم حب الجهاد على حب الآباء والأبناء والأموال وكل ما في الدنيا، وتوعد تاركه وهدد بقوله (فتربصوا) وسمى تاركه فاسقا لقوله في آخر الآية ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

الآيات ١٠٨من سورة المائدة

ففي هذه الآية ما لا يخفى من وجوب الجهاد وإيثاره على كل شيء، وإذا ذكر الله الجهاد في القرآن أثنى على الصابرين عليه بالثبات والصبر

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا
وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

الآية ٢٠٠من سورة ال عمران

والسيرة النبوية أعظم شاهد من أول أمره صلى الله عليه وسلم إلى أن قبضه الله لم يفتر عن الجهاد منذ أن أمره ربه بالجهاد، وقد سلك طريقه الواضح الصحابة الكرام رضوان الله عنهم أجمعين، ثم من بعدهم من أئمة المسلمين الذي وفقهم المولى إلى انتهاج الحق وبصرهم طريقه. والجهاد سنة من سنن الله في خلقه أن جعل لقبول الحق طريقين الطريق الأول بالتفاهم، والطريق الثاني بالقوة فالعاقل المنصف يقبل الحق بالتفاهم، أما الأحمق العنود فلا يفهم الحق إلا عن طريق القوة ولذلك فرض الجهاد ولولاه لم يوحد الله في أرضه، ولما علت كلمته ولما ظهر دينه، وهذا لا ينافي الرحمة التي جاء بها الإسلام ولا العدل الذي أمره الله به والمعارض لدعوة الإسلام معاند ومسفه للحق وناشر للباطل، يجب قمعه بالقوة حيث لا يرجى منه قبول الحق والإرتداع عن الباطل، وشرع الجهاد دفعا للظلم والفساد في الأرض وحماية لدعوة الحق، ولتمكين الدعوة الإسلامية وكف شر الكافرين عن المؤمنين كي لا يزعزعوا ضعفاء الإيمان قبل تمكن الهداية من قلوبهم ويفتنوا القوي عن دينه بمفاتنهم، كما يفعل اليوم أعداء الإسلام من الإغراء المزيف، والكل بل السواد الأعظم ممن وحدوا الله مقتف أثرهم لسريان الغفلة انحرافا عن المنهج الرباني، ولهذا شرع الجهاد لا لشهوة اهراق الدماء والمحافظة على المناصب ، بل لحماية الدين وعزه ودفع العدوان عنه، بل هو الرحمة للعباد، قال الله تعالى

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾

الآية ١٧٩ من سورة البقرة

ودليل مشروعيته من السنة قتاله صلى الله عليه وسلم المشركين يوم بدر وأحد والخندق، وتجهيزه السرايا بقيادة صحابته رضوان الله عنهم أجمعين كسرية عمه الصحابي الجليل أسد الله وسيدالشهداء حمزة بن عبد المطلب إلى سيف البحر وهي أول مظهر من مظاهر القوة الإسلامية، وأول سرية بعثها رسول الله بعد مقدمه دار هجرته ونصرته بسبعة شهور. وقوله صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله..الحديث» وقوله عليه السلام : «رأس هذا الأمر الإسلام ومن أسلم سلم وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد لا يناله إلا أفضلهم» وقوله صلى الله عليه وسلم لسائل أي الأعمال أفضل؟ قال «إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا ؟ قال الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا ؟ قال حج مبرور، قيل ثم ماذا؟ قال بر الوالدين». وعن أبي موسى إن اعرابيا أتى النبي عليه السلام فقال : يا رسول الله الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

المجاهد فضله عظيم قال الله تعالى :

﴿وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾

الآية ٩٥ من سورة النساء

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عينان لاتمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» وعن سهل ابن سعد أن رسول الله قال : رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله تعالى والغدوة خير من الدنيا وما عليها».

وترك الجهاد فيه وعيد وفتنة قال الله تعالى

﴿وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً﴾

الآية ٢٥ من سورة الانفال

وفي الحديث :«ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من مات ولم يحدث نفسه بالجهاد مات على شعبة من شعب النفاق».

وآداب الجهاد سامية نص عليها الحديث الشريف المروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه إذا بعث سرية قال : «بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا شيخا كبيرا»، ومن آدابه أن لا يكون الجهاد خروجا عن الطاعة ومفارقة الجماعة، ومن خالف فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يدعوا إلى عصبية أو يغضب لعصبية فقتل فقتله جاهلية، أعاذنا الله من ذلك .وآدابه عدم الفرار من الزحف والفار عاص لله كافر كفر نعمة، لأنه من كبائر الذنوب لقوله تعالى :

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

الآيتان ١٥ – ١٦من سورة الانفال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«ثلاثة لا ينفع معهن عمل، الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف». وعلى المجاهد أن يكون حذرا يقظا، معدا العدة ممتثلا قوله تعالى : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾

الآية ٦٠ من سورة الانفال

، متوقعا مكر العدو وتربصه الغفلة، ولو كان وقت العبادة ولا يصح للمجاهد ترك سلاحه إلا لعارض نبه المولى عليه في محكم كتابه حيث قال

﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ ۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ

﴿فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾

الآية ١٠٢ من سورة النساء

ووأصى الله المجاهدين على التضامن قال تعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾

الآية ٤ من سورة الصف

وحثهم على التآلف واتحاد الرأي، قال سبحانه

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾

الآية ٤٦ من سورة الانفال

واختلاف الرأي نكسة يستغلها العدو، وأكبر دليل وعي المشركين عند انهزامهم يوم أحد وما حدث للمسلمين المرابطين على الجبل وتسرعهم في النزول قبل الوقت المحدد لهم من قبل الرسول عليه السلام

وللجهاد ثمرة في الدنيا، سعادة وأمان ورخاء واطمئنان، وفي الآخرة نعيم أبدي مخلدين فيه، والمجاهد المقتول لأجل إعلاء كلمة الله أو صادا عدوا غاشما عن وطنه وذابا عن عرضه أو محاميا عن ماله فهو شهيد منزلته في الجنة مع الأنبياء والصديقين، قال الله تعالى

وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا

الآية ٦٩من سورة النساء

نواع المجاهدين :

المجاهدون نوعان، وهم المحاربون أهل شرك وأهل بغي فالمشركون هم اليهود النصارى والمجوس والصابئون وعبدة الأوثان من العرب وغيرهم ممن لا دين هم وقد ذكرهم المولى في محكم كتابه

وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ

الآية ١٧من سورة الحج

لقتال اليهود والنصارى ومن شاكلهم من أهل الكتاب فيقاتلون حتى يدخلوا في الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون بدليل قوله تعالى :

قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ

الآية ٢٩من سورة التوبة

، وأما عبدة الأوثان والمرتدون عن الملة الإسلامية فحتى يدخلوا في الإسلام ولا تقبل منهم جزية وتغنم أموالهم وليس لهم سوى الدخول فيه والعودة إليه أو السيف.

وجميع الأصناف المذكورة في كتابه العزيز المتقدمة الذكر، لها أحكام في الشرع إن تخيروا لأنفسهم السيف فيطبق فيهم أحكام الله سبحانه وتغنم أموالهم

وتسبي نساؤهم وذراريهم، وهؤلاء سماهم المولى ملك اليمين، قال الله عز وجل

﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾

الآية ٥٠ من سورة الاحزاب

كما سماهم في آيات أخر بالرقاب، قال سبحانه وهو أصدق القائلين

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾

الآية ١٧٧ من سورة البقرة

كما ورد في موضع آخر بلفظ المفرد

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ الآية ١٣ من سورة البلد

وغنم أموالهم وسبي نسائهم وذراريهم ثابت بدليل الكتاب والسنة، أما الكتاب فقال الله عز وجل

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ الآية ٤١ من سورة الانفال

وهكذا يتم تقسيم الفيء كما بينه سبحانه وأوضح في آية أخرى

﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ الآية ٧ من سورة الحشر

ومن رحمته سبحانه وعدله بين عباده ومساواته فيما بينهم نبه على كبت النفس الأمارة بالسوء المترفعة بدناءتها على أختها، قال الله سبحانه

إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ

الآية ١٣ من سورة الحجرات

ثم بعد ذلك رتب سبحانه أحكاما لإخراج تلك النفس المسترقة وعودة حريتها وفكها من أحكام الأسر، يستطيب إليها المخطيء، لانقاذه وتفاديه عما صدر منه من تقصير في حق بارئه كتضييع فرض أو قتل نفس خطأ أو آلا أو ظاهر من زوجته وأراد التوب والرجوع إلى الله فعليه عتق الرقبة المشار إليها في قوله

وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ

الآية ٥٠من سورة الاحزب

حكمة لا غبار عليها سبحانه حكيم عليم رؤوف بعباده، لا يزيغ عن كنهها إلا سفيه متمرد على خالقه. فيالله العجب كيف توصل المغرضون أعداء الإسلام بدس أفكارهم في عقول السذج من المسلمين حيث شوهوا لهم تملك الإنسان للإنسان، خدمة لمصالحهم، وغفلوا عن تعاليم الخالق الحكيم الذي بيده مقاليد السموات والأرض فكأنهم هم أولى بالتصرف والهيمنة على العباد ونادوا بحقوق الإنسان النداء المزعوم، إنا لله وإنا إليه راجعون، قال سبحانه

وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً

الآية ٨٩ من سورة النساء

فاحذر أخي المؤمن من كلمة

لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا

الآية ٢٨ من سورة الفرقان

والله يهدي الجميع إلى سواء الصراط.

والنوع الثاني : البغاة وهم أهل توحيد يصلون ويصومون لكنهم تجبروا على الخلق وخرجوا عن طاعة الحكم بغيا وعدوانا فهؤلاء يقاتلون بعد قيام الحجة عليهم ببغيهم حتى يدخلوا تحت ظل الحكم العادل وينقادوا لأحكامه،

ومن مات منهم في حال القتال فهو إلى النار والعياذ بالله، لكن هذا النوع لا تغنم أموالهم ولا تسبى ذراريهم، بل ولا يحل شيء من أموالهم ولو قليلا لان أموال أهل القبلة حرام لقوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد أحرزوا مني أموالهم ودماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

- تعريف البغاة :

البغاة صنفان : صنف له ملجأ وقائد يرجعون إليه ،فهذا النوع إن انهزموا يجهز على جريحهم أي يقتل، ويتبع مدبرهم إلى أن يقضى عليه، ومثاله حرب علي بن أبي طالب في صفين مع معاوية بن أبي سفيان، لأن معاوية هو المرجع للمنهزمين

والصنف الثاني : ليس لهم مركز ولا قائد يرجعون إليه فهؤلاء لا يجهز على جريحهم أي لا يقتل ولا يتبع مدبرهم ومثاله حرب علي بن أبي طالب أيضا يوم الجمل مع طلحة والزبير وعائشة، فمن انهزم من هؤلاء لم يجهز عليه ولم يتبع مدبرهم لأن القائدين طلحة والزبير قتلا في المعركة، وعائشة رجعت تائبه (رضي الله عنها وغفر لها ما فرطت فيه) وعلي بن أبي طالب في كلا الحربين إمام محق بالإجماع والتفصيل لسيرتهم في كتب التاريخ فليرجع من أراد الإطلاع عليها ولا يعرف الحقيقة إلا من بحث عنها واتبع الحق فيها (والعثرة لا تقال) بأن يقول المسلم بما قاله الغير إن كان صوابا أو خطأ فكثير من الكتاب السابقين شوهوا تاريخ حروب الصحابة ونقلوه على غير الواقع فتابعهم من جاء بعدهم ولم يحاولوا الوصول إلى الحقيقة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ذكر أوصاف المجاهدين :

نذكر أوصاف الأئمة والعلماء من المجاهدين أهل الاستقامة، ونكتفي بما قال شاعرعصره الشيخ أبو مسلم ناصر بن سالم الرواحي، فحين أراد أن يصفهم أولئك الأبدال مهد لذلك بوصف مدينتهم (مدينة نزوى) فقال مخاطبا لقاصدها:

أنزل على عرصات كلها قدس ... للحق فيهن أزهار وأفنان
أنزل على عذبات النور حيث حوت ... أئمة الدين قيعان وظهران
حيث الملائكة احتلت مشاهدهم ... لها على الحل والتعريج إدمان
أرض مقدسة قد بوركت وزكت ... تنصب فيها من الأنوار معنان
ما طار طائرها لله محتسبا ... له جناحان ايقان وعرفان
إلا وقام يمين الله ساعده ... والفتح والنصر والتأييد أعوان
ميمونة ببركات الله تنفحها ... واليمن يثمسره علم وإيمان
رست بها هضبة الإسلام من حقب ... وان قضت باستتار العدل أحيان
قديمة الذكر عاذ الدين عائذها ... من يوم أصبح توحيد وقرآن
قامت بها قبة الإسلام شامخة ... حتى تواضع بهرام وكيوان
ولم تزل عرصة للعدل عاصمة ... للاستقامة فيها الدهر سلطان
كم أشهر الله فيها من حسام هدى ... كأنها لسيوف الله أجفان
كنانة لسهام الله ما فرغت ... منذ كان للجور سلطان وشيطان
بحجة الله قامت في الشقاق لها ... بدين ذي الثفنات* الحبر إيقان
لسرها واختصاص الله قائمها ... بالنصر والفتح برهان وبرهان

إلى أن قال :

تعاقبت خلفاء الله منصبها ... منذ الجلندى وختم الكل عزان**
أئمة حفظ الدين الحنيف بهم ... من يوم قيل لدين الله أديان
صيد سراة أباة الضيم أسد شرى ... شمس العزائم أواهون رهبان
سفن النجاة هداة الناس قادتهم ... طهر السرائر للإسلام حيطان
تقبلوا مدح القرآن أجمعهم ... إذا استحق مديح الله إيمان
جدوا إلى الباقيات الصالحات فلم ... يفتهموا في التقى سر وإعلان
على الحنيفية الزهراء سيرهم ... والوجه والقصد إيمان وإحسان
بسيرة العمرين استلأموا وسطوا ... لشربة النهروان الكل عطشان
صعب الشكائم في ذات الإله فان ... حناهم الحق عن مكروهه لانوا
مسومين لنصر الله أنفسهم ... أرواحهم في سبيل الله قربان
سبق إلى الخير عن جد وعن كيس ... دانوا النفوس فعزت حيثما دانوا
سيماهم النور في خلق وفي خلق ... وهديهم سنة بيضاء تبيان

---

* ذو الثفنات : عبدالله بن وهب الراسبي
** الجلندى بن مسعود : أول إمام في عمان في سنة ١٣٢هـ
عزان بن قيس : آخر الائمة بالنسبة لعصر صاحب النظم سنة ١٢٨٥هـ

يقيسون بحكم الله حكمتهم — وهمهم حيثما كان الهدى كانوا

هم أسمع الناس في حق وأبصرهم — وفي سواه هموا صم وعميان

لم تلههم زهرة الدنيا وزخرفها — إذ همهم صالح يتلوه رضوان

باعوا بباقية الرضوان فانيهم — كأن لذة هذا العيش أوثان

وقف على السنة البيضاء سعيهم — وفي الجهادين أن عزواولن هانوا

مازايلت خطوة المختار خطوتهم — ولاانثنى عزمهم نفس وشيطان

فجاهدوا واستقاموا في طريقته — عزومهم لصروح الدين أركان

وسلطوا بحدود الله حكمهم — حتى استقام لحكم الله سلطان

أولئك القوم أنواري هديت بهم — عقبى محبتهم عفو وغفران

أئمتي عمدتي ديني محجتهم — غوثي إذا ضاق بي في الكون امكان

لا يقبل الله دينا غير دينهم — ولا يصح الهدى إلا بما دانوا

من عهد بدر وأحد لا تزحزحهم — عن موقف الحق ازمات وأزمان

حقيقة الحق ما دانوا به وأتوا — وما عداه أخاليط * وخمان**

أن يشرف الناس في الدنيا بثروتهم — فثروة القوم إخلاص وإيقان

لله ما جمعوا لله ما تركوا — لله إن قربوا لله إن بانوا

أزكى الصنيعين ما كان الهدى معه — لديهم وله في الحق رجحان

تراهم في ضمير الليل صبرهم — مثل الخيالات تسبيح وقرآن

هم الإباضية الزهر الكرام لهم — بعزة الله فوق الخلق سلطان

لا يعرف العدل إلا في استقامتهم — لم يوف إلا لهم في العدل ميزان

في الذب عن حرمات الله شأنهم — لا شأن دنياهم نيل وحرمان

رضوا ببلغة محياهم على خطر — منها كأنهم بالبلغة اختانوا

سيما التعفف تكسوهم جلال غنى — فالقلب في شبع والبطن خمصان

سمت الملوك وهدي الأنبياء على — أخلاقهم فكأن الفقر تيجان

تمثلت لهم الدنيا فما جهلوا — حقيقة الأمر أن العيش ثعبان

جازوا الجسور خفاف الحاذ وقرهم — زهد وخوف واصبار وشكران

فاز المخفون من دار الغرور فلا — خوف عليهم ولا بالقوم أحزان

مضوا وآثارهم تورونكرهم — رحمى ومضجعهم روح وريحان

تتابعوا دولة في أثر سابقة — كما جلى الرسل أحيان فأحيان

---

* الأخاليط : الأوباش

** الخمان : رذال الناس

إلى أن قال :

حتى أنجلى الكوكب الدري فانكشفت … بنوره عن وجوه الحق اغيان

وقال في وصف الإمام سالم بن راشد الخروصي :

تقلد العقد منها صدر فيمها … صدر بخالصه الإيمان ملآن
همامها العاصم الكافي لعصمتها … له على حملها جد وأقران
جاءت إمامته والأرض مظلمة … والناس فوضى وأهل الجور ذؤبان
فأشرق العدل في أرجائها ولقى … عز المفاسد إرهاق وإيهان
يا سالم الدين والدنيا بن راشد خذ … أمانة الله والأقدار أعوان
أنت الضليع بها حملا وناديسة … إذ كل همك تدبير وإتقان
أحدر واصعد وأيقن أن صاحبها … سيف من الله لا تحوية أجفان

وقيل في هذا المعنى في مناسبة :

لا ينفع السخاء والمروءة … في غلظ القلوب إلا القوه
هذا رسول الله خير من مشى … في الأرض وامتطى وخير من نشا
فبينما يلقى سلا الجزور … في ظهر الشريف للتحقير
قيل له اسجع فأنت الأكرم … وابن الكرام أمرك المقدم
ما غير الأحوال يا شم الذرى؟ … ويا صناديد قريش ما جرى؟
هذا الذي ترمونه بالكذب … هو الذي جاء بنفس الطلب
لأي شيء حقروه ناصحا … ووقروه حين جاء فاتحا؟
لأي شيء ستروا التمردا … واظهروا الطاعة والتوددا؟
لأي شيء طردوه اعزلا … وقلدوه أحوذيا فيصلا؟
لأي شيء بحثوا عوراءه … ولهثوا من بعد ذا وراءه؟
لأي شيء ناصبوه الإعتداء … ونصبوه بعد ذاك سيدا؟
لأي شيء قذفوه بالحصى … وعرفوه بعد ذاك مخلصا؟
لأي شيء قلبوا له الأذى … وانقلبوا أطوع - بعد من حذا؟
لأي شيء لقبوه ساحرا … وقبلوه حين جاء ظافرا؟
سراقة لأية شيء لحقه … وقد تخلى بعد لما رهقه
وقد رأي البأس فساخت فرسه … وانطفأ المصباح عنه قبسه
فما استكانوا رغبة وهانوا … وما ثنى جماحهم بيان

وما رضوا وعرفوا واعترفوا ... وما تودوا ولا هم انصفوا
إلا لرؤية السيوف الخضر ... وخالد يحصد هام الكفر
رهبوت لا رحموت يا أولي النهى ... وديننا ما جاءنا مرفها
عسى لعل الله في عليائه ... يهيء استخلاف أوليائه

- ذكر تقسيم الكفر

ينقسم الكفر إلى نوعين : كفر شرك، وهو الإشراك بالله كعبادة غيره معه، وهو المسمى : بالمساواة، أو إنكاره سبحانه وتعالى، وهو المسمى : بالجحود أو إنكار أحد من أنبيائه أو رسله أو ملائكته أو شيئا من القرآن العظيم ولو حرفا واحد، أو إنكار شيء من الفرائض كالأركان الخمسة، أو استحلال شيء من الكبائر على اعتقاد أنها غير محرمة، وهي الكبائر المنصوص عليها في القرآن والسنة أو الإرتداد من دين الإسلام الى دين غيره، أو مساواته بغيره كأن يقول المسلم : أنه لا بأس علي أن أتبع دينا من الاديان لانها كلها أديان سماوية.

القسم الثاني :كفر النعمة، وهذا يسمى به مرتكب الكبيرة،سواء كانت الكبيرة ظاهرة أو باطنة، فالمعاصي الظاهرة: كالزنا والربا وأكل الميتة والدم، ولحم الخنزير، وقتل النفس المحرمة وقطع الطريق، وظلم العباد، والسرقة، وإيذاء المسلمين وتخويفهم، والسعي في الأرض بالفساد، ونصرة الباطل، ومكابرة الحق ومعاندة أهله وشرب الخمر وجميع المسكرات، ولبس الذهب والحرير، إلى غير ذلك من حلق اللحى ومساعدة أهل الباطل ونشر المنكر في الصحف والمجلات وتزيين الباطل، وكالدعايات لأهل الشرك وأعمالهم من زي أو شابهه، فهذا كله كبائر يطلق عليها (كفر نعمة) بنص الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فمن الدليل من الكتاب قوله تعالى

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا

الآية ٩٧ من سورة ال عمران

وكقوله تعالى:

مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾

الآية ٤٤ من سورة الروم

فجعل الكفر في مقابلة العمل الصالح، وليس في مقابلة الإيمان، وقوله حكاية عن سليمان عليه السلام

قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ

الآية ٤٠ من سورة النمل

فجعل الكفر في مقابلة الشكر، وقوله تعالى

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾

الآية ١٥٢ من سورة البقرة

والدليل من السنة قوله ﷺ كما رواه ابن عباس «من قال لأخيه يا كافر، فقال له أنت الكافر فقد باء بالكفر أحدهما، والبادي أظلم» وحديث «من ترك قتل الحية خوف الثأر فقد كفر» وما روى عن ابن عباس مرفوعا «من أتى الرجال شهوة دون النساء، أو أتى النساء في أعجازهن فقد كفر» ورواية «ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة» ورواية «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» ورواية «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» ورواية «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض».

والمعاصي الباطنة: فهي العجب والكبر والحسد والرياء والغش والخيانة وما تولد من ذلك من الأخلاق الرديئة، وصفة العجب هو أن يستعظم الإنسان النعمة التي هو فيها فيعجب بها ويقطع النظر عن المنعم بها ويظن أن ذلك بقوته واستحقاقه ويرى لنفسه حظا، ويكون العجب في كل شيء من الصفات أو في المال أو الجمال أو الحسب أو العلم أو الشجاعة، وغير ذلك، مما يعجب به المرء، ويثني عليه به، أو يحب الثناء عليه لذلك، فإذا أصيب المسلم بهذا الداء فليتدارك نفسه بأن يعلم أن الله سبحانه وتعالى هو المتفضل عليه بما أنعم وأعطاه من هذه المظاهر، وأنه لا أثر لنفسه في شيء منها، كما قال قارون وحكى الله عنه في كتابه العزيز في قوله ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾

الآية ٧٨ من سورة القصص

والكبر : هو أن يحتقر الخلق ويرد الحق، وسبب ذلك أن يرى لنفسه عظمة وخصوصية ومنزلة كالإمارة أو الوزارة أو الادارة أو المشيخة، كل ذلك يغتر به المتكبر، فيرى لنفسه الحق في ذلك فيتكبر على غيره، فمن بلي بذلك فعليه أن ينظر إلى أصله الذي خلق منه وإلى منقلبه الذي يعود إليه، كما حكى عن علي بن أبي طالب أنه قال (الإنسان أوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة، وهو ما بينهما يحمل العذره)، وروي ابن عباس (من عظم نفسه للناس وضعه الله، ومن تواضع لله رفعه الله)، ويقال في الأثر : (لا تدخل الجنة بوزن حبة خردل من الكبر، وأقله

كراهة وضع الفم في الإناء حيث وضع شارب قبله فمه ترفعا عنه).

الرياء : وهو العمل لاجل الخلق، ويسمى الشرك الأصغر ينادى صاحبه غدا (يا مرائي يا فاجر يا غادر يا خاسر خاب سعيك وظل عملك) فمن ابتلى بذلك فعليه أن يعلم أن الخلق لا يملكون له نفعا ولا يدفعون عنه ضرا، بل الفاعل لجميع ذلك هو الله الواحد الاحد الذي لا يعجزه شيء ولا يفوته شيء.

الحسد : والحسد تمني زوال نعمة الغير التي أنعم الله بها عليه، فيتمنى هو زوالها عنه، كأن يقول في نفسه أن هذا الرجل عنده مال عظيم لا يستحقه فينبغي أن يكون هذا المال لي فأنا أحق به منه، وهذا من أكبر كبائر الباطن وهو أصل الشر وبسببه تنبعث الفتن وتفسد النفوس، والحسود عدو لنعم الله، ساخط لقضاء الله وقدره، ومع ذلك فهو يتحمل غيظا في قلبه ونارا لا تنطفي إذ لا يقدر على زوال نعمة غيره، بل المعطي والمانع هو الله سبحانه وتعالى، ويقول الشاعر :

وأبغض خلق الله من بات حاسدا   لمن بات في نعماته يتقلب

وقد ثبت أن قلب الحسود كغرفة شعير مسوس، وفي الحديث «إذا حسدت فلا تبغي»، ويجوز أن تتمنى مثل نعمة الغير من دون أن تتمنى زوالها . وهذا النوع يسمى (غبطة)، ويجوز أن تتمنى زوال نعمة المحارب للمسلمين، والمؤذي لهم، وكل من كانت نعمته بلاء على المسلمين.

وقد روي ابن مسعود مرفوعا «إياكم والحسد والظن والبغي فإنه لا حظ في الإسلام لمن فعل ذلك، ولا حظ في الإسلام لمن فيه إحدى هذه الخصال»، وسوء الظن جائز بمن عرف بالسوء لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (من علمنا فيه خيرا قلنا فيه خيرا وظننا فيه خيرا، ومن علمنا منه شرا قلنا فيه شرا وظننا فيه شرا)، وهذه الأشياء أنموذج للأمراض الباطنة وهي كثيرة جدا، فمنها سوء الظن بالمسلمين ومنها الإياس من رحمة الله، ولا حول ولا قوة الابالله نسأل الله أن لا يحرمنا الشهادة في سبيله وأن يوفقنا لمرضاته ويحبب إلينا أولياءه ويبغض علينا أعداءه إنه ولي التوفيق وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الجزء الثالث عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

العلم ينقسم إلى قسمين علم محمود وعلم مذموم فالعلم المحمود ينقسم إلى ما هو فرض عين وإلى ما هو فرض كفاية ولا يحتاج أن تذكر فضله فقد سبق ذكر شيء من فضله ولما هو معلوم أن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته تعدل بالقيام وعلى العموم يطاع الله بالعلم والجهل لا خير فيه.

والعلم الذي هو فرض عين هو علم الكتاب والسنة لقوله صلى الله عليه وسلم «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وبعبارة أخرى هو تطبيق ما جاء في الحديث «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلا» وكل واحد من الخمسة يجب في وقته وعند وجوب فريضته فإذا وجب فرض واحد على المسلم ضاق عليه الوقت وهلك بتركه ولذلك ينبغي معرفة ذلك قبل الوقت.

فالشهادتان تجب وجوبا لا محيص عنه عند بلوغ المسلم حد التكليف والصلاة تجب كذلك عند دخول الوقت فكيف يتمكن المسلم أن يتعلمها في ذلك الوقت القصير وكذلك الصوم يجب عليه عند دخول شهر رمضان وكذلك الزكاة تجب عليه عند ملك النصاب وحضور الوقت المحدد لإخراجها والحج يجب عند الإستطاعة وهكذا الامور المنهي عن ارتكابها تجب معرفتها عند حضورها، فلو زنى المسلم وقال ما علمت أن الزنا حرام هلك ولم يغنه جهله بذلك وكذلك سائر المحرمات يسع جهلها حتى ترتكب فإذا ارتكبها لم يغنه الجهل فلذلك أوجب العلماء تعلم كل هذه الأشياء قبل حضور وقتها، ومن العلم ما هو فرض كفاية كعلم الطب وعلم الحساب وعلم الفرائض لأنه لو خلا القطر من عالم بهذه الأشياء حرج - أي ضاق عليهم - أهل القطر وإذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الباقين وأما العلم المذموم فعلم السحر والشعوذات وكل علم يقتني مضرة الناس وأذاهم ويلتحق بذلك من يتعلم علم الفقه للجدل والتباهي وكالتعمق في القدر وعلم النجوم لقصد عمل دنيوي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا ذكر القدر فامسكوا وإذا ذكرت النجوم فامسكوا وإذا ذكر أصحابي فامسكوا» رواه ابن مسعود.

وفي العلوم مـا هو مبـاح كعلم الاشعار التي لا سخـافة فيها وكعلـم الكيمياء والفيـزياء وغير ذلك من العلـوم التي يستغني عنهـا المسلم فإذا تعلمهـا بعد مـا يحصن نفسه بالعلوم النافعة التي يجب تعلمها فلا بأس عليه فعلمك بالشيء خير من جهلك بـه ولكن تعلم الديـن قبلا أولى ولا نعني بتعلم الـدين ترك مـا يتعلق بالدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بـالدنيا (والملك والدين توأمـان) فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهـدوم وما لا حارس له فضائع – ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريقة الضبط لا تتم إلا بالفقه فهذه قاعدة من أغمض عينه عنهـا خسر ويجب على المتعلم أمور إن أحب أن ينال مـن العلم شيئا وإلا فالعلـم نور لا يضيء إلا في المكان الملائم لـه منها تطهير النفس عـن الرذائل والأوصاف المذمومة وأن لا يرى في الأمكنـة المستهجنة الموجبة للإتهام كالسينما ومجالس السفهـاء إلى غير ذلك مـن الأشياء المستـرابـة لأن العلم نـور والنـور لا يهدي لمن تلطخوا – بـالرذائل قـال الغزالي في الإحياء – فإن قلـت – أرى جماعة من العلماء والفقهاء المحققين برزوا في الفروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمـة لم يتطهروا منها – فيقـال – إذا عرفت مراتب العلـوم وعرفت علم الآخرة استبان لـك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء مـن حيث كونه علما وإنما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعـالى إذا قصد به التقرب إلى الله : ومنها التقليل من علائق الدنيا

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾

الآية ٤ من سورة الاحزاب

وفي المثل العماني – مـا يستوي شغـلان في شغل – وإذا تـوزع القلب عجـز عن إدراك الحقيقة ولـذلك قيل (العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيـه كلك فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطـائه إياك بعضه على خطـر) ومنها أن يتواضـع لمن يتعلم منه ويلقي إليه زمام أمره ويتشرف بخـدمته إن أوجب الحال ذلك كما روى أنه صلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة فقربت إليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابـه – أي قبض على سرج الدابة توقيرا له فقال له زيـد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال ابن عباس هكذا أمـرنا أن نفعل بعلمائنا فقبل زيد يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا – فـانظر إلى تواضع ابن عباس وهو ابن عم الرسـول وزيد مولى من موالي الـرسول مع أن ابن عبـاس ليس أقل علما منه – والتملق لا ينبغي إلا من الطـالب للمعلم ويروى عن النبي صلى اللـه عليه وسلم «ليس من أخـلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم» ويـروى أن الشيخ نور الـدين

السالمي كان يلقن تمليذه قسور بن حمود الراشدي فقال له هذا أفهمه فسكت عنه ولم يجبه فلما راجعه قال أنت تفهم بنفسك لا تحتاج إلى مدرس فأدبه الشيخ على هذه الزله الصغيرة فكيف بمن يرد ردا قبيحا على مدرسه أن هذا مؤد إلى الحرمان ولا يستنكف أن يتعلم من أي واحد فإذا لم يرد أن يتعلم إلا من العلماء الكبار فهو أحمق والعلم سبب النجاة والسعادة وفي الإحياء – من يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار أشد من ضراوة كل سبع والحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها ويتقلد المنة لمن ساقها إليه كائنا من كان وانشدوا :

العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

وبالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا دون رأي المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران .أ.هـ

وقد تواضع نبي الله موسى للخضر عليهما السلام حين أراد أن يتعلم منه فقال : (هل اتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا) فرضي أن يكون تابعا وهو نبي الله، أعلم من في الأرض في زمانه ويروى عن علي بن أبي طالب قال : «إن من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفشي له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا تطلبن عثرته، وإن زل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى مادام يحفظ أمر الله تعالى ولا تجلس أمامه وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمتة .أ.هـ

ومنها أن لا يدع فنا من فنون العلم إلا حاول أن يعرف منه شيئا ثم إن وهبه الله معرفة طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالاهم منه واستوفاه واقتطف من بقية الفنون وكل فن منه على الأقل يسلم من عداوته لأن المرء عدو ما جهل

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾

الآية ١١ من سورة الاحقاف

ويقول أبو الطيب :

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا

ومنها أن لا يقصد بالعلم الدنيا والنيل منها بل يقصد بالعلم وجه الله سبحانه وتعالى والترقي إلى الإلتحاق بصف الملائكة والمقربين من خيار عباد الله

المصطفين لا لقصد الرئاسة والمال والمناصب ومماراة السفهاء ومباهاة العلماء\ فمن علم وعمل وعلّم فهو الذي يدعى عظيما في ملكوت السموات ومثلوه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها وكالمسك يطيب لغيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر يفيد غيره وهو خال وكالحمار يحمل أسفارا وكالمسن يشحذ غيره ولا يقطع وكذبالة المصباح تضيء غيرها وهي تحترق ـ كما قيل ما هو إلا ذبالة وقدت تضيء للناس وهي تحترق - فإذا تعلم وعمل وأراد أن يعلم فليلزم آداب المعلمين من الشفقة على المتعلمين وأن يجعلهم بمنزلة بنيه كما روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أنا لكم مثل الوالد لولده» ويقصد أن ينقذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا فيكون حقه أعظم من حقهما وعلى المعلم أن لا يقصد بتعليمه المنفعة الدنيوية فإن حصلت فهي وسيلة لا غاية وإنما الغاية قصد وجه الله ولا يمتن على المتعلمين وإن كانت المنة له عليهم حاصلة لكن يعتقد أن الفضل والمنة لله عليه سخر له عبادا من عباده يتعلمون منه فيكون هو السبب في تهذيب قلوبهم للتقرب من الله ومثلوه كمن أعارك أرضا لتزرعها فأنت استفدت بالزرع والمنة لمن أعارك الأرض ومثلوا من قصد بالعلم الدنيا - كمن مسح أسفل نعله بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وينبغي أن يزجر المعلم المتعلم بطريق التعريض ما أمكن وبطريق الرحمة فإن التصريح يورث الجرأة ويهيج الحرص على الإصرار إذ قال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مرشد كل معلم وهادي كل مسلم «لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا فيه شيء» رفعه الغزالي في احيائه.

وقد سبق إلى ذلك أبونا آدم وزوجه في الجنة كما أخبرنا الله بذلك في كتابه العزيز والمعلم في مادة لا ينبغي له أن يقبح المواد الأخرى بل يفسح المجال للمتعلم أن يتعلم ما يشاء ولا يخاطبه بما لا يفهم من العبارات فينفره أو يشتت افكاره ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم»، ومن شرط المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله يقول الغزالي في احيائه العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وأرباب الأبصار أكثر وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تناولوه فإنه سم مهلك سخر الناس منه واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه ويقولون لولا أنه أطيب الأشياء وألذها ما كان يستأثر به أ.هـ

وعلماء السوء أشد الناس عذابا يوم القيامة ويقصد بعلماء السوء من يستخدم علمه للدنيا وملذاتها أيا كانت الملذة ووردت في ذلك أحاديث منه قوله صلى الله عليه وسلم «أن أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» ويقول «لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا » ويقول «العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع» ويقول «يكون في آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق» ويقول «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء أو لتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم فمن فعل ذلك فهو في النار» ويقول «من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار» ويقول «لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال، فقيل وما ذاك فقال من الائمة المضلين» ويقول «من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزد من الله إلا بعدا» وقال الحسن (لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرايف الحكماء ويجري العمل مجرى السفهاء) وقال رجل لأبي هريرة(أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العمل إضاعة له) وقال الخليل بن أحمد (الرجال أربعة رجل يدري ويدري أنه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك نائم فايقظوه ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه) وقال سفيان الثوري (يهتف العلم بالعمل فإنه إجابه وإلا ارتحل) وقال الحسن (عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة) :

وانشدوا :

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى   ومن يشتري دنياه بالدين أعجب

وأعجب من هذين من باع دينه   بدنيا سواه فهو من دين أعجب

وقال أسامة بن زيد رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلع اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير فلا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه» وقال نبي الله عيسى عليه السلام (مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع، ومثل علماء السوء كمثل قناة الحش - جدار الكنيف - ظاهرها حص [1] وباطنها نتن

١ - الحص اللؤلؤ وفي نسخة الجص بالجيم وهو معروف

ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى) أ.هـ

في أخبار نبي الله داوود عليه السلام حكاية عن الله عز وجل (أن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داوود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داوود إذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داوود من رد الي هاربا كتبته جهبذا - الجهبذ النقاد الخبير - ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا) أ.هـ

وقال سعيد بن المسيب (إذا رأيتم العالم يأتي الأمراء فهو لص).

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

وقيل (الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم سكارى إلا العاملين والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدري ماذا يختم له به)

وينبغي للعالم والمتعلم من باب أولى أن لا يتعرض للفتيا قبل أن يسأل ولا يجيب إذا حضر من هو أعلم منه فإن التطلع إلى مثل ذلك شهرة خفية يخشى منها الخطر على صاحبها ومر بعض الصحابة على رجل يحدث فقال هذا يقول للناس أعرفوني وكان ابن عمر يقول (تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا إلى جهنم) وكان الرسول ﷺ كثيرا ما يجيب إذا سئل «بلا ادري» وكان ابن عمر يسأل عن العشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع - قلت - ووردت مسائل إلى الامام الخليلي رحمه الله فأجاب عن بعضها وقال في الباقي الله أعلم أ.هـ. وتعرض المسئلة على الصحابي فيردها إلى غيره فيردها إلى آخر ويردها إلى آخر وإلى آخر وربما عادت إلى المسؤول الأول وكانوا يتدافعون أربعة أشياء الإمامة والوصية والوديعة والفتيا، وكان أشغلهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوا من الرسول ﷺ قوله «كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى» ولم يزل السكوت رأيهم ودأب أهل العلم من بعدهم إلا عند الضرورة وعند الحاجة إلى الكلام في إرشاد الناس وتعليمهم - لا ليقال - رحمهم الله ورضي عنهم.

وكتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما وكان الرسول ﷺ قد آخى بينهما كتب إليه (يا أخي بلغني أنك قعدت طبيبا تداوى المرضى - يعني

أنك تفتي الناس - فانظر فإن كنت طبيبا فتكلم فإن كلامك شفاء وإن كنت متطبيا فالله الله لا تقتل مسلما فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل) والتقوى ملاك كل شيء ومحاسبة النفس لجام لها عن التوسع في الأمور المهلكة وحب الدنيا رأس كل خطيئة والحوطة في الدين واجبه وروي الحاكم عن رسول الله ﷺ «أن من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله ويبكون سرا من خوف عذابه أبدانهم في الأرض وقلوبهم في السماء، أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة».

ولا ينبغي للعالم أن يكثر من الضحك فإنه يورث عدم الوقار والعلم وقار لا يحمله إلا وقور (وكان الشيخ نور الدين السالمي يغلبه الضحك بعض الأحيان فقال له يوما العلامة الزاهد محمد ابن مسعود السعيدي وقد سمعه ضحك قال (العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة) ومج رمى - فيقال أن الشيخ بكى لما سمع ذلك وما رؤي بعدها ضاحكا .أ.هـ

وقيل خمس من الأخلاق هي من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله الأولى الخشية من قوله تعالى

إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ الآية ٢٨ من سورة فاطر

الثانية الخشوع من قوله تعالى

خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

الآية ١٩٩ من سورة آل عمران

الثالثة التواضع من قوله تعالى وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ

الآية ٨٨ من سورة الحجر

الرابعة حسن الخلق من قوله تعالى فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ

الآية ١٥٩ من سورة آل عمران

الخامسة الزهد من قوله تعالى

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا

الآية ٨٠ من سورة القصص

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾

الآية ١٢٥ من سورة الانعام

ولما تلا الرسول ﷺ قوله تعالى (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) قيل له ما هذا الشرح فقال أن النور إذا قذف في القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والإستعداد للموت قبل نزوله وينبغي للمتعلم أن يلم بكل علم ولو يأخذ منه قليلا حتى من كتب اليهود والنصارى والمارقين من الدين ليعرف الخير فيتبعه ويعرف الشر فيجتنبه.

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

ويقول حذيفة بن اليمان رضي الله عنه خصني رسول الله ﷺ بعلم لم يخبر به أحدا غيري وذلك لأن الناس يسألونه عن الخير وأنا أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير) ،وكان حذيفة خصه رسول الله ﷺ بعلم المنافقين ومعرفة علم النفاق وأسبابه ورقائق الفتن وكان يسمى صاحب السر.

شرف العقل

والعلم لا ينال إلا بالعقل وشرف العقل عظيم يقول الرسول ﷺ «يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه يخبر كم عن ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وإن كان دميم المنظر حقير الخطر دنيء المنزلة رث الهيئة وأن الجاهل من عصى الله تعالى وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم أهل الدنيا أيا هم فإنهم من الخاسرين» رواه أبو هريرة، ويقول «أول ماخلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم علي منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب» روته عائشة ويقول «إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجات العلى من ربهم على قدر عقولهم» رواه الترمذي، ويقول «إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم إيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه إبليس» رواه الترمذي عن عائشة وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن الرسول ﷺ قال «لكل شيء آلة وعدة وإن أكثر عدة المؤمن العقل ولكل شيء مطية ومطية المرء العقل ولكل قوم دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داعي وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرىء عقب ينسب إليه ويذكر به- وعقب الصديقين الذين ينسبون إليه ويذكرون به العقل وكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل» ويقول «أتمكم عقلاً أشدكم خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهاكم عنه نظرا وإن كان أقلكم تطوعا» رواه أبو قتاده، والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة ويقول قطب الأئمة رحمه الله في ذهبه العقل عند جمهورنا قوة وبصيرة في القلب كالبصر في العين فهو عرض ويجوز أن يكون في جوارح الإنسان غير باطن القدم والعورة أ.هـ.

قلت : ذكر أهل العلم في العقل ما ذكروه وليس للعبد فيه إكتساب وإنما هو حظ من رب الأرباب.

فصل في الذكر.

وليس بعد العلم أفضل من ذكر الله وحلقاته حيث يجتمع محبو الله على ذكره وأفضل الذكر قراءة القرآن ثم التضرع إلى اللـه برفع الحوائج إليه وقد أرشد إلى ذلك بقوله

ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ

الآية ٦٠ من سورة غافر

وقوله

فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

الآية ١٨٦من سورة البقرة

وارشد إلى فضيلة الذكر بقوله فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ

الآية ١٥٢ من سورة البقرة

وقوله ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا

الآية ٤١ من سورة الاحزاب

وقوله

ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

الآية ١٩١ من سورة آل عمران

وقوله

فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ

الآية ١٠٣من سورة النساء

قال ابن عباس رضي الله عنهما ·أي بالليل والنهار وفي البر والبحر والسفر والحضر والغناء والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية) وقوله

وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ

الآية ٢٠٥ من سورة الاعراف

وقوله ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾

الآية ٤٥ من سورة العنكبوت

وذم المنافقين بعدم الذكر فقال

﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الآية ١٤٢من سورة النساء

وعن رسـول ﷺ في الإرشاد على الذكـر قولـه ذاكر اللـه في الغافلين كـالشجرة وسط الهشيم ويقول «أنـا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتـاه بي» ويقول ما عمل ابن آدم من عمل انجـى له من عذاب اللـه من ذكر اللـه عز وجل قالـوا يا رسول اللـه ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهـاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثـم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب بـه حتى ينقطع» رواه الطبراني، عن معاذ يقول «من أحب أن يرفع في ريـاض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله أي الأعمال أفضل قـال أن تموت ولسانك رطب من ذكر اللـه، ويقول في حـديث قـدسي«إذا ذكرني عبـدي في نفســه ذكرتـه في نفسي وإذا ذكرني في مـلأ ذكرتـه في ملأ خير مـن ملائه وإذا تقـرب مني شبرا تقربت منـه ذراعا وإذا تقـرب مني ذراعا تقـربت منه بـاعا وإذا مشى إلي هرولت إليـه» متفق عليه من حديث أبي هريرة، ويعني هـرولت أجبته بسرعة من باب ومكروا ومكر الله ومكر الله نقمته ويسمى هذا النوع في العربية بالمشاكلة أ.هـ

وحديث «سبعـة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظلـه من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففـاضت عيناه من خشية الله» فيقول «من شغلـه ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطـي السائلين» وفي حديث قدسي «عبدي اذكـرني بعد الصبح ساعـة وبعد العصر ساعة أكفك مـا بينهما» ويروى عن معاذ رضي الله عنـه قال «ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيها» ورفع شيخنا قطب الأئمـة رحمه الله أنه ينبغي لمن جلس في مجلس الذكر أن يقول مـا قال الصديق رضي الله عنه (أشهـد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمـدا عبده ورسوله أشهد أن الـدين كما شرع وأن الاسلام كما وصف وأن الكتاب كما نـزل وأن القول كما حدث وأن الله هـو الحق المبين ذكر الله محمـدا بخير وصلى عليه وحيـاه بالسـلام).وفسر الكلمات فقال (كما شرع) الأحكام الشرعية (والـدين كما وصـف) الإذعان لتلك الأحكام ٠القـول كما حدث) من تفسير القـرآن بما لا تشبيه فيـه ولا يناقضـه كتفسير الوجـه بالـذات واليد

بالقدرة والاستواء بالغلبة أ.هـ

وإن كان جماعة في مجلس الذكر فجاء إليهم من يتولونه في دينه يفسحون له في المجلس، ويقال له فإن ذلك تكريم للتقوى ومن أكرم متولى كمن أعتق رقبة ولكن القاصمة لهذا المتولى إذا ظن أنه أهل لذلك كما قيل – ورفعه قطب الأئمة - (من ادعى الفضائل فلامه حاء فهو ذو الفضائح أو ادعى المكارم فميمه هاء فهو ذو المكاره أو ادعى النجابة فباءه سين فهو ذو النجاسة أو ادعى الصيانة فصاده خاء فهو ذو الخيانة أو أنه أكتب الناس فتاءه ذال فهو أكذب الناس أو أنه أعلم الناس فعينه ظاء فهو أظلمهم أو أنه يجود فداله راء فهو يجور أو أنه سخي فياءه فاء فهو سخيف) ومن ضحك في المجلس فلا أجر له فليقم منه ويرجع إليه والضحك يميت القلب ويذهب نور الوجه ومن أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى قال كلما قام من مجلس الذكر أو من مجتمع (سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين)(سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك اللهم اغفر لي ذنوبي وتب علي) واخرج مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده» وعنه قال قال رسول الله ﷺ «ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة» ويقال أن الداعي إذا دعى وصلى على النبي ﷺ قبل الدعاء وبعده استجيب له لأن الله يقبل الصلاة على النبي على كل حال وحاشاه أن يرد ما بينهما اللهم إلا إن كان التقصير من العبد كأن يدعوا بغير جائز أو بغير إخلاص أو غير موقن بالإجابة كل هذا لا يقبل الله معه الدعاء والصلاة على النبي ﷺ فرض لأمر الله سبحانه وتعالى عباده بذلك في قوله تعالى

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾

الآية ٥٦ من سورة الاحزاب

وفيها فضل عظيم لا يحصى وتروى في ذلك أحاديث منها «جاء ذات يوم رسول الله والبشرى ترى في وجهه فقال ﷺ أنه جاءنى جبريل عليه السلام وقال أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من أمتك صلاة واحدة إلا صليت عليه

عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرا ويقول إن أولى الناس بي أكثرهم صلاة علي» وروى الربيع رحمه الله في مسنده الرفيع أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن مسعود قال (أتا نا رسول الله ﷺ في مجلس سعد ابن عبادة فقال له شبر ابن سعد أمرنا الله أن نصلي عليك فكيف نصلي عليك فسكت حتى نسينا أنه سأله فقال قولوا اللهم صلي على نبينا محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم) ،قال الربيع فقال أبو عبيدة السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما علمناه والإستغفار من الذنب واجب بعد الإقلاع عنه لقوله تعالى

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ

الآية ١٣٥ من سورة آل عمران

وقوله

وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا

الآية ١١٠من سورة النساء

وقوله

كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

الآيتان ١٧/١٨ من سورة الذريات

وكان ﷺ يكثر أن يقول (سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي إنك أنت التواب الرحيم) وقال (من أكثر من الإستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب) وقال (إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم سبعين مرة) وقال (إنه ليغان على قلبي حتى أني لأستغفر الله تعالى في كل يوم مائة مرة) وكان ﷺ يقول في الإستغفار (اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي هزلي وجدي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وأخرت وأسررت وأعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير)

وعن علي قال حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال سمعت الرسول ﷺ يقول «ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن التطهر ثم يقوم ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل إلا غفر له» ثم تلى قوله عزوجل (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ... الآية) وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « إن المؤمن إذا أذنب ذنبا كانت نقطة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منه فإن زاد زادت حتى تغلف قلبه» كذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه

كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ

الآية ١٤ من سورة المطففين

المأثور من استعاذة الرسول ﷺ (اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر اللهم إني أعوذ بك من طبع يهدي إلى طمع ومن طمع في غير مطمع ومن طمع حيث لا يطمع، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع ومن الخيانة فإنها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن فتنة الدجال ومن فتنة المحيا والممات، اللهم إني أعوذ بك من التردي وأعوذ بك من الغم والغرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت في سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت في تطلب الدنيا، اللهم إني أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم، اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم، اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وشر لساني وقلبي، اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقامة فإن جار البادية يتحول، اللهم إني أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الأرزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص وسيء الأسقام، اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجاءة نقمتك ومن جميع سخطك، اللهم إني أعوذ بك من فتنة الغنا وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من الغرم والمأثم، اللهم إني أعوذ بك من صلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين) وروي أنه يقول عند خروجه من المنزل (اللهم إني أعوذ بك أن

أظلم أو أظلم أو اجهل أويجهل علي بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم بسم الله التكلان على الله) وإذا رأى الهلال قال «اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والبر والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ ربي وربك الله» ويقول «هلال رشد وخير آمنت بخالقك» وفي مسند الربيع إذا رأى الهلال كبر ثلاثا وقال «اللهم إني أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر» وإذا خاف قوما قال «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» وإذا أصابك هم فقل (اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضائك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي) قال ﷺ «ماأصاب أحد احزن فقال ذلك إلا اذهب الله همه وأبدله مكانه فرجا فقيل له يا رسول الله أفلا نتعلمها فقال ﷺ :بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها» فإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يتألم من جسدك وقل (بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وبقدرته من شر ما أجد) وإذا أردت النوم فقل (اللهم إنك خلقت نفسي وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخر باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك والجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت.

الرجاء والخوف

وفي الـذهب لقطب الأئمة لـزم الخوف والـرجاء واعتـدالهما المكلف ولو كـان بمكان من الطاعـة كالنبي والملك وخوف الأنبياء خوف عقـاب وخاتمه لأنهم ولو أخبروا بالسعادة لكن علقت لهم بالوفاء ولم يخبروا بأنهم وافون ولو كانوا لا وافين أ.هـ

ويقول الخليل عليه السلام في دعائه ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾

الآية ٣٥ من سورة ابراهيم

وقوله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾

الآية ٥٧ من سورة الاسراء

وقوله ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾

الآية ٩٠ من سورة الانبياء

فهؤلاء الأنبياء، فباقي النـاس من بـاب أولى تجب عليهم المسـاواة بين الخوف والرجاء لأنه إن غلب عليه الخوف خيف عليه الإياس

﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ الآية ٨٧ من سورة يوسف

وإن غلب عليه الرجاء خيف عليه الأمن

﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾

الآية ٩٩ من سورة الاعراف

ويقول الغـزالي في إحيائه(الرجاء والخوف جنـاحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كـؤد، فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مـع كونه بعيد الرجاء ثقيل الأعباء محفوفا بمكاره القلوب ومشاق الجوارح والأعضـاء - إلا أزمة الـرجـاء - ولا يصـد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوفا بلطائف الشهوات وعجائب الملذات سياط التخويف وسطوات التعنيف - أ.هـ

لكن لا ينبغي الرجاء لرحمة الله مع القيام على معاصيه فإن هذا تآل على الله عز وجل والله لا يتألى عليه وهذا مذهـب المرجئة يقولون لا بد للمسلم الموحد أن يدخـل الجنة ولو عصـى ومات على كبيرة وهـذا مناف لنصوص القرآن وحتى العقل لا يقبله فمثلا أمرك حـاكم زمانك أن تفعل شيئا أو تترك شيئا فخالفته وتمنعت حتى عـن الإعتذار إليـه مـاذا عسى أن يكـون مـوقفك معه وهل يليق بالسياسة أن يتركك مخالفا له فتجرغيرك إلى المخالفة لا يقال إن اللـه كريم وإنه غفور رحيم نقول لا شك أن الله العلي القدير متصف بهذه الصفات العلية إلا أنه

كريم وغفور لمن تقرب إليه لكنه شديد العقاب قهار منتقم ممن عصاه وخالف أوامره فإذا أردت معرفة ذلك فاقرأ القرآن فإنه يقول

يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا
لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا

الآية ١٥٨ من سورة الانعام

ويقول الله لنبيه الكريم فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ

الآية ١١٢ من سورة هود

فالإستقامة معناها أداء الواجب والإنتهاء عن المحظور والرسول ﷺ يقول لمن سأله عن الدين «قل آمنت بالله ثم استقم» فترى القرآن والسنة كلاهما لا يكتفيان بالإيمان دون العمل ولا تجد آية في الكتاب العزيز تعد المؤمن بالجنة ما لم يعمل صالحا

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

كل الآيات هكذا كما لا ينفع العمل الصالح دون الإيمان كما جاء في حديث بنت حاتم حين تصف أباها أنه كان في الجاهلية يفعل الأفعال الطيبة قال (لوكان أبوك اسلاميا لترحمنا له) فالاعتقاد والعمل مرتبطان ارتباطا وثيقا أما أن يترك العبد قلبه مشحونا برذائل الأخلاق وانهمك في الشهوات ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق و غرور قال الرسول ﷺ «الأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة» ويقول الله سبحانه وتعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ

الآية ٢١٨من سورة البقرة

فخصص بهم استحقاق الرجاء.

ترجوا النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجري على اليبس

والخوف من الله لا ينافي الرجاء له فهما توأمان حسبما قدمنا فإذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يخافون ويرجون فطبعا غيرهم أولى بذلك. ودخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في النزع (يعالج سكرات الموت) فقال له (كيف تجدك) فقال أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال ﷺ «ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن إلا أعطاه الله ما رجا وأمنه مما يخاف» رواه أنس بن

مالله، والله يقول ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾

الآية ٢٨ من سورة فاطر

ويقول «رأس الحكمة مخافة الله» ولا يحصل الورع إلا بمخافة الله

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ الآية ٤٦ من سورة الرحمن

والخوف والرجاء يتعاقبان في بعض الالفاظ القرآنية كما جاء في قوله تعالى

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ الآية ١٣ من سورة نوح

معناه تخافون وقال ﷺ «إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها» وقال ﷺ «ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى أو قطرة دم اهريقت في سبيل الله تعالى» رواه أبو أمامة ومن دعائه (اللهم ارزقني عينين هطالتين تشفيان القلب وتذرفان الدمع من خشيتك قبل أن تصير الدموع دما والأضراس جمرا) رواه ابن عمر بإسناد حسن، وقال بعض الصالحين (لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب الي من آن اتصدق بجبل من ذهب)، ويقول الإمام الغزالي في إحيائه (وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يضاهي قول القائل الخبز أفضل أم الماء وجوابه أن يقال الخبز أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فان اجتمعا نظر إلى الأغلب فإن كان الجوع أغلب فالخبز أفضل وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل أن استويا فهما متساويان والخوف والرجاء دواء ان يداوي بهما القلوب فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله والإغترار به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل أ. هـ .

ولذلك قيل (لو وزن خوف المؤمن ورجائه لا عتدلا) ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال (لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا واحدا لخشيت أن أكون أنا ذلك الواحد) وكلما ذكر المؤمن الخاتمة وما يجرى فيهما من توفيق وخذلان غلب عليه الخوف وتوقى المعاصي ولله أن يفعل في عباده ما يشاء

﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

الآية ٢٣ من سورة الانبياء

(اعملوا فكل ميسر لما خلق له) نسأل الله حسن الخاتمة والموت على الإستقامة.

الرضا بقضاء الله

الرضا بقضاء الله واجب والتسليم لأمره فريضة وأمر الله سبحانه لابد نافذ على عبده رضي أو لم يرض فإن رضي نال الثواب وخف عليه ما أصابه من مكروه وإن لم يرض مضى قضاء الله عليه وخسر الثواب وثقل عليه ما أصابه. يقول الشاعر :

اتصبر للبلوى عزاء وحسبة   فتوجر أم تسلو سلو البهائم

قال الرسول ﷺ (إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإن صبر اجتباه وإن رضي .... صطفاه) وقال (يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم وإلا فلا) وفي أخبار موسى عليه السلام أن بني اسرائيل قالوا له سل لنا ربك أمرا إذا نحن فعلناه يرضي به عنا فقال موسى إلهي قد سمعت ما قالوا، فقال ياموسى قل لهم يرضون عني أرضى عنهم) ويؤيد هذا ما روى عن نبينا ﷺ أنه قال (من أحب أن يعلم ما له عند الله عز وجل فلينظر ما لله عز وجل عنده فإن الله تبارك وتعالى ينزل العبد من حيث انزله العبد من نفسه) ويقول «قال الله من لم يرض بقضائي ولم يشكر نعمائي ولم يصبر على بلائي فيلتخذ ربا سوائي» ويروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل عليه السلام دلني على أعبد أهل الارض فدله على رجل قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول :(الهي متعتني بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لي فيك الامل يابر يا وصول) والرضاء بما يخالف الهوى مقام عظيم من مقامات أهل الدين)

وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ
فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ الآية ٤٠ من سورة النازعات

وهنا بحث : ربما يقال إذا كيف يدعو الداعي ليصرف الله المكروه ولا شك أن المكروه من الله نقول إن الدعاء لا ينافي الرضا فكيف ينافي وقد دعى الأنبياء ربهم كما حكى عنهم فقول أيوب عليه السلام (رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) وكل واحد من الانبياء دعى ربه وحكى عنهم مجملا فقال

وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ الآية ٩٠ من سورة الانبياء

وكثرة دعوات الرسول ﷺ ولقد كان في أعلى المقامات من الرضا ثم أن الدعاء عبادة بل هو مخ العبادة – ولقلقة بعض أهل الفساد بقولهم المعاصي من قضاء

الله فكيف تنكر على فاعلها وهذا مناف للرضا نقول هذا قمة الجهل والمغالطة أحسن جواب أن يقال له إذا لا حاجة إلى بعث الرسل ليأمروا الناس وينهوهم لأن الله فطرهم على المعاصي وهذا لا يقوله عاقل عنده أدنى تمييز وقد ذم الله في كتابه من رضى بالمعاصي فقال ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾

الآية ٧من سورة يونس

وقال

﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾

الآية ٨٧ من سورة التوبة

وفي الحديث «من شهد منكرا فرضي به فكأنه قد فعله» ويقول «لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضي بقتله آخر بالمغرب كان شريكا في قتله» ويترتب على ذلك الولاية والبرآءة فلو كان كما يقول هذا المغرض لبطلت الولاية والبرآة كيف يسخط العبد ولا يرضى بما قضاه الله على أخيه من فعل الزنا والسرقة وشرب الخمر فإذا يلزم الرضا بأفعال هؤلاء لأنهم فعلوا ما قضاه الله عليهم ورد قول الرسول ﷺ «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله » ويقول «إن الله أخذ الميثاق على كل مؤمن أن يبغض كل منافق» فإن قيل كل شيء بقضاء وقدر والمعاصي من قضاء الله وقدره فإن قلنا بغير ذلك كان قادحا في التوحيد وإن سلمنا أنها من قضاء الله فكيف نكرهها فإذا نكون كرهنا قضاء الله، يقال إنا تعبدنا بذلك وليس كل العبادات معقولة المعنى والقضاء والقدر سر من أسرار الله فلا يجوز البحث عنهما قال رسول الله ﷺ «القدر سر الله فلا تفشوه» ولله أن يفعل ما يشاء في عبده وعلى العبد امتثال ما أمر به فلا اعتراض ولا منافاة وعلينا أن نتأدب عن الخوض في مثل هذه المزالق (مثل الذباب يراعى موضع العلل) فإذا كان العبد منهيا عن أن يقول لليوم الحار هذا يوم حار على سبيل الشكوى فكيف يتعرض للخوض في أعمال العبد وجزائه إن ذلك لجرأة عظيمة على الله ويقال لهذا الجاهل خذ دراهمك وذخائرك فألقها في الطريق لمن يريدها فهذا إن فعلته من قدر الله، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول (لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فإني لا أدري أيهما خير لي) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه أجمعين.

الجزء الرابع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الإخلاص

الإخلاص في الأقوال والأفعال لا بد منه إذ لا يقبل الله قولا ولا عملا إلا بإخلاصه لوجهه الكريم قال تعالى ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾

الآية ٣ من سورة الزمر

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الآية ٥ من سورة البينة

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ الآية ١٤٦من سورة النساء

وقال ﷺ (الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحب من عبادي) ورواه الحسن وقال علي بن أبي طالب (لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فإن النبي ﷺ يقول لمعاذ بن جبل «أخلص العمل يجزك منه القليل» وقال عليه الصلاة والسلام «أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علمت فيقول يارب كنت أقوم آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال إن فلانا عالم ألا فقد قيل، ورجل آتاه الله مالا فيقول الله ما صنعت قال كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك، ورجل قتل في سبيل الله تعالى فيقول له الله تعالى ماذا صنعت فيقول يا رب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت وتقول الملائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك» قال أبو هريرة ثم خبط رسول الله ﷺ فخذي وقال «يا أبا هريرة أولئك أول خلق تسعر نار جهنم بهم يوم القيامة» (قصة العابد والشجرة) يحكى أن عابدا بلغه أن أناسا يعبدون شجرة فخرج بكل إخلاص عازما أن يقطع تلك الشجرة فتمثل له إبليس في الطريق وسأله أين تريد فقال أقطع تلك الشجرة التي تعبد من دون الله فنصحه عن ذلك وقال له لست أنت الذي تعبدها فما قبل منه وأخيرا أدى الحال بينهما إلى صراع فصرع العابد إبليس فقال إبليس هل أدلك على ما هو أنفع

لك من قطع الشجرة أنا أعدك كل يوم دينارين تجدها تحت وسادتك كل صباح أنت فقير تنفق منهما على عيالك وتتصدق على إخوانك وتواسي الفقراء وأنت تعرف ما في الصدقة من الفضل وقطع الشجرة لا يبقي لك ثوابا وربما أن أهلها يغرسون غيرها وربما أنهم يعارضونك فيضرونك وتلقي بيدك إلى التهلكة وهذا ثواب جاز في الدينارين فاستجاب العابد ورجع وفي الصباح وجد الدينارين كما وعده الشيطان فتوسع في النفقة وتصدق منهما وفي اليوم الثاني كان ذلك وفي اليوم الثالث لم يجد شيئا فغضب وحمل فأسه وذهب إلى الشجرة فتلقاه الشيطان مثل المرة الأولى فأراد صده فما قبل وأخيرا تصارعا فصرع ابليس العابد وختم على صدره فقال كيف ذلك وكيف غلبتني هذه المرة قال إبليس غلبتك في هذه المرة لأنك قمت غضبا للدينارين وفي المرة الأولى كان غضبك لله فكان الله معك ومن كان معه الله لن يغلب ويؤيد هذه القصة قوله تعالى

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ الآية ٤٠ من سورة الحجر

إذ لا يستطيع أن يتغلب على من أخلص لله عمله .أ. هـ .

وقال بعضهم في إخلاص ساعة نجاة الأبد ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه الإخلاص وقال العلماء فيمن عمل عملا يتقرب به إلى الله لكن فيه شائبة إن ذلك لا يكون إخلاصا لله- ومثلوا بذلك كمن صام تقربا إلى الله ولكنه مع ذلك أراد أن يخفف من الأكل لأجل الصحة وكمن يصلي تقربا إلى الله لأنه امتنع عليه النوم أو لأنه يحرص متاعا أو أصحابا وهذا أدنى شيء أخل بالإخلاص فكيف بمن يتصدق لكي يكتسب رضى المتصدق عليهم ومثل ذلك وبالجملة فإن عمل عملا يريده لله ولحظ من حظوظ نفسه العاجلة زال بذلك إخلاصه وتكدر صفو عمله ويخرج من هذا العموم من نام مثلا ليقوى على قيام الليل فان هذا وإن كان له في النوم حظ عاجل إلا أنه فعله لقصد الحظ الأخروي ولذلك قيل (نوم الصائم عباده) وكذلك الأكل لهذا القصد والجماع لغض البصر وكسر الشهوة وطلب الولد أيضا في هذا حظ من حظوظ العاجلة لكن النية حولته إلى النجاح بلذة الدنيا والآخرة وقد يكون الإنسان يعمل أعمالا يعتقد أنها خالصة لوجه الله إلا أن أشياء دقيقة تعتريها مما لا يحسن بها إلا معوفق في دينه محاسب لنفسه والتوفيق بيد الله عز وجل ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

الآية ١٦ من سورة التغابن

وهذه ارجى آية في كتاب الله يقول الإمام الغزالي (وأشد الخلق تعرضا لهذه الفتنة العلماء فان الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح بالإستتباع والإستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه الرسول ﷺ وترى الواعظ يمن على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعي أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من أقربائه من هو أحسن منه وعظا وإن انصرف الناس عنه واقبلوا على غيره ساءه ذلك وغمه ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا المهم غيره) ثم الشيطان ذلك لا يخليه ويقول إنما غمك لإنقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب واغتمامك لفوات الثواب المحمود وليت شعري لو اغتم عمر بتصدى أبي بكر رضي الله عنهما للإمامة أكان غمه محمودا أو مذموما ولا يستريب ذو دين أن لو كان ذلك لكان مذموما وقد ينخدع بغرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكائد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بهما أ. هـ.

الصدق

الصدق واجب وهو ضد الكذب والكذب لاشك أنه مذموم ملعون صاحبه (ألا لعنة الله على الكاذبين) فإذا كان الكذب كذلك كان الصدق محمودا وقد أثنى الله كثيرا على الصادقين والصادقات ومن تعود الصدق صار صديقا واختار الله جل شأنه هذا اللقب لكثير من انبيائه عليهم السلام وسمي الصديق أبو بكر رضوان الله عليه صديقا لكثرة صدقه ولتصديقه النبي ﷺ دون أن يسمع منه وذلك في حديث الإسراء المشهور لما رجع النبي ﷺ من بيت المقدس وأخبر قريشا فكذبوه وقالوا هذا مستحيل أن يذهب من مكة إلى الشام ويرجع في ليلة واحدة فجاء لهم بشواهد تشهد بصدقة ولكنهم لم يقنعوا وذهب بعضهم إلى أبي بكر كالشامت فقال له أسمعت ما قال صاحبك وأراد أن يضلله قال كذا وكذا فقال أبو بكر (إن كان قال فقد صدق) فسماه الله على لسان جبريل صديقا ولما سئل كيف صدقته

قال أصدقه في خبر السماء وأين السماء منا فكيف في خبر الأرض التي نحن فيها- أو ما في معناه - وقال النبي ﷺ «إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» رواه ابن مسعود ويكفي في فضيلة الصدق إن الصديق مشتق منه وقال ابن عباس (أربع من كن فيه فقد ربح، الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر) وقال بعض العلماء (أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال إنها إذا صحت ففيها النجاة - ولا يتم بعضها إلا ببعض - الإسلام الخالص من البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الأعمال وطيب المطعم).

ولا يجوز الكذب مطلقا إلا ما استثناه بعض العلماء في ثلاثة مواضع في الصلح بين اثنين تقول بشيء غير واقع لقصد تمام الصلح والثاني كان يكون للرجل زوجتان فقال لإحداهما كلاما يرضيها به وإن كان ليس له أصل لكنه غير مؤثر ضررا في مال ولا في نفس والثالث في خدعة الحرب مع أعداء الدين ويلتحق بهذا التعريض قولهم (إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب) وهذا يقع كثيرا ويتحرز الإنسان به عن الكذب إذا اضطر إلى تقية من جبار أو إعراض عن جميل لا يستطيع تنفيذه أو مثل ذلك كما حكي أن رجلا طلبه جبار من بيته فقال لزوجته خطي خطا في الأرض وضعي أصبعك عليه وقولي للجبار ليس هنا فظن الجبار أنه ليس بالدار أصلا وهي تعني أنه ليس في ذلك الخط فسلم منه أ.هـ

وكان النبي ﷺ إذا أراد غزوة ورى بغيرها وما يروى عنه ﷺ لما سألته العجوز أن يسأل الله لها الجنة قال «العجائز لا يدخلن الجنة» فبكت فأخبرها أن العجوز ستكون بنتا إذا دخلت الجنة.

وقد أثنى القرآن على أهل الصدق مع الله ومع الناس فقال

رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا الآية ٢٣ من سورة الأحزاب

فهذه الشهادة الصادقة التي ينبغي للمؤمن أن يعتمد عليها لا شهادة الدكتوراه وغيرها فيفوز من نال هذه الشهادة ورضي بها لا يقال إنها لمن وردت فيه من الصحابة بل هي عامة لهم ولغيرهم ممن صدقوا الله وجاهدوا عدوه وأخلصوا

له وأنى لنا بأمثال هؤلاء وقد وهت العزائم وخملت الهمم وأخلدت النفوس إلى الراحات ونسوا ما أعد الله من النعيم المقيم لمن جاهد في سبيله ونصح لدينه وآثر الآخرة على الدنيا وخاف مقام ربه الأعلى في سره وجهره وفي الخلوة وعند الملأ.

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى ... فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فإن خالف الإعلان سرا فماله ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا

وقال بعض الصالحين (إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة)*.

فصل الكسب والحث عليه

السعي لإكتساب المعاش واجب ولا يكون الإنسان كلا على غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخلق ومدبر الرزق جعل الدنيا دار الإكتساب وجعل الآخرة دار الثواب والعقاب فكل من اكتسب عيشه من حلال وفق في الدنيا وأثيب في الآخرة ومن اكتسب عيشه من حرام خسر الدنيا والآخرة رسول الله ﷺ يقول «من جمع مالا من تهاوش اذهبه الله في نهابر» (التهاوش) في اللغة ما غصب وسرق (والنهابر) المهالك وجهنم أعاذنا الله منها - والمعاش ذريعة إلى المعاد ومعين عليه والخمول والإتكال ليستا من صفات المؤمن.

أحب الفتى ماضي العزائم حازما ... لدنيا وأخرى عاملا بالتشمر
وأما أخو النومات لا مرحبا به ... ولا بالجثوم الراكد المتدثر

ونعم المال الحلال رائح بصاحبه إلى الجنة.

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا ... وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

وقد أمر الله عز وجل بالكسب في كتابه العزيز فقال

﴿فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾

الآية ١٠ من سورة الجمعة

وقال

﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾

الآية ٢٠ من سورة المزمل

وقال ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾

الآية ١٩٨ من سورة البقرة

ويقول الرسول ﷺ «من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا الهم في طلب المعيشة» ويقول «التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء» ويقول «من طلب الدنيا حلالا وتعففا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر» وكان جالسا مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله فقال ﷺ «لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على نفسه ليكفيها عن المسألة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان» أخرجه الطبري وقال ﷺ «عليكم بالتجارة فإن فيها تسعة أعشار الرزق» وقال «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا أعطاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه» ويقول «من فتح على نفسه بابا من السؤال فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر» ويقول لقمان الحكيم رضي الله عنه (يا بني استغن بالكسب الحلال عن الفقر فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال رقة في دينه وضعف في عقله وذهاب مروءته وأعظم من هذه الثلاث استخفاف الناس به) وقال عمر رضي الله عنه (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة) وقال بعض الفقهاء (ليس العبادة عندنا أن تصف قدميك وغيرك يقوت لك ولكن ابدأ برغيفك فاحرزهما ثم تعبد» ولا تعني هذه الأحاديث الكريمة إنك تنغمر في الدنيا وتلهث وراء الكسب، لا إنما تعني إنك تكتسب تعففا ولم تنس ما يلزمك لربك من الحقوق - فتنبه - وللبيع والشراء - شروط من أرادهما فليرجع إلى كتب الفقه فإن فيها ما يرشدك ويدلك وينقذك من البيوعات المحرمة خصوصا في هذا الزمان الذي شغل أبناؤه بالتكاثر من المال ولا يسألون من أين يجيء وهذ

البنوك التي أذهبت بالبركة وجلبت على الناس الوبال وأغرتهم بدعاياتها المزوقة المزخرفة وصار الناس يحسبونه هينا ويظنونه هينا وهو يسلب أكثر مما يعطي والله أعلم بما يورثه لك في الآخرة من الحساب الطويل والعقاب الأليم وأن أعتقد هذا الآخذ أنه يتخلص من ذلك فأنى لـه ولمن يتخلص إنما هو مال مختلط يورث (الرين) على القلب فلا حول ولا قوة إلا باللـه فالتجارة يا إخواني ليست بالشيء الهين كما يزعمهـا الناس وخذ عبرة وقـدوة مما يروى عن الإمام عبد الـوهاب الرستمـي مع ولده أفلح رضي اللـه عنهما يقال أن أفلح استأذن أباه في التجارة فقال لـه تعلم ثم اخبرني فلما عزم على السفـر واحضر ركابه اخبر أبـاه فعرض عليه ثلاثمائة مســألة في البيع والشراء وقال له إن اجبتني عنهـا ابحث لك فيقال أن أفلح أجاب عن ٢٩٧ وتـردد في ثلاث ثم أجاب عنهـا فقال أبوه تأخـر يا بني عن التجارة لا تطعمنا الحرام، فقس هؤلاء بتجارنا اليوم.

فصل في حسن الخلق وفضله

سبق أن ذكرنا في رقم ٥ نبذة قليلة من ذلك ونورد في هذا الرقم تفصيلا أكثر لحث الشباب على التمسك بالأخلاق الحسنة وسيرة الأخيار يرغب في السير خلفها إذ هي الموصلة إلى رضى الله عز وجل وبالله التوفيق.

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

الآية ٤ من سورة القلم

وقالت الصديقة عائشة بنت الصديق رضي الله عنهما لما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن، وسأل رجل رسول الله ﷺ عن حسن الخلق فتلا قوله تعالى

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

الآية ١٩٩ من سورة الاعراف

ثم قال «هو أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك» وقال ﷺ «بعثت متمما لمكارم الأخلاق» وقال «أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق» وجاء رجل إلى رسول ﷺ من بين يديه فسأله ما الدين فقال «حسن الخلق» وأتاه من قبل يمينه فقال يا رسول الله ما الدين فقال «حسن الخلق» ثم أتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال «حسن الخلق» ثم أتاه من ورائه فقال يا رسول الله ما الدين، فالتفت إليه أما تفقه هو أن لا تغضب وقيل يا رسول الله ما الشؤم قال «سوء الخلق» وقال رجل لرسول الله ﷺ أوصني قال «اتق الله حيثما كنت» قال زدني فقال «أتبع السيئة الحسنة تمحها» يقول العلماء الحسنة التي تتبع السيئة هي التوبة عن تلك السيئة أ.هـ

قال الرجل للرسول زدني فقال «خالق الناس بخلق حسن» وقيل لرسول الله ﷺ إن فلانة تصوم النهار وتقوم الليل إلا أنها سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها قال «لا خير فيها هي من أهل النار» وقال «سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل» وقال وهب بن منبه مثل السيء الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد طينها» وقال ابن عباس رضي الله عنهما - لكل بنيان - أساس وأساس الإسلام حسن الخلق. وقد كثرت أقوال أهل العلم في حسن الخلق ما هو

فقالوا كثيرا من الأقوال ـ وأنا أقـول ولم أجده عن غيري فعسى أن يكون صوابا ـ حسن الخلـق يتمثل في قوله ﷺ «المسلم من سلـم المسلمون من لسانـه ويده» فرب إنسـان كريم البذل إلا أنه يـؤذي بلسانه ورب إنسان سخي المحيا إلا أنه وقاع في النـاس وهكذا والكمال في الناس عـزيز والكامـل هو الله وحـده ويقول العلماء أن أمهـات محاسن الأخـلاق أربع الحكمـة والشجـاعـة والعفـة والعـدل والباقي فروعها «ولم يبلغ الكمال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه ولا شك أن من قرب من النبي ﷺ فهو قريب من رضى الله سبحانه وقد أشار القرآن إلى هذه الأخـلاق في أوصاف المؤمنين فقال تعالى

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ الآية ١٥ من سورة الحجرات

ولا بد من مجاهدة النفس على تحسين الخلق فإنه لا ينال ذلك إلا بـالتطبع فأما من جبل على حسن الخلق فـذلك نادر كالأنبياء مثـلا أو غيرهم القليل ممن جبله ربه وكلما جاهد المسلم على فعل طاعة زاد له الثواب وحصل له من الله التوفيق

وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

الآية ٦٩ من سورة العنكبوت

وأكثر ما يتـولد سوء الخلق من الشهوة والغضب فليكن المسلم حريصا عندهما على أن لا يستوليا عليه وإن كانا مطبوعين في المخلوق ولا يزولان أصلا ولو زالا لفسد كثير بـزوالهما فعلى سبيل المثال لـو زالت شهـوة الطعام لهلك هـزالا ولو زالت شهوة النكاح لانقطع النسل ولو انعدم الغضب لم يدفع المسلم عن نفسه ما يهلكه ووقع في المحـرم والدفاع عن النفس واجب وهكذا لكن المراد أن يكون كل شيء باعتدال ووسط كما وصف القرآن الصحابة رضوان الله عليهم بقوله

أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ الآية ٢٩ من سورة الفتح

بمعنى إنهم يضعون الشدة في موضعها ويضعون الرحمة في موضعها وكلما كان الشيء وسطـا كان محمـودا : كـالسخاء مثـلا وهـو صفة بين التبـذيـر والبخل والشجاعة صفـة بين الجبن والتهور والعفة صفة بين الشره والجمـود والمخالطة

لها تأثير قوي على الإنسان سواء كانت مخالطة للأخيار يكتسب منهم الأخلاق الحميدة ومخالطة للأشرار يكتسب منهم الأخلاق الذميمة ومثلوا بذلك كمن يجالس العطار أو الحداد فالأول ينالك طيبه والثاني يصيبك شرار ناره فليختر العاقل لنفسه والطبع يسرق من الطبع وأهل عمان يقولون (أربط الحصان مع الحمار يأخذ من شهيقه ونعيره) وقد وصف الرسول ﷺ المؤمن بصفات كثيرة أشار بجميعها إلى محاسن الأخلاق فقال «المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه» وقال «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» وقال «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» وقال « أكمل المؤمنين إيمانا احسنهم أخلاقا» وقال «إذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فإنه يلقن الحكمة» وقال «من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن» وقال «لا يحل لمؤمن أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه» وقال «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً» وقال «إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله عز وجل فلا يحل لأحدهما أن يفشي على أخيه ما يكرهه» والأحاديث في ذلك كثيرة وإنما ذكرنا نموذجا منها للإغراء على المطالعة وقيل للأحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم كان يوما يحدث أصحابه فجيء بابن له مقتولا وابن أخ مكتوفا فقيل هذا ابن أخيك قتل ابنك قال فوالله ما حل حبوته ولا قطع حديثه ثم التفت إلى ابن أخيه فقال له ما حملك بابني على أن قطعت يمينك بشمالك ثم قال لبنيه حلوا كتاف ابن عمكم وجهزوا أخاكم واحملوا إلى أمه ديته لأنها ليست من عشيرتنا، ومرض مرة فأنكر الناس لا يعودونه فسأل فقيل له إن الناس يستحيون منك لما عليهم من الديون فأمر مناديا في السوق أن من عليه لقيس ابن عاصم حق فهو بريء الذمة منه قال الراوي فانكسرت في اليوم الثاني درجة بيته لقوة زحام العائدين.

نشأة الأطفال على الأخلاق الحسنة

وهذا سببه الآباء إذ للآباء والأمهات دور كبير في نشأة أطفالهم ونادرا أن ينشأ الطفل نشأة حسنة من دون مراعاة آبائه له وملاحقته في حركاته وقد قدمنا أن على الاب أن يختار المرأة ذات الدين والأصل ليكون ولده مثلهما ــ عملا بالحديث الشريف « اختاروا لنطفكم فان العرق دساس» وقلب الطفل جوهرة نفيسة لا ينبغي أن تضاع خالية عن كل نقش وهي قابلة لكل ما ينقش فيها فإن نقش فيها الطيب طابت وإن نقش فيها الخبيث خبثت والابوان شريكان في طيبه وخبثه ولله العجب أن الابوين يقيان ولدهما من كل ما يضره فلم لا يقيانه من المضرة الكبرى وهي التردي في الدنيا والعذاب في الآخرة ما هذه الغفلة في الآباء وقال :

وليس يضر القوم موت خيارهم ولكن يضر القوم أن خدج النسل

فأي مصيبة على المرء أن يربي ولده ويتعب عليه حين يكون صغيرا فإذا كبر أضاعه فينشأ من السفلة الذين تقتحمهم العيون وتربأ عنهم نفوس الأحرار فأي خسارة هذه مع العقلاء لكن الذين قال فيهم أبو الطيب، ولا يبالي بذم، من قد تعود كسبه فهؤلاء نفوسهم ميتة ما يبالون في أنفسهم فكيف يبالون في أولادهم ويقول :

وما ينفع الأصل من هاشم إذا كانت النفس من باهله

فينبغي للآباء أن يراعوا أولادهم منذ الرضاعة إلى البلوغ فإذا بلغ ونفعت فيه التربية فذلك فضل من الله عليهم جميعا وإن لم تنفع التربية وبعد البلوغ تردى الولد وهذا نادر فتلك شقاوة غلبت علية ليس للآباء دور فيها ولا مؤاخذة عليهم فيها ولا يدعوهم ذلك عض كف الندم أنهم أضاعوا تربية ولدهم والآن وقد استعصى عليهم لا يملكون منه شيئا فهذه اللائمة ولا شك تلحق من أهمل تربية ولده وقام إليه بعدما ملك رشده وفات الاوان ليصده عن سفهه فهنا يستحق أن يقال له بالمثل السائر ــ ما ذنبي معك يداك أوكتا وفوك نفخ[1]

يراقبه أبوه وأمه في نومه وفي أكله وفي لباسه وفي تعلمه وحين يعود من

(١) سبب المثل ان اثنين لكل واحد منهما قربة ركب عليها ليعبرا نهرا فانحلت قربة أحدهما وصاح على أخيه اتركني فقال له : ما ذنبي معك يداك أوكتا وفوك نفخ ــ فغرق في النهر

المدرسة ويسـأله ماذا تعلـم وأين سار ومن صحبـه في الطريق ومـاذا أكل ومن أعطاه الشيء ولماذا أعطاه حتى يحس أن وراءه مسؤوليـة لا يدعه كالبهيمة تمرح وتسرح ويقـولان يا مـدرسة دونك ولـدنا فعلميـه وهذبيـه واصنعي لنا رجـلا فالمدرسة دورها في الولد حين يدرس بها فإذا خرج فلا تعرف المدرسة عنه شيئا فلعل ترديه يكون بين البيت والمدرسة إذا لم يلاحق من قبل أوليائه.

أول ما يعرف مـن الطفل من تربيته في صغره الحيـاء فإذا رأيته يستحي من بدو عـورته أو صدور ما يستقبح فعلـه ذلك من أشراق نور عقله وهـذه بشارة تدل على مستقبله الحسن فمثلـه لا ينبغي أن يهمل بل تنتهز فرصـة وفور عقله فيحسن لـه الأفعـال الحسنـة ويبغـض عليـه الأفعـال السيئـة ويخبر عن سيرة الصالحين ليقتدي بهم وأخبار الجائرين ليحـذر من القرب منهم وهكذا ولا تترك الفرصة تمر، ويحث على تحفظ القرآن والأحاديث والعقائد الصحيحة وما ورد في ذلك عـن الأئمة فبـذلـك يكون أبـواه شريكين في ثـواب مـا سيفعلـه من الأعمال الصالحة وإن مـاتا يلحقهما الثواب لحديث «الـدال على الخير كفاعله» ثـم حديث «كل عمل ابن آدم ينقطع بعـد موته إلا من ثـلاث ولد يدعو لـه أو نهر أجراه أو مصحف وقفـه» ولا يعودانه الـرفاهيـة والترف فإنه ليس مـن سيما الصالحين ويحفظ من مخالطـة أهل اللهو ومـن الأشعار التي فيهـا ذكر العشق والخلاعـة وممن يشتغلـون بذلك بحجـة أن ذلك من الظـرف ورقـة الطبع فذلك يغـرس في قلوب الصبيـان بذر الفسـاد ثم مهما ظهـر من الصبي خلق جميل وفعل حميد ينبغي أن يكرم عليـه حتى يستقر في نفسـه أن ذلك خير فيستمر عليـه ويتجاوز عن هفواته إن هفا لا سيما إن كان في حضرة الناس أو كـان هو خافيا لذلك فإن عاد مرة ثانية فهذا يجب نصحه وعزله منفردا وفي الثالثة لابد من تأديبه حتى لا يتجاسر على فعل الدنيات.

ورآني أبي يـوما أبـول ومـا استجمرت وأنـا يـومئذ في العـاشرة من عمـري فضربني، ورآني يوما شرها على أكل غـريب أحضر فضربني وحرمني منه لمجرد الشره فقط وكنت لم أتجاوز السـادسة وبقيت هذه في قلبي كـل ما حضر أكل أو قضاء حـاجة تهيبت من ذلك وأنا الآن شيـخ تجاوزت الستين وكان جـزاه الله خيرا، لا يضحك في وجوهنـا ولا يمزح معنا حـذرا منه عن الجرأة على فعل شيء مستهجن إن نهانا عنه لا نهاية لما عـودنا من الممازحة وفي المثل «لا تري الصبي سنك فيريك إسته»

بسم الله الرحمن الرحيم

الآفات الملازمة للمسلم

أربع آفات ملازمة للمسلم لا ينفك عنها أبدا إلا بجهاد مضني :

وهي البطن والفرج واللسان والعين وقائدهن النفس فإن كل الاربعة يردن ويصدرن عن أمر النفس لهن وكل الخطايا الصادرة من المسلم لو تدبرت لرأيتها لا تخرج من دائرة هذه الأربع فالبطن مثلا يبعث على صاحبه الشهوة وأنت تدري ما يترتب على الشهوة من خطورة وخذ مثلا على ذلك شهوة أبينا آدم عليه السلام وزوجه في الجنة إذ أباح لهما الله كل ما في الجنة إلا شجرة واحدة نهاهما عنها فما عسى «أن تغني تلك الشجرة مع وجود سواها من أنواع الأطايب فحملتهما الشهوة إلى أن رغبا في الأكل من الشجرة المنهي عنها فبدت لهما سوءاتهما وأخرجا من نعيم الجنة إلى شقاء الارض فكيف بغيرهما : ثم إذا شبع الإنسان ترتب على الشبع أشياء كثيرة فهو ينبوع الشهوات وكثيرا ما حث النبي ﷺ على قلة الاكل كقوله «الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي العبادة» ويروى أنه ﷺ كان يجوع من غير عوز، أي مختارا لا لعدم الأكل وقال «لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء» وقال «ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وإن كان لابد فاعلا فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه» وروى «أن أبا جحيفة تجشأ — ترع — في مجلس رسول الله ﷺ فقال له أقصر من جشاك فإن أطول الناس جوعا يوم القيامة أكثرهم شبعا في الدنيا، وليس كل هذه الأحاديث على اطلاقها ودائما هي تنهي عن الشبع المفرط الذي يورث التقاعس عن أداء الواجبات وقد يكون الجوع شرا من الأكل — فرب مخمصة شر من التخم — ويكون الجوع أقرب إلى الكفر من الشبع لكن الشر في الشهوة التي تجر صاحبها إلى غير مرضاة الله وإلى انتهاك حرماته كما قدمنا عن أبينا آدم عليه السلام وحكي أن نبي الله عيسى عليه السلام لقي إبليس مرة فقال له هل أغويتني قط

قال : نعم مرة واحدة شبعت يوما فانساك الشبع وردك قال عيسى علي أن لا أشبع بعدها ابدا فقال إبليس وعلي أن لا أنصح أحدابعدها.

آفة الفرج :

وهي سلطان قاهر إلا أن يملك الموفق نفسه منها ويقال - إذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله - ويروى عن النبي ﷺ قال «النساء حبائل الشيطان ولولا هذه الشهوة لما كان للنساء سلطة على الرجال» وقال بعضهم (إن الشيطان يقول للمرأة أنت نصف جندي وأنت سهمي الذي أرمي به فلا أخطيء وأنت موضع سري وأنت رسول في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصف جنده الغضب) ويقول الغزالي (وأعظم الشهوات شهوة النساء وهذه الشهوة لها إفراط وتفريط واعتدال فالإفراط ما يقهر العقل حتى يصرف همة الرجال إلى الإستمتاع بالنساء فيحرم عن سلوك طريق الآخرة أو يقهر الدين حتى يجر إلى اقتحام الفواحش والتفريط بالعفة أو بالضعف عن الإمتاع وهو أيضا مذموم وأما المحمود أن تكون الشهوة معتدلة أو مطيعة للعقل والشرع في انقباضها وانبساطها ومهما أفرطت فكسرها بالجوع والنكاح قال رسول الله ﷺ «معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فالصوم له وجاء) أ.هـ

وقال سعيد بن المسيب : ما أيس إبليس من أحد إلا وأتاه من قبل النساء ويقول وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالأخرى ما شيء أخوف عندي من النساء والذي يملك نفسه عند التمكن من قضاء شهوته هو الرجل الكامل وأمام هذا النوع من المسلمين هو يوسف الصديق عليه السلام وقصته في القرآن العظيم فكل من فعل مثله فهو تلميذ عليه ولذلك قال «من عشق فعف فكتم فمات مات شهيدا» وقال رسول الله ﷺ «سبعة يظلهم الله في ظله فعد منهم رجل دعته امرأة ذات حسن وجمال إلى نفسها وقال إني أخاف الله رب العالمين» فهذه منزلة عظيمة لا يقوى عليها إلا كمل الرجال قد يوجد مثل هذا فعف من عدم استطاعة لإتيان النساء أو لحياء من أحد أو لغرض ما من الموانع فليس هذا مقصودا إنما المقصود من تمكن وعنده الإستطاعة وعنده الإمكانية ولا مانع يمنعه إلا خوف الله فهذا هو الرجل الكامل.

والظلم من شيم النفوس   فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

والعلل كثيرة وعلة التقوى هي العلة المحمودة.

شهوة اللسان :

اللسان نعمة من نعم الله العظيمة مع صغر جرمه ولا يستبين الكفر من الإيمان إلا باللسان ولا يتوصل إلى إرشاد العباد والدعوة إلى سبيل الله إلا باللسان وهو رحب الميدان ليس له حدود بخلاف سائر الأعضاء فإن منفعتها محدودة فينبغي أن تستغل هذه النعمة إلى التوصل إلى مرضاة خالقها فيك ولو شاء لجعلك أبكم مثل البهيمة أيليق بالحر أن يكافئ على الإحسان سوءا فليتق الله من رزقه ولا يستعمله في إنفاذ شهواته فإن له شهوات كثيرة تدخل صاحبه النار كما قال النبي «وهل يكب الناس على وجوههم أو قال على خياشيمهم إلا حصائد ألسنتهم» فمن آفات اللسان القائدة إليها الشهوة : ـ

١ – فضول الكلام

٢ – التصنع في الكلام خاصة الخطباء والذين أوتوا الفصاحة وتيسر الكلام.

٣ – الخوض في الباطل

٤ – المراء والجدال.

٥ – الخصومة.

٦ – التقعر في الكلام.

٧ – الفحش والسب وبذاءة اللسان.

٨ – اللعن لحيوان أو جماد أو إنسان.

٩ – الغناء والشعر الحرام.

١٠ – المزاح

١١ – السخرية والإستهزاء.

١٢ – إفشاء السر.

١٣ – خلف الوعد.

١٤ – الكذب.

١٥ – اليمين الفاجرة.

١٦ – اللسانين يكون مع هذا بلسان ومع الآخر بلسان ضده.

١٧ – المدح.

١٨ – سؤال العوام عن صفات الله.

١٩ – الغيبة.

٢٠ – النميمة.

فهذه عشرون آفة بلا حصر للآفات وكلها كبائر والغيبة والنميمة أشدها وقاس العلماء عليها نقض الوضوء بالكبائر وإبطال الصوم للحديث الوارد في ذلك «الغيبة والنميمة ينقضان الوضوء ويفطران الصائم» فبعض العلماء يقول إن الكبائر كلها تنقض الوضوء وتفطر الصائم قياسا على هاتين الكبيرتين والبعض الآخر أوقف النقض عليهما فقط وقوفا مع النص وقد حث الشارع على الصمت حذرا من الوقوع في شيء من آفات اللسان فمنه قوله ﷺ «من صمت نجا» وقوله ﷺ «الصمت حكم وقليل فاعله» وقال بعض الصحابة لرسول الله ﷺ أخبرني عن الإسلام بأمر لا أسأل عنه أحدا بعدك قال «قل آمنت بالله ثم استقم» قلت فما اتقي فأومأ بيده إلى لسانه» وقال الرسول ﷺ «ومن يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة» يعني لسانه وفرجه وقال «من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقى الشر كله» القبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان وبهذه الشهوات ـــ الثلاث يهلك أكثر الخلق نسأل الله العافية وقال أنس بن مالك رحمه الله قال ﷺ «لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يأمن جاره بوائقه» وعن سعيد ابن جبير عن الرسول ﷺ قال «إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان تقول (اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا) وقال الرسول ﷺ «ألا أخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن الصمت وحسن

الخلق» وقال سليمان بن داوود عليه السلام إن كان الكلام من فضه فالسكوت من ذهب» وقال عيسى عليه السلام» العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس» وكتب عمر بن عبد العزيز (أما بعد من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه) وروى عن بلال بن الحارث قال قال رسول الله ﷺ «إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة».

وروى أن رجلا مدح رجلا بحضرة النبي ﷺ فقال عليه السلام «ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح» ثم قال «إن كان أحدكم لابد مادحا أخاه فليقل أحسب فلانا ولا أزكي على الله أحدا حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك».

الجزء الخامس عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

من الآفات الملازمة للمسلم
آفة العين

العين هي الرائد للجوارح في الخير والشر وآفة النظر آفة كبيرة ينبغي للمسلم التحفظ من فتنتها مع عسر التحفظ وقد يستهان به بعدم التنبه لذلك والآفات كلها أصلها النظر أول ما ينبني عليه الغرام.

نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء

ولا بد للنظر من أن يسبق ولكن لا يؤاخذ العبد بالنظرة الأولى الخطأ لقوله ﷺ «لك الأولى وعليك الثانية» فإذا أتبع النظرة النظرة زاد في عينه حسن المنظور وإن كان غير حسن لأن الشيطان يزين القبيح فربما لم يحصل على رغبته من الذي رغب فيه وزين له فتبقى له الحسرة والله أعلم بمداها فينبغي إذا سبق نظره إلى شيء محرم وتابعته نفسه ليعاود النظرة فالأولى أن يقرر أن المعاودة عين الجهل ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير الآفات.

وإلا فمهما لم يحفظ عليه عينه لم يستطع حفظ غيرها وتفرق عليه عمله وربما وقع في بلية لا يطيقها قال نبي الله عيسى عليه السلام (إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها من فتنة) وقال نبي الله داود عليه السلام لابنه سليمان عليهما السلام (يا بني أمش خلف الأسد والأسود ولا تمش خلف المرأة) وقيل ليحي عليه السلام (ما بدأ الزنا فقال النظر والتمني) ويقول إبليس (النظر هو قوسي القديمة وسهمي الذي لا أخطيء به) ويروى عن النبي ﷺ إن قال «النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفا من الله تعالى أعطاه الله تعالى إيمانا يجد حلاوته في قلبه» ويقول «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» وقال «اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت من قبل النساء» رواه أبو سعيد ويقول «لكل ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي والفم يزني وزناه القبلة والقلب يهم أو يتمنى ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه» رواه أبو هريرة.

وقالت أم سلمة استأذن ابن أم مكتوم الأعمى على رسول الله ﷺ وأنا وميمونة جالستان فقال عليه السلام احتجبا فقلنا أو ليس أعمى لا يبصر فقال وأنتما لا تبصران» وفي رواية الربيع رحمه الله «أفعمياوان أنتما» وفي النساء من ينظر إلى العميان وهذا الحديث دليل على عدم الجواز.

ويروى أن رجلا صالحا كان مؤذنا في مسجد سنين طويلة لا يفارق الأذان وينظر إليه أنه أفضل أهل زمانه فصعد ذات يوم إلى منارة المسجد فنظر تحته إلى بنت نصرانية في بيتها فكرر النظر ولم يطق مفارقة المنارة فرأته البنت فتبادلا النظر فأشارت إليه أن يتسور الجدار ليصل إليها فتسور فسقط ومات في بيتها قبل أن ينال حاجته فنعوذ بالله من سوابق الشقا.

ويحكى أن رجلا من التابعين كان يحفظ القرآن كله ويحفظ كثيرا من أحاديث النبي ﷺ فرأى نصرانية أخذت بقلبه فتبعها فوافقته على هواه ولكنها اشترطت عليه أن يرتد عن دينه فارتد والعياذ بالله فعاش معها مدة في أنطاكية ومر بعض أصحابه أنطاكية فسألوا عنه فقيل لهم في المكان الفلاني فذهبوا إليه فوجدوه يرعى الخنازير فسألوه عن حاله فقال سلوا الله العافية قالوا إنك كنت تحفظ القرآن وتحفظ من الأحاديث فقال لم يبق لي من القرآن إلا آيتان وهما

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

الآية ٨٥ من سورة آل عمران

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

الآية ٢١٧ من سورة البقرة

ومن الأحاديث حديث واحد هو «من بدل دينه فاقتلوه» لا حول ولا قوة إلا بالله ومن النظر المودي للهلاك نظر المسلم إلى الدنيا بكل الإعتناء والإكبار وعدم الإعتناء بالآخرة الباقية التي إليها المآل وليس عاقلا من آثر الفاني على الباقي وينبغي أن تجعل الدنيا كمطية تحمل صاحبها إلى أن يبلغ الدار التي عبر إليها

فليست الدنيا تستحق أكثر من أن تكرم لتوصل إلى المطلوب فبما أن المركوب يحافظ عليه ويكرم ليوصل كذلك الدنيا تكرم ويحافظ عليها لتوصل إلى الآخرة إذ الدنيا وسيلة والغاية هي الآخرة قال الله تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ

الآية ٩ من سورة المنافقون

وقال

إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ

الآية ١٥ من سورة التغابن

وقال مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا

الآية ١٥ من سورة هود

الآية وقال

كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ

الآيتان ٦،٧ من سورة العلق

وقال الرسول ﷺ «حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل» وقال «ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأكثر إفسادا فيها من حب الشرف والمال والجاه في دين الرجل المسلم» وقال يهلك المكثرون إلا من قال به في عباد الله هكذا هكذا وقليل ما هم» وقال «سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطايب اللذائذ وألوانها ويركبون فره الخيل وألوانها وينكحون أجمل النساء وألوانها ويلبسون أجمل الثياب وألوانها لهم بطون من القليل لا تشبع والنفس بالكثير لا تقنع عاكفون على الدنيا يغدون ويروحون إليها اتخذوها آلهة من دون إلههم وربا دون ربهم إلى أمرها ينتهون ولهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإسلام» رواه أبو أمامه. وقال «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت » وقال «أخلاء ابن آدم ثلاثة

واحد يتبعه إلى قبض روحه والثاني إلى قبره والثالث إلى محشره فالأول ماله والثاني أهله والثالث عمله». ويقال أنه لما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس على رأسه ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من أحبكما فهو عبدي حقا؛ وقليل من الناس من يملك نفسه عند حضرة الدينار والدرهم ويقال (اره الدرهم تعرف ورعه) وينشد :

لا يغرنك من المرء قميص رقعه أوإزار فوق عظم الساق منه رفعه

او جبين لاح فيه أثر قد خلعه أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

ويروى عن مسلمة بن عبد الملك أنه دخل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته فقال يا أمير المؤمنين صنعت صنيعا لم يصنعه أحد قبلك تركت ولدك ليس لهم درهم ولا دينار وكان له ثلاثة عشر من الولد فقال عمر اقعدوني فاقعدوه فقال أما قولك لم أدع لهم دينار ولا درهم فإني لم أمنعهم حقالهم ولم أعطهم حقا لغيرهم وإنما ولدي أحد رجلين : إما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين وإما عاص لله فلا أبالي على ما وقع) وعلى سبيل العموم فالغنى خير من الفقر لأن النبي ﷺ استعاذ من الفقر وسماه بئس الضجيع والغنى يتوصل به إلى طاعة الله أكثر من الفقر وللغنى فوائد كثيرة دنيوية ودينية أما الدنيوية فهي طبعا معروفة، وأما الفوائد الأخروية والدينية فهي الإنفاق في العبادة كالإنفاق على الأولاد والإنفاق على الفقراء والتصدق على الحج والجهاد وعلى المسكن والمنكح و المركب الذي لابد منه وكل ما لا يتوصل إلى الطاعة إلا بإنفاق مال في سبيله فهو من العبادات التي يثاب عليها العبد إن أحسن النية، كوقاية العرض وهي صدقة وأجرة المستخدمين أو كبناء المساجد والقناطر والرباطات وغير ذلك من الأوقاف المرصدة للخير وهذا كله خير يوصل إلى مرضاة الله عز وجل وهذا المال النافع هذه المنافع قد يعود بوبال وشر على صاحبه إذا قصنبن ببذل المال شهوات الفجور والفخر والإعجاب بالنفس والمال والشره الكبير الذي يجر إلى أخذ المال من حله ووضعه في غير محله أو أن يشغله المال واكتسابه عن واجبات دينه وإذا جاء إلى المسجد مثلا يصلي كأنه على جمر الغضا إلى أن يخرج منه جسده داخل المسجد وروحه وقلبه يتابعان أشغاله خارج المسجد فإذا تأخر الأذان مثلا أو الإقامة تراه ينظر ساعته ويصيح على المؤذن فات الوقت فات الوقت هيا أقم الصلاة ضاعت أشغالنا وهكذا فما ظنك بصلاة مثل هؤلاء سوى ما يقاسي أهل الأموال من خوف وحزن وسهر ليل وعدم استقرار فلا ينام إلا

إذا أكل منوما ولا يجد فراغا حتى أن يأكل في بطنه فما فائدة هذا المال :

وكل ذي مال به لم يسترح فهو سواء والفقير قد شرح

والمهم أن الفتن تحيط بالإنسان سواء من جهة الفقر أو من جهة الغنى والكل منها يحتاج إلى صبر وجهاد

﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

الآية ٣٥من سورة الانبياء

نسأل الله تعالى السلامة وحسن العون بلطفه وكرمه إنه على ذلك قدير. آمين. ووردت أحاديث في القناعة وذم الطمع فيما في أيدى الناس قال الرسول ﷺ «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لها ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب» ويقول«منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال» ويقول يهرم ابن آدم ويشب معه اثنتان الأمل وحب المال أو كما قال ويقول «طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به» ويقول«ما من أحد فقير ولا غني إلا ويوم القيامة انه كان أوتى قوتا في الدنيا» ويقول ليس الغني عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس ويقول «أيها الناس اجملوا في الطلب فإنه ليس لعبد إلا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة» وقال ابن مسعود قال الرسول ﷺ «إن روح القدس نفث في روعي وان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب» وروى أبو أيوب رضي الله عنه أن أعرابيا أتى النبي ﷺ فقال يارسول الله عظني وأوجز فقال «إذا صليت فصلي صلاة مودع ولا تحدث بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس مما في يد الناس» وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر بالقصد في الباطن واليأس عما في أيدي الناس... يحكى أن رجلا صاد قنبره فقالت ما تريد أن تصنع بي قال اذبحك وآكلك قالت والله ما أشفي من قوم وأشبع من جوع ولكن أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي أما واحدة أعلمك وأنا في يدك وأما الثانية فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة إذا صرت على الجبل قال هات الأولى قالت : لا تلهفن على ما فاتك، فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت : لا تصدقن بما لا يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت : ياشقي لو ذبحتني لأخرجت من حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال : فعض على شفتيه وتلهف وقال هات الثالثة قالت : أنت

نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك : لا تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أنه يكون أنا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت.

ويقول أبو الطيب :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وقلت في المعنى :

وكل ما في الأرض مخلوق لنا كرامة ونعمة لا جلنا
وقسم الأرزاق بين خلقه فلا يزيد حاذق بحذقه
قلامه في رزقه لم تكتتب في اللوح والعكس ولو لم يطلب
لكن ترك الطلب المباح عجز وما في الكسب من جناح
بل ذلك شبه الواجب المرغب فلا تكن كلا ولكن فاطلب
من غير ما تهاوش ولا رتب[1] لكنك اتئد واجمل في الطلب
فإن ما جناك من تهاوش يذهب في نهابر مناقش
وجمعك المال بطول العمر مخالفة الفقر فعين الفقر
يا رب غفرانك والعفافا يا رب واجعل رزقنا كفافا

حكى عن أهل الفضل : عجبا لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه، وسئل بعضهم عن السخاء فقال : أن تجود بمالك في الله عز وجل قيل فما الحزم قال :أن تمنع مالك فيه. قيل فما الإسراف قال : الإنفاق لحب الرياسة وأنشدوا :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

وقال بعضهم خير المال ما وقي به العرض : وقال بعضهم : بذل المجهود في بذلك الوجود منتهى الجود وقال بعضهم : ما مددت رجلي في وجه جليس قط.

ومن حكايات البخلاء : كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه

---

١ - الرتب : الشدة والانتصاب

وقدم إليه طباهجة ببيض فأكل منـه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكـرب والموت فجعل يتلوى فلما جهـده الأمر وصـف حاله للطبيـب فقال لا باس عليك تقياء ما أكلت فقال: فاه أتقيأ طباهجة ببيض : الموت ولا ذلك أ. هـ .

واقبل أعرابي يطلب رجلا وبين يديه تين فغطاه بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل : هل تحسن شيئا من القرآن قال نعم فقرأ ..... والزيتون وطور سنين فقال الرجل : والتين فقال الاعرابي : التين تحت كسائك أ. هـ

ودعى بعضهم أخا لـه ولم يطعمه شيئا فحبسه إلى العصر حتى اشتـد جوعه وأخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال للضيف : أي صوت تشتهي أن اسمعك قال : صوت المقلا أ. هـ

ويحكي أن رجـلا بخيلا قبيـح البخل سأل نسيب لـه عنه فقيـل له صف لنـا مـائدته قـال : فتر في فتر وصحافـة منقورة من حب الخشخاش فقيل لـه فمن يحضرها قـال : الكرام الكاتبون قيل فما يأ كـل معه أحد قال : بلى الـذباب فقيل لهذا النسيب سوأتك بدت وثـوبك مخرق فلو سألته شيئا فقال : أنـا والله أعجز عن ابرة أخيط بها هذا الثوب ولو كان لنسيبي بيت من بغداد إلى النوبه مملؤ إبرا ثم جاءه جبريل وميكـائيل ومعهما يعقوب النبي عليهم السلام يطلبون منه إبرة يعيرهم أياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما أعطاهم أ. هـ .

وكان بعضهم لا ياكل اللحم بخـلا حتى يقرم* فإذا أقرم إليه أرسـل غلامه فاشترى له رأسا فاكله فقيل لـه نراك لا تأكل الا الروس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك قال : نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر أن ياكل منه إن مس عينـا أو أذنا أو خدا وقفت على ذلك وآكل منه الوانـا عينه لـون وأذنه لـون ولسانه لـون وغلصمته لـون ودماغه لـون واكفى مؤونـة طبخه وخرج يومـا يريد الخليفـة فقالت له زوجتـه مالي عليك أن رجعت بـالجائزة فقال إن أعطيت مـائة ألف فـاعطيتك درهما واحدا فاعطي ستين ألفـا فأعطاها أربعة دوانق .

فأين هؤلاء من الانصاري الذي دخل على رسول الله ﷺ فوجد عنده ضيفا لم يجد له عشـاء عند أهله فـأخذه الانصاري وذهب بـه إلى بيته ووضع بين يـديه الطعام وأمر امرأته باطفاء السراج وجعل يمد يده إلى الطعام كأنه يأكل ولا يأكل حتى أكـل الضيف فلما أصبح قـال لـه رسـول اللـه ﷺ «لقـد عجب اللـه من

---

* يقرم: يشتهي اللحم

صنيعكم الليلة إلى ضيفكم» ونزلت

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

الآية ٩ من سورة الحشر

وقيل خرج عبدالله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلب ودنى من الغلام فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبدالله ينظر إليه فقال ياغلام كم قوتك كل يوم قال : ما رأيت قال : فلم آثرت الكلب قال : ما هي بأرض كلاب إنه جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت أن أشبع وهو جائع قال : فما أنت صانع اليوم قال : أطوي يومي هذا فقال عبدالله بن جعفر ألام على السخاء إن هذا الغلام لأسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه. ونورد قصة ثعلبة بن حاطب تحذيرا من فتنة المال قال ثعلبة يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال «يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه» قال يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا قال «يا ثعلبة أما ترضى أن تكون مثل نبي الله تعالى أما والذي نفسي بيده لو شئت أن تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت» قال : والذي بعثك بالحق نبيا لئن دعوت الله ليرزقني مالا لأعطين كل ذي حق حقه ولأفعلن ولأفعلن قال رسول الله ﷺ «اللهم أرزق ثعلبة مالا» فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في الجماعة ويدع ماسواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الجماعة إلا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة فيسألهم عن الاخبار في المدينة وسأل رسول الله ﷺ عنه فقال «ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة وأخبره بأمره كله فقال «يا ويح ثعلبة بن حاطب يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة » قال وانزل الله تعالى

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾

الآية ١٠٢ من سورة التوبة

وأنزل الله تعالى فرائض الصدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة وكتب لهما كتابا بأخذ الصدقة وأمرهما أن يخرجا فيأخذا من المسلمين وقال «مر بثعلبة بن حاطب وبفلان رجل من بني سليم» وقال وخذا صدقاتهما فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ما هذا إلا جزية ما هذا إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا

ثم تعودا الي فانطلقا نحو السليمي فسمع السليمي بهما فقام إلى خيار أسنان أبله فعزلهما للصدقة ثم استقبلهما بهما (إنه التوفيق) فلما رأها قالوا : لا يجب عليكم ذلك وما نريد نأخذ هذا منك قال : بلى خذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة بن حاطب فسألاه الصدقة فقال أروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه أخت الجزية انطلقا حتى أرى رأيي فانطلقا حتى أتيا النبي فلما رآهما قال «يا ويح ثعلبة» قبل أن يكلماه ودعا للسليمي فأخبراه بالذي صنع ثعلبة وبالذي صنع السليمي فأنزل الله في ثعلبة

وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ

فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ

فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟

اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ

الآيات ٧٥- ٧٧من سورة التوبة

وعند رسول الله ﷺ رجل من أقارب ثعلبة فسمع ما أنزل الله فيه فخرج حتى أتى ثعلبة فقال لا أم لك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ فسأله أن يقبل منه صدقته فقال «إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك» فجعل يحثوا التراب على رأسه فقال رسول الله ﷺ «هذا عملك أمرتك فلم تطعني» فلما أبى أن يقبل منه شيئا رجع الى منزله ولما قبض رسول الله ﷺ جاء بها إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فأبى أن يقبلها وجاء بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأبى أن يقبلها منه وتوفى ثعلبة في خلافة عثمان. وكما روي عن نبي الله عيسى عليه السلام إنه كان مارا في طريق فلحقه رجل فقال احب أن أكون في صحبتك فانطلقا فانتهيا إلى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلاثة أرغفة فأكلا رغيفين وبقي رغيف ثالث فقام عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من أخذ الرغيف فقال لا أدري قال فانطلق ومعه صاحبه فرأى ظبية ومعها خشفان لها فدعا بواحد فأتاه فذبحه وشواه فأكل هو وصاحبه ثم قال للخشف قم باذن الله فقام وذهب مع أمه وقال للرجل أسألك بالذي أراك هذه الآية من أخذ الرغيف فقال لا أدري ثم انتهى إلى وادي ماء فأخذ عيسى بيد الرجل فمشي على الماء فلما جاوز قال له أسألك بالذي أراك هذه الآية من أكل الرغيف قال لا أدري فانتهيا إلى مفازة

فجلس فأخذ عيسى عليه السلام يجمع ترابا وكثيبا ثم قال كن ذهبا بإذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلاثة أثلاث ثم قال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن أكل الرغيف فقال أنا أكلت الرغيف فقال نبي الله كله لك وفارقه فأكب الرجل على الذهب لا يستطيع حمله ولم تسمح له نفسه بتركه فانتهى إليه رجلان فأرادا أن يأخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا أثلاثا فابعثوا أحدكم إلى القرية ليأخذ لنا طعاما نأكله فذهب واحد منهم فأضمر في نفسه أن يجعل في الطعام سما فيقتل صاحبيه ويأخذ الذهب ففعل وقال ذانك الرجلان المتخلفان فوق الذهب نقتله ونقتسم المال فلما رجع إليهما قتلاه وأكلا الطعام المسموم فماتا فبقي المال وأصحابه صرعى حوله فمر بهم نبي الله عيسى عليه السلام على تلك الحالة فقال لأصحابه هذه الدنيا تفعل بأصحابها فاحذروها. وليس كالغرور مأزق يؤول صاحبه إليه وإن ظن أنه في سعة ورغد عيش فإن القرآن الكريم ضرب مثلا للمغترين بقوله

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

الآيتان ٣٩ - ٤٠ من سورة النور

فالغرور مهلكة أيا كان سواءا كان غرورا بالعلم أو بالجاه أو بالمال أو بالشرف أو بالشجاعة أو بالكرم أو بغير ذلك مما تعجب المرء نفسه به وقد حذر القرآن الكريم من الغرور فقال

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ

الآية ٣٣ من سورة لقمان

وقال

وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ

الآية ١٤ من سورة الحديد

ويقول النبي ﷺ «حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملئ الأرض من

المغترين» رواه أبو الدرداء وقال ﷺ «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني» رواه شداد بن أوس وعرف بعضهم الغرور فقال هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى .. ومثال ذلك قول من يقول : النقد خير من النسيئه والدنيا نقد والآخرة نسيئه وكقول الآخر اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك وهذه أقيسة فاسدة تشبه قياس إبليس في قول الله تعالى حكاية عنه حيث قال

أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ

الآية ١٢ من سورة الاعراف

ويقول المغتر لولا أني كريم عند الله ومحبوب لما أحسن الي والتلبيس تحت ظنه أن كل محسن محب وظن أن الأنعام عليه وفي الدنيا يتبعه نعيم الآخرة

وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا

الآية ٣٦ من سورة الكهف

وكان الصالحون إذا أقبلت عليهم الدنيا خافوا وظنوا أنها فتنة بخلاف المغتر فإنها إذا أقبلت عليه الدنيا ظن أنها كرامة من الله وإذا صرفت عنه ظن أنه هوان كما أخبر الله تعالى عنه إذ قال

فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ
وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ

الآيتان ١٥- ١٦من سورة الفجر

فأجابه الله (كلا) وإذا عصى العاصي فقيل له، قال إن الله كريم قال الغزالي فإن قلت فإن الغلط في قول العصاة إن الله كريم وإنا ترجوا رحمته وغفرانه فقد قال أنا عند ظن عبدي فليظن عبدي ما شاء. فاعلم أن الشيطان لا يغوي بالإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي ﷺ كشف عن ذلك فقال «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من أتبع نفسه هواها ويتمنى على الله» فقال وهذا هو التمني على الله سماه الشيطان رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله الرجاء فقال

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ
هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ

الآية ٢١٨ من سورة البقرة

فهؤلاء الرجاء بهم اليق كلامه أ.هـ . فإن الفرق الشاسع بين من قال الله فيهم ..

يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ

الآية ٦٠ من سورة المؤمنون

مكبون على العبادة يبكون من خشية الله

وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ

الآية ١٨ من سورة الذاريات

وبين من آكب على الشهوات ومع ذلك يضحك ويقول الله كريم فأي عاقل يقول أن هذين عند الله سواء أو قوله- الله كريم- تغنيه عن التوبة والرجوع إلى ربه أليس الأول يقول- الله كريم رحيم غفار- هل اكتفى بهذا

أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ

الآية ٣٥ من سورة القلم

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ

الآية ٢١ من سورة الجاثية

وأشد الغرور ما يقع لأهل العلم من إعجابهم بعلمهم ويظنون أنهم فوق الخلق وأن الله ما أعطاهم العلم إلا لكونه اصطفاهم وأحبهم ونسوا الذي قال الله فيه

وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا
فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ

الآية ١٧٥ من سورة الاعراف

وغيره كثير من هـذا النوع وخصـوصا أهل الـوعظ منهم ومن يقفـون على المنبر تسـول لهم أنفسهم أن اللـه أعطاهم هـذه الموهبـة التي لم يعطهـا لغيرهم وأنهم ينصرون الـدين ويؤيـدون المسلمين وهـم مع ذلـك إما أنهم تلبسـوا بهذا العجب فهؤلاء مثل السراج يضيء للنـاس وهو يحترق وكالبيت المظلـم وقد وضـع السراج في سطحه فيظهـرون الدعـاء إلى الله وهم مـن الله فارون ويخوفـون باللـه وهم لمكره آمنـون والله سبحانه وتعـالى شبه أمثـال هؤلاء مثـل الكلب والحمار فأي خـزي أعظم من هـذا وهم صنفـان صنف تجنبـوا المعـاصي الظـاهرة وظهـروا بالمظهر اللائق بهم لكنهم تلبسوا بالعجـب ورأوا الناس من غيرهم كالعالة عليهم وأن لهم الفضل العظيم بما أتـوه من بيـان وصنف ظهروا بـالمظهر الـلائق بهم ولكنهم ما رأوا شهوة إلا مارسوهـا ولا مطمعا إلا اتخذوه إلها فتراهم كأ لأسـود على المنـابر وكـالذبـاب على المطامـع وفي خلواتهم جهـالا لا يعرفـون شيئا ممـا يرشدون إليه الناس ويقولون الأمور بخواتمها إلى غير ذلك من الإتجاهات المضرة بهم يقول النبي ﷺ «من ازداد علما ولم يـزدد هدى لم يزدد من اللـه إلا بعدا» وقال «يلقى العالم في النـار فتندلق اقتابه فيـدور بها في النار كما يدور الحمار في الرحى» ـــ اقتابه ـــ أمعاءه ويقول «ويـل لمن لم يعلم مرة وويل لمن يعلم ولم يعمل مرتين» أي أن العلم حجة عليه ويقول «أشد النـاس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمـه» وقال ابن مسعود رحمه الله (كفى بخشيـة الله علما وكفى بالإغترار بالله جهلا) ورأى عمر ابن الخطاب أحد الصحابة يطوف بالبيت وخلفه تلامذتـه فعلاه بالدرة فقال الصحابي أي فحـش رأيت يا أمير المؤمنين قال لم أر شيئـا ولكنه قلما خفقت النعـال خلف رجل إلا أعجبتـه نفسه فأردت أن أذكـرك فانظر إلى هـذه الحيطة مع أناس رضي الله عنهم واصطفاهم فكيـف بأهل زماننا ينظر الواحد في عطفيه ويقول من مثلي أنـاقة وفصاحة وأنا الذي دافعت عن دين الله وعلمته عباده وحزت رضا الله بذلك ولم يعرف المسكين أنه حاز سخط الله وتباعد عن الله من حيث تقرب إليه.

أيا طالب الله ائته من طريقه وإلا فبالحرمان أنت جدير

والمهم أن المسلم في خطر يحيط به من كل مكـان ومع المراقبة الشديدة لنفسه والمحاسبة لها جدير بأن يوفقه الله إلى مرضاته

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾

الآية ١٦ من سورة التغابن

وتحكي قصة في مناقشة النفس الدقيقة تقول : أن رجلا جاء إلى بشر بن الحارث يودعه يقول له عزمت الخروج إلى الحج فتأمرني بشيء فقال له كم أعددت للنفقة قال : ألفي درهم قال بشر : فأي شيء تبتغي بحجك ؟ تزهدا أم اشتياقا إلى البيت أو ابتغاء مرضاة الله. قال : ابتغاء مرضاة الله تعالى . قال فإن أصبت مرضاة الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون هي من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك ؟ قال : نعم. قال : اذهب فأعطها عشرة أنفس مديون يقضي دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وأن قوي قلبك تعطيها واحدا فافعل فإن إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد حجة الإسلام قم فأخرجها كما أمرناك وإلا فقل لنا ما في قلبك. فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر وقال له : المال إذا تجمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن يقضي به وطرا فأظهرت الأعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين أ.هـ

ومن آداب السلف لين الجانب للإخوان ومصافحتهم ويروى في ذلك أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ «قبلة المسلم أخاه المصافحة» وروى أنس بن مالك قال قيل يا رسول الله الرجل يلقى أخاه وصديقه ينحني له قال : لا قيل يلزمه ويقبله قال : لا قيل فيصافحه قال : نعم.

ومن آدابهم القيام للقادم وهو سنه روى أن النبي ﷺ قام لجعفر بن أبي طالب لما قدم إليه وقال «ما أنا بفتح خيبر أسر مني بقدوم جعفر» وقال للأنصار حين قدم سعد بن معاذ رضي الله عنه «قوموا لسيدكم» فعادة أهل عمان في القيام للقادم عليه يستند إلى هذه السنة المطهرة.

ومن السنة تقديم الطعام للقادم كما روى لقيط بن صبرة قال وفدنا على الرسول ﷺ فلم نجده في منزله وصادفنا عائشة رضي الله عنها فأمرت لنا بالحريرة فصنعت لنا وأتينا بقناع فيه تمر ـ والقناع الطبق ـ فأكلنا ثم جاء رسول الله ﷺ فقال «أهل أصبتم شيئا» قلنا نعم يا رسول الله.

ومن السنة لمن قدم من سفر أن يقدم أكلا لمن جاءه يسلم عليه لما ورد أن رسول ﷺ قدم مرة من سفر فنحر جزورا.

ويكره القدوم من السفر في الليل لنهي النبي ﷺ عن طروق الأهل ليلا وقال

«إذا قدم أحدكم من سفر فلا يطرقن أهله ليلا» قلت وفي هذا الزمان الذي لا يكون قدوم المسافر باختياره الوقت فربما قدم ليلا فإذا رأى إنه لابد من قدومه ليلا فهناك وسيلة تخبر أهله عن قدومه وهي الهاتف فإذا قدم خبرا بالهاتف فيكون كأنه قدم نهارا وقد انتفت العله التي لأجلها نهى الشارع صلوات الله عليه عنها وروى كعب ابن مالك أن النبي كان لا يقدم من السفر إلا نهارا في الضحى.

ومن الآداب أن يصلي القادم ركعتين في المسجد المجاور لبيته وهذا استحسان من أهل العلم فيه فضل لمن تمكن من فعله.

ومن وصايا الرسول ﷺ الجامعة وصيته لمعاذ ابن جبل فقال له «يا معاذ أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وترك الخيانة وحفظ الجوار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وحسن العمل وقصر الأمل ولزوم الإيمان والتفقه في القرآن وحب الآخرة والجزع من الحساب وخفض الجناح وإياك أن تسب حليما أو تكذب صادقا أو تطيع آثما أو تعصي إماما عادلا أو تفسد إرضاه أوصيك باتقاء الله عند كل حجر وشجر ومدر وأن تحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية بذلك أدب الله عباده ودعاهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأدب» وروى معاذ أيضا عن رسول الله ﷺ «حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الآداب».

الحث على التواضع

يقال ما لبس العبد لبسة أفضل من التواضع ومن رزق التواضع فقد استراح وأراح وروى أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الله أوحى الى أن تواضعوا ولا يتباهى بعضكم على بعض» وقال عليه السلام في قوله تعالى «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني» قال «على البر والتقوى والرهبة وذلة النفس» وكان من تواضعه ﷺ أن يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافىء عليها ويأكلها ولا يستكبر عن إجابة الأمة والمسكين ويقول «إن من رأس التواضع أن تبدأ بالسلام من لقيت وترد على من سلم عليك وأن ترضى بالدون من المجلس وأن لا تحب المدحة والتزكية والبر» ويقول «طوبى لمن تواضع من غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنه» وسئل بعض الصالحين

عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله وتسمع منه ويقول أيضا من رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب وروي مكتوب في كتب الله أني أخرجت الذر من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا لي من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته وكلمته» وقيل ـ من عرف كوامن نفسه لم يطمع في العلو والشرف ويسلك سبيل التواضع فلا يخاصم من يذمه ويشكر الله لمن يحمده وقال لقمان عليه السلام لكل شيء مطية ومطية العلم التواضع» وليس شيء يورث التواضع كصحبة الصالحين وسأل بعضهم من غاية التواضع فقال : أن تخرج من بيتك فلا تلقي أحدا إلا رأيته خيرا منك وقيل لبعض الحكماء هل تعرف نعمة لا يحسد صاحبها وبلاء لا يرحم صاحبه عليه ـ قال نعم ـ قال : أما النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها فهي التواضع وأما البلاء فهو الكبر والتواضع صفة عزيزة تقوم بين الكبر والضعة فالكبر رفع الإنسان نفسه فوق قدره والضعة وضع الإنسان نفسه في مقام يزري به ويفضي إلى تضييع حقه ومن صفات المؤمنين أن يكونوا بين هاتين المنزلتين القبيحتين فالكبر بلا شك ناتج عن الجهل كما حكى أن بعض المغتربين يقول :

(أسرجت وألجمت وطفت في أقطار الارض وقلت هل من مبارز فلم يخرج إلي أحد) وقد عظم التكبر في نفسه عظمة لم يبلغها وقد حقر الله شأن المستكبرين فقال

إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ

الآية ٢٣ من سورة النحل

وقال

أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ

الآية ٦٠ من سورة الزمر

وقال النبي ﷺ في حديث قدسي «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في نار جهنم» وفي رواية (قصمته) وقد وصف الله الدواء لمن ابتلى بذلك فقال

فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾

الآيتان ٥-٦ من سورة الطارق

وقوله

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾﴾

الآيات ١٧ –١٩ من سورة عبس

وقال بعض الحكماء : —

كيف يزهو من رجيعه أبد الدهـــر ضجيعـه

وفي مقابل ذلك الضعـه فلا ينبغي للمسلم أن يضع نفســه في موضع الإزدراء والسخرية خصوصا المتعلمين والذين لبسوا العمائم وتشبهوا بالصالحين فإن هؤلاء يلحقهم الدنس أكثر من غيرهم فليقفوا موقف المعتز بعلمه وبدينه ولا يقف موقف المنهزم المنكمش، وليعلـم أنه في عزة عظيمة مادام متمسكا بطـاعة الله لأن الله يقول

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

الآية ٨ من سورة المنافقون

ولم يقل للأغنيـاء والمقربين من الحكام فـاعرف قدرك أيها المتعلـم وأنزلها حيث أنزلها الله ولا تذلها بـالخضوع لأرباب الدنيا أو المسكنة أمـامهم فأنت أعز منهم وأنزل بعـد ذلك كل أحد منـزلته من غير استحقار لأحـد وسمي الحسن بن علي (مـذل المؤمنين) حين تمسكن وأعطـى الحق معـاويـة من دون استحقـاق ومع الأسف الشـديـد أن بعض المتعلمين أو المتشبهين بـالصالحين يتقـوقع وينـزوى ويظهر الذلـة والمسكنة أمام أهل المناصب أو الأغنيـاء فيسيء سمعة الحق وأهله فيطلق السفهاء ألسنتهم على أهل الفضل وكثيرا ما تسمـع في ألسنة السفهاء ذكر المطاوعـة بالقبيح وذلك لإساءة المطـاوعة على أنفسهم حتى وجد السفهـاء سبيلا عليهم ويـروى في الزمان الأول أن قـاضيا غنى لـه مغني فطرب فلبـس في عنقه حبلا وقـال جروني هديـة للكعبة فأنا بقـرة — فصــارت مثلا لمثل هـذا الساقط وعمر بن الخطاب رضـي الله عنه لما رأى الرجل المتطامن قـال له أرفع رأسك لا تفسد علينا ديننا وقال الشيخ صالح بـن علي الحارثي لرجل رآه منزويا متطامنا —مالك — قال لبسـت عمامة فتطيوعت. قال : شد رقعتـك الذي يتطيوع يترخم — أي يصير رخمه ونـزع العمامة مـن رأسه فـالقـاهـا في الارض. وقال أبـو نصر المغربي :

أحب فتى ماضي العزائم حازما لدنيا وأخرى عاملا بالتشمر

وأما أخو النومات لا مرحبا به ولا بالجثوم الراكد المتدثر

والخلطة بالناس مع التزام الاوامر الشرعية خير من العزلة وإن جاء في الحديث الشريف إشارة إلى الإعتزال والفرار بالدين فذلك حين لا يستطيع المؤمن أن يقوم بدينه وأن يكره على تركه الواجبات أو فعل المعاصي، كما ورد عن عبدالله ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «ليأتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فر بدينه من قرية إلى قرية ومن شاهق إلى شاهق ومن جحر إلى جحر كالثعلب الذي يروغ قالوا: ومتى ذلك يا رسول الله قال «إذا لم تنل المعيشة إلا بمعاصي الله فإذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة» قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وقد أمرتنا بالتزويج قال «إنه إذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد أبويه فإن لم يكن له أبوان فعلى يد زوجته وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فعلى يد قرابته» قالوا وكيف يا رسول الله قال «يعيرونه بضيق المعيشة فيتكلف ما لا يطيق حتى يوردوه موارد الهلكة» فقد بين الرسول متى تستحب العزلة بل وتجب إذا مست الخلطة الدين.

أما إذا قدر على أن يقول الحق وإن كان لا يسمع منه وأن يرشد المسترشد ويهدي الضال فهذا قعوده في المجتمع خير من غيابه عنه كما روى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داوود عليه السلام (يا داوود مالي أراك منتبذا وحدك) قال: إلهي قليت الخلق من أجلك. فأوحى الله إليه (يا داوود كن يقظانا مرتادا لنفسك أخوانا وكل خدن لا يوافق على مسرتي فلا تصحبه فإنه عنده يقسي قلبك ويباعدك مني) وقد ورد في الخبر (أن أجلكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون فالمؤمن ألف مالوف) وقال عبادة بن الصامت رحمه الله عن رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل حقت محبتي للمتحابين في والمتزاورين في والمتباذلين في والمتصادقين في) وقد ورد في الخبر عن رسول الله ﷺ «المؤمن كثير بأخيه» والإهتمام بأمور المسلمين واجب ومن لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم ومن لا صديق له لا عيش له وقال تعالى مخبرا عن الكفار في الآخرة

﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾

الآيتان ١٠٠-١٠١ من سورة الشعراء

الحميم في الأصل الهميم فأبدلت الهاء حاء لقرب مخرجها والهميم مأخوذ من

الإهتمام أي يهتم بأمر أخيه وقال عمر رحمه الله إذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما يصيب ذلك.

نسأل الله التوفيق وحسن الخاتمة والموت على الإستقامة والعمل بما علمنا ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه وكل من آواه.

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة